العنود بنت محمد الطيار

كيف نكسب المراهق ونعده لزواج ناجح؟



[illegible] للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

كيف نكسب المراهق ونعده لزواج ناجح؟

العنود بنت محمد الطيار

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الطيار، العنود محمد سلطان
كيف نكسب المراهق ونعده لزواج ناجح./ العنود بنت صالح الطيار.- الرياض ١٤٣٠هـ
٠٠ص ؛ ٠٠ سم
ردمك: ٤-٥٢٧-٥١-٩٩٦٠-٩٧٨
١- المراهقة – علم نفس أ- العنوان
ديوي ١٥٥,٥ ١٤٣٠/١٩٨٣

رقم الإيداع: ١٤٣٠/١٩٨٣هـ
ردمك: ٤-٥٢٧-٥١-٩٩٦٠-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤٩٦٥٥٥ - ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤٨٣٠٠٤
المستودع تلفون: ٢٤١٦١٣٩ فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

كيف نكسب المراهق

ونعده لزواج ناجح؟



المحتويات

تقديم ١٣

الفصل الأول: من هو المراهق؟ ١٧

مظاهر النمو في مرحلة المراهقة ١٩

سمات شخصية المراهق بشكل عام ٢٦

الفرق بين نمو الإناث ونمو الذكور ٢٨

تطبيقات على الإطار النظري ٢٩

قصتي مع الجماعة الضالة ٢٩

جماعة (الحشاشين) ٣٨

المدرسة كوسيلة سهلة للاستدراج ٤٠

إشكالات مرحلة المراهقة في الزمن الراهن ٤٧

غياب روح المبادرة ٤٨

الخوف أو الجبن ٤٨

سطحية التفكير نتيجة الانبهار بالغرب وبكل ما هو جديد ٥٠

الحدث الأسوأ بعد انتهاء مباراة الهلال ومانشستر ٥٠

جرأة المراهقين إلى حد الوقاحة والعنف ٥١

انتشار الشذوذ بين بعض المراهقين والمراهقات ٥٢

قصة يرويها الدكتور بكّار ٥٤

خلاصة الفصل الأول ٥٧

الفصل الثاني: كيف نحمي المراهق؟ ٥٩

مخاوف الوالدين على المراهقين ٦١

أولاً: مخاطر نقلها التراث الإسلامي ٦٢

ثانياً: مخاطر مُخطط لها ٦٤
جماعة عبدة الشيطان ٦٤
جماعات الشذوذ ٦٥
جماعات التبشير والتشكيك ٦٥
الجماعات التي تدّعي أنها جماعات إسلامية ٦٥
مفهوم الجهاد في الإسلام ٦٦
ترويج المخدرات والمسكرات والتدخين ٦٨
الألعاب الإلكترونية ٦٩
أسوأ مما يمكن تخيله ٧١
القنوات الفضائية المنحلة ٧٢
مسلسل (طاش ما طاش) وأثره على المراهقين ٧٢
وسائل الإعلام الأخرى ٧٣
ثالثاً: المخاطر غير المخطط لها ٧٤
دور الأسرة ٨٣
وأخيراً: فكرة فعالة جداً لوقاية أبنائنا ٨٩
دور الجهات المسؤولة ٩٠
رسالة المدرسة ٩١
رسالة الإعلام ٩٤
خلاصة الفصل الثاني ٩٧
الفصل الثالث: كيف نكسب المراهق؟ ٩٩
أولاً: توافر استعدادات معينة لدى الوالدين ١٠٤
أساليب تجنبنا الاصطدام مع المراهق ١٠٥
كيف نستخدم سلاح الذكاء؟ ١٠٦
التفاعل الجسدي ١٠٧
كيف نمتص غضبه ونصبر على ثورته؟ ١٠٨

قصة الحَبر الذي انبهر برسول الله ﷺ ١٠٨
قيمة الابتسامة ١١٠
عظمة الصوت الهادئ (حكايتنا مع عزة) ١١١
وماذا عن الكلمة الطيبة؟ ١١٢
إكرامه ١١٦
التأكد من قضاء وقت كافٍ معه ١١٧
ثانياً: شرح مرحلة المراهقة للمراهق قبل دخولها ١١٩
إعجاز القرآن الكريم في إعداد الصغير لمرحلة المراهقة ١٢٣
ثالثاً: استغلال استعدادات معينة عند المراهق ١٣٠
كيف نستغل الحماس الديني لدى المراهق؟ ١٣٠
حاجة المراهق إلى الأمان ١٣١
الأمان النفسي ١٣٢
الأمان المادي ١٣٢
أبناؤنا يضغطون وكلنا نقع في الفخ ١٣٣
أثر الرموز الإعلامية الفاعلة ١٣٦
أثر العمالة وخاصةً السائبة ١٣٦
الأمان الاجتماعي ١٣٦
الحاجة إلى الحب، والتشبث بالمحبوب ١٣٧
كيف تعبر له عن حبك؟ ١٣٩
الاستفادة من قابليته للاستهواء ١٤٠
الاستفادة من ذكائه في توجيهه ١٤٠
كيف تضمن له رفيقاً صالحاً؟ ١٤٢
خلاصة الفصل الثالث ١٤٣

الفصل الرابع: كيف نضبط المراهق؟ ١٤٥
تهيئته لمتطلبات مرحلة الرشد بالتخطيط ١٤٧

إعجاز القرآن الكريم في مجال ضبط المراهق ١٥٠
قائمة المسموح والمرفوض ١٥٢
حقيقتان مهمتان لا بد أن يعرفهما المراهق ١٥٣
موقف الغربيين من قضايا المراهقة ١٥٤
شبهة لابد من الرد عليها ١٥٧
قائمة المرغوبات والممنوعات ١٥٩
تنبيهات على قائمة الواجبات ١٦٠
ضوابط استخدام الإنترنت ١٦٢
تنبيهات على العقاب ١٦٦
مؤشرات العلاقة الناجحة مع المراهق ١٧٤
التعلم من العواقب (نتائج الأعمال) ١٧٤
أساليب استخدام الخيارات ١٧٥
نظريتي في التربية الجنسية ١٧٧
خلاصة الفصل الرابع ١٨٤

الفصل الخامس: كيف نعد المراهق لزواج ناجح؟ ١٨٥
أولاً: أسباب المشكلات الزوجية ١٨٧
مشكلات ذات أسباب من داخل الأسرة ١٨٨
مشكلات ذات أسباب خارجية ٢٠١
صاحبة الحق الأعظم ٢٠٤
دائماً وأبداً: الحل عند الإسلام ٢٠٥
ماذا نعلمهم في كل مرحلة؟ ٢١١
ثانياً: الخطوات التي يجب على الوالدين اتباعها لإعداد الأبناء للزواج ٢١٢
الإعداد للزواج منذ الطفولة المبكرة ٢١٢
خطوات اختيار الشريك ٢١٩
كيف يختار الشاب فتاته؟ ٢١٩

كيف تختار الفتاة زوجها؟ ٢٢٠
الزواج بنية الكسر ٢٢٢
خطوات ما بعد اختيار الشريك ٢٢٤
نصائح الأيام الأخيرة ٢٢٩
حق الزوجة على الزوج ٢٣٠
حق الزوج على زوجته ٢٣٣
معالجة الخلافات بين الزوجين ٢٣٥
نظرية أسس الزواج الناجح ٢٤٠
تطبيق أسس الزواج الناجح على حياة رسول الله ﷺ ٢٤٨
ليلة زفاف شريح القاضي ٢٥١
أسئلة تطرح نفسها ٢٥٥
أولاً: هل يجب أن نتابع أبناءنا بعد الزواج؟ ٢٥٥
ثانياً: هل يحتاج الأبناء حديثي الزواج إلى عرضهم على متخصص نفسي؟ ومتى؟ ٢٥٦
ثالثاً: ما مدى فعالية مراكز إصلاح ذات البين ودور الإرشاد الأسري؟ ... ٢٥٧
رابعاً: ما مدى فعالية اللجوء إلى القضاء عند حدوث المشكلات؟ ٢٥٧
خامساً: هل هناك حلول جذرية للمشكلات؟ ومتى يكون الطلاق حلاً؟.. ٢٥٧
ماذا بعد الطلاق في حال وقوعه؟ ٢٥٨
نصيحة الساعات الأخيرة ٢٥٩
خلاصة الفصل الخامس ٢٦٣
خاتمة ٢٦٥
المراجع ٢٦٩



تقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأصلي وأسلم على البشير النذير صاحب الحوض المورود واللواء المعقود، والمقام المحمود سيدنا محمد ﷺ.

أما بعد... فليست غايتنا النهائية هي أن نكسب المراهق، بل هدفنا وغايتنا النهائية أن نكسب رضا الله سبحانه وتعالى، وما اهتمامنا بالمراهق إلا نتيجة لالتزامنا بما أمرنا به ربنا سبحانه وتعالى وما أوصانا به نبينا ﷺ.

واستكمالاً لمشوارنا الذي بدأناه على صعيد التربية، وبعد أن قدمنا كتاب: (كيف تجعل طفلك شخصية محبوبة وناجحة، أفكار جديدة لجيل جديد) الذي كان موجهاً بالدرجة الأولى لتربية الأطفال خلال الطفولة المبكرة والمتأخرة، يأتي هذا الكتاب ليضع بين يدي الوالدين والمربين ما يمكن أن يساعدهم على الاستفادة من إمكانيات هذه المرحلة ويعينهم في التغلب على صعوباتها.

فالمراهقة عالمٌ واسع غامض متعب إلى حد كبير، ففي الوقت الذي نحلم فيه وننشغل بالتخطيط والعمل من أجل مستقبل المراهق كي يحيا حياة ناجحة وسعيدة، نجده يعيش في وادٍ آخر تترصد له المخاطر الجمة من كل حدبٍ صوب، وربما كان غارقاً فيها إلى حد لم يخطر لنا على بال في تحدٍ سافرٍ لمشاعرنا وآمالنا.. فهل من الممكن التغلب على هذه المخاطر؟ وكيف؟

في هذا الكتاب نحط الرحال عند عالم المراهقة، كي نتعرف عليه ونتصالح معه لنظفر بهدفنا المنشود بحول الله وقوته. وسنجد أن لهذا الكتاب فائدة مضاعفة إذ سيتجلى لنا بعضٌ من إعجاز القرآن الكريم في مجال تربية المراهق وإعداده للزواج.

هذا وقد قسمت بحثي بحمد الله إلى خمسة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: طبيعة مرحلة المراهقة (من هو المراهق؟)

الفصل الثاني: كيف نحمي المراهق؟

الفصل الثالث: كيف نكسب المراهق؟

الفصل الرابع: كيف نضبط المراهق؟

الفصل الخامس: كيف نعده لزواج ناجح؟

وكي تستفيد – قارئي الكريم – إلى أقصى حد من هذا الكتاب، فإنني استخدمت منهجاً يعينك على هذا، وهو منهج أشبه ما يكون بدورة تدريبية، حيث قمت في البداية بوضع إطار نظري لطبيعة المراهق، ثم وضعت قصتين لبعض المراهقين وطبقت عليهما هذا الإطار النظري، وكذلك سرت على هذا المنوال فيما يتعلق بضبط المراهق، وإعداده للزواج، ولقد تشرفت... وسوف تتشرفون أنتم بإذن الله بتطبيق هذا الإطار النظري على حياة رسول الله الزوجية ﷺ، ويمكنك تدريب نفسك باتباع الأسلوب نفسه وتطبيقه على ابنك أو تلميذك.

وأستميح قرائي الأفاضل العذر إذا وجدوا تكراراً لبعض الحقائق، فالتكرار ضروري على قدر أهمية بعض الآراء المكررة كما هو منهج القرآن الكريم المعجز والسنة المطهرة لتثبيت الفكرة، وأؤكد لهم أنهم لن يجدوا تكراراً من دون داع. على أنني أعتذر مقدماً عن أي تقصير أو خطأ خارج عن إرادة الطبيعة البشرية.

وبعد فالشكر لله وحده على ما منّ به عليّ، شكراً صادقاً أرجو أن يجعله خالصاً من كل قلبي، فهو وحده يعلم كيف وَفّقني إلى ما منّ به عليّ.

ثم أحب أن أذكر أمي بكل خير في هذا المقام، كما أذكرها دائماً، وأرى أنها أولى من يستحق الشكر والعرفان بالجميل بعد الله سبحانه وتعالى، ثم رسوله ﷺ فإن هذا الكتاب لا يخلو من أياديها رحمها الله رحمةً واسعة، وأسكننا وإياها فردوسه الأعلى من الجنة.

ثم أقدم شكري لكل الذين تجاوبوا معي وأمدّوني بخبرتهم المباركة وأخص بالشكر أبي الغالي الذي هو مشجعي الأول... وأحبائي: عمتي نور الطيار، وأخي

ممدوح وأخواتي مها وبسمة ونايفة الطيار، والأخت مشخص اليعيش، أشكرهم جميعاً على تعاونهم البناء من أجل الصالح العام، فجزاهم الله خيراً، وحفظنا وإياهم من كل مكروه.

أما أنتم يا أبنائي الأحباء عبد الله ومحمد وغالب وسعد وأختاكم لاما وإيمان المعجل فلكم شكري مقروناً بحبي وبدعواتي الصادقة، فأنتم بعد توفيق الله تعالى سر نجاح هذا الكتاب لأن ميدانه هو أنتم، فمن أجل نفعكم ونفع إخوانكم المراهقين الأحباء، بذلت هذا الجهد الذي أرجو أن ينفع الله به.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الإخوة والأخوات الذين تعاونوا وأجابوا بكل صدق وصراحة على الاستبيانات الخاصة بالحياة الزوجية المقدمة لهم مما كان له أبلغ الأثر في إثراء هذا الكتاب، وهم الإخوان في مدارس رياض نجد في مدينة الرياض، ودار مريم بنت عمران لتحفيظ القرآن الكريم في مدينة الرياض، وموقع عالم الحياة الزوجية، وموقع حياة المرأة، وموقع الموجز، وغيرهم من الإخوة والأخوات الذين لا يعلمهم إلا الله.

كما أشكر كل الشكر كل من ساهم في تقديم هذا الكتاب للقارئ الكريم الذي أشكره هو أيضاً وأدعو له، وأتوقع أن يدعو لي بالمثل، راجيةً العلي القدير الحكيم العليم الذي وفقني إلى هذا العمل التوفيق والسداد والمغفرة لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات.

والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلفة

في ٢٨ جمادى الأول ١٤٢٩هـ



من هو المراهق؟

قالت لي إحدى الأمهات يوماً: «كنت إذا أردت أن أشجع بناتي على طاعتي وهن طفلات أقول لهن: من هي ابنة الملك التي تستطيع أن تفعل كذا وكذا...، وكن يتسابقن لفعله لكي تصبح الواحدة منهن بنت ملك، ولكن عندما كبرن – أي دخلن في مرحلة المراهقة – بقيت على أسلوبي نفسه، ولكن لم يعدن يتجاوبن معي، فعلمت أنهن بدأن يفهمن أن هذا مجرد أسلوب للاحتيال عليهن من أجل تحقيق مآربي، فتوقفت عن هذا الأسلوب وأمثاله، وبدأت أجرب وأبحث عن الطرق المجدية معهن».

عند هذه النقطة يتوقف كثير من الآباء والأمهات حائرين أمام هذا المراهق الذي لم تعد الأساليب الطفولية القديمة تجدي معه، ولا حتى أساليب آبائنا التي كانوا يستخدمونها معنا عندما كنا مراهقين، فما الذي حدث لهذا المراهق الذي بدأنا نلاحظ تغير كل شيء فيه؟ كيف نقنعه بما نريد؟ كيف نجعله يستمع لنا، ويتجاوب معنا ويطيعنا؟ لا لشيء إلا لكي يتقدم، ويتفوق، مرضياً خالقه، فائزاً بجنته، محفوفاً بنعمه، محفوظاً بآلائه. ولذا جاءت الحاجة ماسة لدراسة هذا التغيّر أو بمعنى آخر هذا النمو، مع ضرورة التنبه إلى أن مراهق اليوم بالتأكيد ليس هو مراهق الأمس ولا قبل الأمس.



الفصل الأول:

من هو المراهق؟

مظاهر النمو في مرحلة المراهقة:

لابد من تعريف مرحلة المراهقة قبل البدء في هذا البحث: فالمراهقة هي تلك التغيرات الجسمية والفسيولوجية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التي تحدث عند الإنسان وهي تبدأ مع نهاية الطفولة المتأخرة، ويقسمها بعض الدارسون إلى مرحلتين:

- مرحلة البلوغ والمراهقة المبكرة: ويقابلها الدراسة المتوسطة.
- مرحلة المراهقة المتأخرة: ويقابلها الدراسة الثانوية وبداية الدراسة الجامعية.

أو هي الفترة العمرية الواقعة ما بين (١١ – ١٨) سنة تزيد أو تنقص من مراهق إلى آخر. والآن هناك من يرى أن مرحلة المراهقة يمكن أن تمتد حتى نهاية الدراسة الجامعية.

وكما قلنا: تختلف مرحلة المراهقة من شخص إلى آخر، ويختلف سن البلوغ عند الذكر عن سن البلوغ عند الأنثى التي يبدأ البلوغ عندها قبل الذكر، كما تختلف من حيث درجتها من مجتمع إلى آخر حيث تمتاز بالانتقال التدريجي الهادئ في المجتمعات الحرفية أي التي يتوارث فيها الأبناء حرف آبائهم مثل الصيد والزراعة، ولكنها تكون أكثر وضوحاً في مجتمعات المدن، التي تهتم بمعايير القدرة الذاتية للفرد في الحصول على فرصة العمل المناسبة من خلال الكثير من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي تحكم ذلك، وأهم مظاهر النمو في مرحلة المراهقة ما يلي:

النمو الجسمي[1] :

يتأثر النمو الجسمي في مراحل الطفولة الأولى والمتأخرة ومرحلة المراهقة بالعوامل الوراثية الجينية، التي ترتبط بصفات الطول والوزن والمظهر الخارجي للفرد إضافة إلى عوامل البيئة التي تؤثر في نمط تشكيل هذا البنيان الجسمي وتتفاعل وفقاً للمستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للأسرة، وما يرتبط بها من سلوكيات البناء الجسمي السليم.

وإذا كانت مرحلة الطفولة المتأخرة تتصف بالنمو الجسمي البطيء بالمقارنة بمرحلة الطفولة المبكرة، فإن مرحلة المراهقة تتميز بعدم الانتظام، فيزداد الطول زيادة نسبية سريعة، كما يزداد طول الجذع والذراعين والساقين، وتتسع المسافة بين المنكبين، وتبدأ العضلات في النمو التدريجي، كما يلاحظ وجود طفرة في الوزن تميل نحو الزيادة، كما أن ملامح الوجه التي كانت تميز مرحلة الطفولة تميل إلى أن تكون أكثر حدة حيث يتضخم الأنف، ويتسع الفم كما تتشكل الأسنان الدائمة وتكون أكثر صلابة.

ومن مظاهر النمو الجسمي عند الذكر زيادة عرض الكتف وزيادة البناء العضلي بينما تنمو الأثداء عند الأنثى ويعرض الورك، ويظهر عادة عند الجنسين شعر العانة منذ سن الثانية عشرة تقريباً، كما يظهر شعر الوجه عند الذكر في سن السادسة عشرة تقريباً. وتظهر العادة الشهرية الأولى عند الأنثى في سن الثانية عشرة، بينما يظهر عند الذكر بعد سنة أو سنتين مظاهر تغّير الصوت كعلامة على البلوغ.

ويبدأ المراهق في التعامل القلق مع تلك التغيرات الجسمية المتلاحقة، مثل ظهور الشعر في الوجه، ويسعى تدريجياً إلى التكيف والتوافق مع تلك التغيرات في الشكل والطول والوزن، ويحاول المراهق من خلال توافقه أن يوائم بين التوافق الذاتي له في نفسه والتوافق مع ما يراه من المحيطين به مثل الأهل والأصدقاء.

---

(١) فادية كامل حمام، علي أحمد مصطفى – علم نفس النمو.



وبقدر ما توفره الأسرة في المقام الأول من سلوكيات إيجابية تدعم هذا الانتقال الهادئ لتلك التغيرات، بقدر ما تزداد ثقة المراهق في نفسه وفي الآخرين من المحيطين به.

النمو الفسيولوجي:

يرى عبد العزيز القوصي أن النمو الفسيولوجي المصاحب لمرحلة المراهقة يمكن أن يؤثر على الحالة النفسية والسلوكية للمراهق، وذلك من منظور أن سلوك الإنسان لا يتجزأ ولا يمكن أن ينفصل – في تلك المرحلة – عن تلك التغيرات الفسيولوجية مثل:

الغدد التناسلية التي تحدث بها تغيرات جذرية، حيث تنشط تلك الغدد وهي الخصيتان عند الذكور، والمبيضان عند الإناث، كما تؤثر اضطرابات إفراز هرمونات المبيض على هشاشة العظام، وكفاءة شرايين القلب والحالة المزاجية والنفسية، إضافة إلى أنه قد تبين أن إحساس الأنثى بالغرور والإشفاق على الذات يرجع إلى نقص إفرازات هرمون المبيض.

كما تحدث تغيرات في إفراز الغدد الصماء، ومن تلك الغدد:

الغدة النخامية: توجد في منتصف الرأس، وتمتد لأسفل المخ، وتؤثر على إفراز الهرمونات المسؤولة عن نمو العظام والعضلات، كما أن زيادة إفرازها يؤدي إلى الطول المفرط ونمو العظام، في حين يؤدي قصور إفرازها إلى قصر القامة ونقص نمو العظام في مرحلة المراهقة.

الغدة الدرقية: تقع أسفل الرقبة أمام القصبة الهوائية، وتعد الغدة المسؤولة عن وظائف الجهاز العصبي، وأي اضطراب يمكن أن يصيب الغدة الدرقية قد يؤثر على مستوى الذكاء، وضعف القدرات العقلية.

الغدة الكظرية: تقع فوق الكلية، وهي مسؤولة عن إفراز هرمونات الذكورة أي الأندروجين، وبقدر زيادة إفراز هذا الهرمون تزداد كثافة شعر الوجه، وخشونة الصوت، كما يزداد ضغط الدم عند المراهقين الذي يزداد من (٦٠) مليمتراً في

مرحلة الطفولة إلى (١٢٠) مليمتراً في مرحلة المراهقة، ونتيجة لذلك يعاني المراهق من أعراض الصداع والقلق والتوتر، كما تتسع المعدة وتطول، وتزداد الشهية خاصة عند الذكور، في حين تقل عند الإناث نتيجة لعدم الإحساس بالأمان وغلبة المشاعر السلبية مثل القلق والتوتر.

النمو العقلي:

يذكر طلعت منصور أن معدل الذكاء في مرحلة المراهقة يتميز بالثبات النسبي، في حين تستمر بقية القدرات العقلية في نموها المتسارع، خاصة القدرة اللغوية والميكانيكية، أي القدرة على الفك والتركيب.

كما يترتب على النمو العقلي اتساع دائرة المراهق المعرفية، وزيادة اهتمامه بالبيئة المحيطة به، فتزداد القدرة على القراءة والتحصيل إلى موضوعات أكثر عمقاً من الموضوعات التي كانت تستهويه في مرحلة ما قبل المراهقة، وتنمو معه قدرات الإدراك المعنوي المجرد والقدرة على التحليل واستنباط النتائج، كما تنمو القدرات الخاصة للمراهق مثل قدرات التذكر التي تزداد وتكون أكثر ارتباطاً في قوتها بالنواحي الوجدانية السارة التي قد يصادفها.

كما يرى أن مدى الانتباه يزداد في تلك المرحلة وتزداد معه القدرة على التركيز الواعي بظروف الموقف، كما تزداد تبعاً لذلك قدرات التفكير الاستدلالي المجرد والتفكير الابتكاري، كما تتحول إدراكات المراهق إلى تفسير قيم كان يعجز عن فهمها مثل الحق والخير والعدالة، وتزداد القدرة على التخيّل، لكن بصورته الإيجابية كأن يتجه إلى عمل قصيدة من الشعر.

وفي هذه المرحلة قد يصبح بعض المراهقين وبشكل فجائي مثاليين، وقد يصبح بعضهم الآخر غير ذلك كأن يكونوا لا مبالين وكثيري السخرية.

وبالنسبة للحالة الأولى تلك التي (يصبح المراهق فيها مثالياً) يصبح المراهق كثير النقد لمن حوله؛ لأنه يعتقد أنه يفهم ما يجري حوله، وما هو الخطأ الذي حدث، وكيف يمكن أن تصحح الأوضاع، وقد يشعر أن بمقدوره تغيير العالم،

ولذلك فقد يصبح قليل الصبر مع من هو أكبر منه، ويريد أن تصحح الأمور وتعدّل (الآن) ودون تأخير.

أما الحالة الثانية وهي: حالة اللامبالاة، فالمراهق عندها يسخر من كل ما حوله، من القيم والأعراف والنظام السياسي والاجتماعي، وربما من كل ما كان عزيزاً عليه في الطفولة – أي أنه ينقلب – على كل شيء، ويسخر من أفكار والديه وإخوته وجميع الأسرة، ولا شك أنه من الصعب العيش مع هاتين الحالتين.

ومما يزيد المشكلة تعقيداً أنه بالرغم من قدرة المراهق على التفكير في القضايا المجردة إلا أنه ما يزال بعيداً عن النضج العاطفي والانفعالي، ولذلك فبالرغم من قدرته على انتقاد الآخرين إلا أنه ما يزال ضعيف القدرة على ضبط سلوكه الخاص، ولذلك فهو لا يعمل بما يقول ولا بما يدعو الناس إليه، وكثير الجدل لمجرد إظهار الذكاء واستعراض القدرات العقلية التي بدأ يكتشف أنه يملكها، كما تتجه إرادة المراهق إلى الميول المهنية الواقعية بعيداً عن الخيال، وتلك الميول يراعي فيها المراهق أن تتوافق مع الظرف الاقتصادي والاجتماعي والشخصي له، وذلك كأن يحدد له مهنة يحاول فيها المراعاة بين آماله وطموحاته، والتعبير عن مستوى القبول والرضا من الجماعة المحيطة به من الأسرة والأقارب والأصدقاء.

وكلما اهتم الوالدان والمربون بتوجيه المراهق ومساعدته على اكتشاف ميوله وصقلها بنفسه، أو بعرض أعماله على المختصين وذوي الخبرة كي يستفيد من توجيههم وخبرتهم مثل العلماء والفنانين والأدباء... إلخ، كلما صارت حظوظ المراهق المستقبلية أفضل.

النمو الانفعالي:

تتسم مرحلة المراهقة بالحساسية الانفعالية المفرطة، فالمراهق شخص مقبل على الحياة محب لها، كأنه يرى الدنيا لأول مرة، ويرى الناس فيها لأول مرة، وتنعكس التغيرات الجسمية والفسيولوجية المطردة على النمو الانفعالي للمراهق، وترتبط تلك التغيرات الجسمية بنمو في قدراته العقلية وميوله وحاجاته الضرورية.

ولعل من أهم محطات الاستقرار النفسي للمراهق هي الرضا عن الذات، خاصة بالنسبة للتغيرات الجسمية المصاحبة لمرحلة المراهقة، مثل: شكل الوجه ودرجة الصوت والطول والوزن، وإذا ما واجه المراهق ذلك بحالة من عدم الرضا وعدم القبول وخاصة في حالة تعرضه للنقد أو الاستهزاء من داخل الأسرة أو الأصدقاء، فقد يواجه كل ذلك بمواقف انفعالية سالبة كالإحباط أو الاكتئاب وربما تتطور إلى العدوان كمظهر انفعالي عنيف.

إن انفعالات المراهق تتسم كذلك بالتهور، والانتقال المفاجئ بين الطرفين، أي من أقصى درجات الفرح إلى الحزن غير المبرر والعكس، كما يعبر عن انفعالاته المبالغ فيها في صورة بكاء شبه هستيري إلى ضحك وصراخ في غير مكانه وزمانه، ويعاني المراهق في تعامله مع الكبار فيجنح إلى عدم إطاعة الأوامر والتمرد أحياناً على تقاليد الأسرة، ويعتقد أنه الأصوب دائماً في تعاملاته مع الآخرين، ويرى معالجة الأمور من خلال منظوره الشخصي الضيق.

وبقدر ما تقدمه الأسرة من أساليب المعاملة السوية للمراهق بقدر ما تزداد تلك الانفعالات السلبية أو تقل، كما يدرك المراهق بوضوح حدود وإمكانات الأسرة التي يعيش فيها، ودائماً تزداد تطلعاته وحاجاته وفقاً لمعيار تلك الإمكانات المتاحة، وهنا تبدو أهمية توعية المراهق بدواعي أساليب المعاملة الأسرية له وأسبابها، وأهم أوجه الإنفاق المادي على المراهق وبقية أفراد الأسرة، والهدف المطلوب منه بدقة، مع تذكيره دائماً بأنسب الطرق التي ينبغي أن يسلكها لتحقيق تلك الأهداف، وذلك في إطار من الحب والحزم والحنان والتوجيه القيمي المستند على مبادئ الدين الإسلامي الحنيف التي أمر بها الله تعالى بتوجيه الأبناء على اتباع الطاعة والمعروف للوالدين.

النمو الاجتماعي:

إن أهم مظاهر النمو الاجتماعي لدى المراهق ما يلي:

١. الميل إلى الاستقلال والتحرر من قيود الأسرة والأوامر التي يعتقد أنها تحكم تصرفاته.

٢. الرغبة في التمرد وتحدي الكبار: سواء داخل نطاق الأسرة أو في المدرسة، كما تشتد المنافسة بينه وبين الآخرين، وتظهر بجلاء ملَكة النقد عنده والاعتراض على تصرفات الآخرين.

٣. يقابل ذلك اندماج المراهق بصورة كبيرة مع أصدقائه في إطار من الولاء والطاعة، ولعل من أهم أسباب ذلك الرغبة في التحرر من قيود الأسرة، إضافة إلى أن الصديق – في غالب تلك المرحلة – كثيراً ما يوافق على كل تصرفات صديقه ولا يعارضه، ولا يسمع منه كلمة (لا) التي كثيراً ما يسمعها داخل الأسرة، ويحرص الصديق من خلال تلك المسايرة على أمل استمرار تلك الصداقة.

إن النمو الاجتماعي للمراهق يتأثر بأساليب معاملة الوالدين، تلك الأسرة المثقفة الواعية بأمور دينها ودنياها، ولذلك فإن الاهتمام الزائد أو التدليل الزائد يوازي الإهمال الشديد، ويدفع ذلك إلى ضرورة المعاملة الأسرية السوية والمتوازنة بين متطلبات تلك المرحلة في إطار من الإلمام بالمظاهر الجسمية والنفسية والانفعالية المصاحبة لها، مما يشكل الجسر الذي يعبر المراهق من خلاله إلى مرحلة النضج الكامل سعياً نحو تحمل المسؤولية والإدارة الذاتية لنفسه ولمستقبله.

وإذا كانت الأسرة تتحمل الجهد في بناء السلوك الانفعالي المرغوب فيه فإن المدرسة تقوم بإكمال دور الأسرة في إرساء قواعد السلوك الاجتماعي والأخلاقي من خلال الأنشطة الرياضية والعلمية والثقافية التي تزكي من خلالها روح المنافسة الشريفة واحترام الآخرين، كما أن توافر هذا المناخ المدرسي السوي نحو زرع قيم الجماعة يمكن أن يعوّض القصور الذي قد يعانيه المراهق في تعاملاته داخل الأسرة، ويشكل عاملاً تربوياً مكملاً يضاف إلى قيم المجتمع عبر تعاملاته ووسائل إعلامه.



سمات شخصية المراهق بشكل عام[1] :

١. الافتقار إلى الاتزان النفسي :

وذلك بسبب التغيرات الفسيولوجية الوراثية المصاحبة لبداية مرحلة المراهقة والمتمثلة في انفعاله لمواقف قد تبدو عادية، وهو ما يدل على عدم التكيف والتوافق مع البيئة التي يعيش فيها، وتؤدي الأسرة وأساليب معاملة الوالدين دوراً كبيراً في معالجة تلك الانفعالات، إما بالمواجهة المحبطة، أو بتفهم طبيعة هذا التغير الفسيولوجي للمراهق والعمل على تفريغه في مجالات حركية سواءً كانت رياضية أو عملية هادفة.

٢. تضارب القيم وتصارعها لدى المراهق :

وهي سمة تلازم شخصية المراهق بين ما تعلمه ودرسه، وما ترسّخ لديه من نماذج وما يراه على أرض الواقع، مما يؤدي إلى تصارع قيمي ينشأ في وجدان المراهق، وهنا يظهر أيضاً دور الأسرة في تقريب المسافات بين مثاليات المراهق وواقعه الذي يعيش فيه في إطار تدعيم القيم الدينية الإسلامية الحنيفة، وأن هناك دائماً خيراً وشراً يتصارعان وأن الغلبة دائماً في النهاية لجانب الخير، وأن الأصل هو الابتلاء من الله عز وجل وأن الخير فتنة والشر كذلك، وهو ما يمثل أهم جوانب التحصين التدريجي المتفاعل لكل صراعات القيم التي قد تنشأ لدى المراهق، فتعيد إليه الاتزان النفسي وتدعم ثقته – داخل المجتمع – في واقعه الذي يعيش فيه وفي مستقبله القادم.

٣. الحاجة إلى الاستقلال وتأكيد الذات :

والاستقلال هنا بمفهومه المادي والأدبي والاجتماعي، الذي يقترن بقيم احترام الذات وتقديرها أو تحقيرها في علاقتها بالآخرين.

وتعد متغيرات الحاجة إلى الاستقلال وتأكيد الذات المشكّلة لمرحلة التغير في سمات شخصية المراهق بمثابة متغيرات بيئية نسبية، أي تختلف في حدة ظهورها، وفي طرق التعامل معها من مجتمع إلى آخر.

---

(١) فادية كامل حمام، علي أحمد مصطفى – علم نفس النمو.



٤. الحاجة إلى شحنة عاطفية حميمة من أفراد الأسرة:

الذي يرتبط بأساليب معاملة الوالدين الدافئة، التي تمثل سياجاً لدعم الاستقلال المادي والأدبي – بصورة تدريجية وهادئة – بما يؤدي لإشاعة ثقة المراهق في قدراته وتثبيت دعائم الذات لديه.

٥. البحث عن هدف وإطار قيمي يحكم سلوكياته وتصرفاته:

كما يرى حامد الفقي أن شخصية المراهق تتميز بالتوتر والاضطراب الفسيولوجي، وربما كان للبيئة التي يتعامل معها دور في ذلك، إن أهم ما يشكل مرحلة المراهقة في صراعها واضطرابها هو البحث عن إطار مرجعي يعود إليه المراهق حين يواجه تلك الصراعات أو الإحباطات في تعامله مع الآخرين ولا يتحقق هذا الهدف القيمي في حياة المراهق إلا في الإطار الديني الإسلامي القويم.

ويرى علاء كفافي أن أهم دعائم النموذج الإسلامي وجوانبه الذي يمكن أن تدعمه الأسرة، ويرتضيه المراهق نموذجاً وهدفاً، يرتكز على جانبين هما: الجانب الوقائي، والجانب النمائي؛ حيث يرتكز الجانب الوقائي على الإيمان بالله تعالى وعدم إغفال الجوانب المادية والروحية التي تشكل كيان الإنسان في تفاعله مع الآخرين.

٦. قلق المراهق على مظهره:

للمظهر أثر كبير على الهوية الذاتية للمراهق، عندما ينظر المراهق في المرآة إلى شكله، وإذا لم يعجب أو يشعر بالرضا عن هذا المظهر فإنها الطامة الكبرى في حياته ومشاعره، وإذا ما قلنا له وكررنا عليه أن لا أساس لقلقه ولا مبرر له، فإنه لن يستخلص إلا نتيجة واحدة وهي أننا لا نتفهمه ولا نشعر بمشاعره، وأننا لا نعرف شيئاً عن الشباب وحياتهم.

ولأن المظهر هو أهم ما يشغل المراهقين فعلينا توجيههم بهذا الشأن فإذا كان معجباً بنفسه – في حال تمتعه بحسن الخلقة – فيجب توجيهه إلى ضرورة مقابلة هذا بشكر الله المنعم على هذا المظهر الجميل، وتذكيره بقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧].

وإذا كان قلقاً وغير راض عن هذا المظهر فمن الضروري توجيهه إلى أن الإنسان خُلق للعبادة، و«**إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى القلوب التي في الصدور**» كما قال ﷺ.

أما بخصوص قلق المراهقين على مستقبلهم ودراستهم وزواجهم، فإن القضاء على هذا القلق لن يكون إلا بزيادة الإيمان والتوكل على الله سبحانه وتعالى، وتزويد المراهق من آن إلى آخر بآيات وأحاديث تحث على التوكل الكامل على الله سبحانه وتعالى مع السعي والرضا التام برزق الله مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣] ومثل قول رسوله ﷺ: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً**».

الفرق بين نمو الإناث ونمو الذكور:

يقول ستيف بيدولف[(١)]: «في الثلاثين سنة الأخيرة، كان مجرد التفكير في فروق طبيعية بين الجنسين لا يلقى التشجيع على الإطلاق، بسبب تبريرات علم الأحياء؛ حيث ظهر على يد بعض علمائه أنه طالما أن مخ المرأة أصغر فلا بد أنها غير مؤهلة لأعمال أخرى غير الأمومة وأعمال المنزل، وهذا أدى إلى منع المرأة من التصويت، وإعطاء المرأة العاملة أجراً أقل، ومنعها من امتلاك عقارات أو أن يكون لها ملكية خاصة، ولتحقيق المساواة للمرأة خلال مدة السبعينيات والثمانينيات، كان من الضروري الاحتجاج بأن المرأة ولدت مساوية للرجل، لذا فقد أصبح البحث في موضوعات الاختلافات النوعية شيئاً محرماً لأن الجميع كانوا لا يرغبون في أن يُنظر إليهم على أنهم معارضون لتحرير المرأة».

ويتابع بيدولف: «في هذه الأيام بدأت الظلال تخيم على فكرة عدم وجود اختلافات نوعية. وأصبحت فكرة وجود اختلافات طبيعية غير تلك التي تسببها الظروف الاجتماعية مقبولة، وغير مرفوضة – وهي لا تعني أن الفتيات أفضل من الأولاد والعكس. فإذا كانت عقول بعض الفتيات تظهر فهماً أسرع من عقول بعض

---

(١) ستيف بيدولف – تربية الأولاد – ص٣٧.

الأولاد ، فيمكننا حينئذٍ أن نخطط للمستقبل على ضوء هذه النظرية وبالتالي فلن تكون الاختلافات مثار الاختلاف».

ويرى بيدولف أنه «إذا كان الولد في المدرسة يفضل أن يتلقى تعليمات أكثر تحديداً ووضوحاً – بينما تفضل الفتاة أن تعمل ضمن فريق من الصديقات، حينئذٍ نستطيع أن نلبي احتياجات النوعين معاً ، وإذا كان الولد يميل إلى استخدام قوته الجسدية – التي تزيد بنسبة ٣٠٪ عما لدى الإناث – بينما البنت تميل إلى استخدام الكلمات فإننا نستطيع أن نساعدهما على فهم بعضهما بعضاً ، وعلى أن يتحدث كل منهما بـ (لغة الآخر) – خاصة إذا علمنا أن هرمون مثل هرمون التستوستيرون الذي تزيد نسبة إفرازه عند الذكور يؤدي إلى زيادة النشاط والسلوك العنيف عندهم – يمكننا أن نلجأ للقليل من اللوم والكثير من الفهم في تعاملنا مع الجنسين، فعلينا أن نساعد الفتيان في أن لا يستخدموا عضلاتهم لضرب بعضهم بعضاً أو ضرب الفتيات، وعلينا أن نساعد الفتيات في عدم استخدام مهاراتهن الكلامية البارعة في غيظ ومكايدة الأولاد والسخرية منهم، مع ملاحظة أنه أحياناً ربما وجدت فتيات عنيفات نتيجة زيادة نسبة إفراز التستوسترون لديهن».

وأتساءل تعقيباً على ما ذكره بيدولف: ماذا لو كان هؤلاء الذكور وأولئك الفتيات اللاتي تزيد نسبة إفراز التستوسترون عندهم يشاهدون أفلام العنف ويلعبون بألعاب العنف معظم الوقت.



تطبيقات على الإطار النظري:

التطبيق الأول: قصتي مع الجماعة الضالة[1] :

عندما كنت في مرحلة المراهقة، ذهبت ذات يوم إلى منزل إحدى الصديقات التي دعتني لحضور (جمعة صديقات)، فلفتت نظري إحدى الفتيات... حيث كانت تتحدث عن الدين بطريقة أعجبتني، كما أعجبتني ملابسها المحتشمة جداً ، لدرجة

(١) العنود الطيار – مذكرات امرأة عربية.

أنها كانت محجبة في المجلس الذي ليس فيه إلا نساء، ولما كنت أحب الحشمة والمحتشمات إلى حد كبير فقد أقبلت عليها وتكلمت معها كثيراً فدعتني إلى التعاون على حفظ القرآن الكريم، طبعاً ما كان مني إلا أن وافقت وبدأت أتردد عليها وتتردد عليّ، كل هذا من أجل حفظ القرآن، وانضم إلينا أخواتي، وفتيات أخريات، وكوّنا جماعة صغيرة، كنا نلتقي من أجل التعاون على تعلم الدين وليس القرآن فقط، وكان أسلوبها يخلب الألباب، كانت تكيل المديح لكل واحدة منا، وتسمعنا كلمات الحنان والحب، وكانت تضمّن جلساتنا الأناشيد الإسلامية المنتقاة على حسب الغرض التي يصاحبها الضرب على الدفوف، مع الكثير من المرح.

وكانت تستغل حدوث مناسبة لأي واحدة منا كي تزورها وتقيم لها احتفال صغير، وهكذا فقد كنا نجد من يزورنا، ومن يسأل عنا دائماً، ويشعرنا أنه يهتم بكل صغيرة وكبيرة في حياتنا، ولذا أحببناها، وكنا فرحات بهذه الجماعة.

وما هو إلا قليل حتى اكتشفنا أن جماعتنا ما هي إلا جماعة صغيرة ضمن جماعة أكبر وأن فتاتنا يلقبونها (الأبلة) وأن هناك من الداعيات أمثالها، معظمهن من جنسية غير سعودية، كل واحدة منهن تلقب بـ (أبلة) وأن كل هؤلاء ترأسهن شيخة يسمونها (آنسة). بدأت أبلتنا تدمجنا مع الجماعات الأخرى لنكون بالتالي جماعة كبيرة تجلس من آن لآخر أمام الآنسة، لتلقي علينا بعض الدروس، والنصائح، والأوامر.

وكانت الآنسة أيضاً تستخدم أسلوب المديح بكثرة، وكلمات الإعجاب والحب أي الأسلوب نفسه الذي كانت تستخدمه الأبلة، وهذا المنهج يسمونه (الاحتواء). وكن يهمسن فيما بينهن: هؤلاء السعوديات محرومات من عطف أهاليهن وحنانهم لذا فمن السهل جذبهن واحتوائهن.

وكن يشعرننا أنهن على استعداد لمساعدتنا عند الحاجة، وشيئاً فشيئاً بدأن يطلبن التبرع كما كن يطلبن مساعدة الأخريات مادياً ومعنوياً، وأن هذا كله في سبيل الله وكنا سريعات الاستجابة حباً لله، حتى أننا لم نكن نجد وقتاً كافياً



لواجباتنا الاجتماعية نحو أهلنا، حيث كنا قد كونا مجتمعاً صغيراً داخل هذه الجماعة، ومطلوب منا القيام بكل الواجبات المادية والاجتماعية نحو أفراد هذه الجماعة.

ولما كنا نريد وجه الله فقد كنا نتسابق لأداء هذه الواجبات ولو على حساب أسرنا حيث أفهمننا أن طاعة الآنسة والأبلة من طاعة الله، وكانت هناك مبادئ لابد لنا من الالتزام بها إذا كنا نريد البقاء مع هذه الجماعة التي تمكّن حبها من قلوبنا، لأننا أحسسنا بالسعادة معها، فمن الطبيعي أن تحب من يمدحك دائماً، ويشجعك، ويطمئنك أنك على الحق، ويعبر لك باستمرار عن حبه، ويشعرك لو بمجرد الإيحاء أنه يقف معك ولن يتخلى عنك، في الوقت الذي يحاول فيه أن يقنعك بأنك لن تجد غيره يقف معك ويهتم بك لو خرجت من هذه الجماعة، وأنك ستضيع أيما ضياع من دونها، وكن يتسلحن دائما بقول رسول الله ﷺ: «**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**» مما جعل كل واحدة منا تخشى أن تكون هي تلك الغنمة القاصية، وهذا هو ما كان يشدنا إليهن بقوة لا مثيل لها. كنا نخشى إن تركناهن أن نضيع... على حسب ما أقنعننا به عن طريق الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، التي كن ينزلنها على أنفسهن دائماً، ويحاولن أن يقنعننا عن طريق الأدلة بأنهن هن أهل السنة والجماعة، ولا أحد غيرهن، حتى أن الآنسة حلفت ذات مرة قائلة «إحنا أحسن ناس في الدنيا».

وحتى لا نتركهن إلى غيرهن، كن يمنعننا من قراءة كتب أخرى غير التي قررنها علينا، التي لا بد أن نحفظها ونختبر بها، وكن يمنعننا من الاتصال بغيرهن من العلماء أو الداعيات الأخريات مهما بلغت مرتبتهم الدينية، حتى الشيخ عبدالعزيز بن باز كن يمنعننا من الاتصال به، ويحاولن تشويه صورته عندنا، لأنه حقق مع إحدى الآنسات وتبين انحراف عقيدتها، وتم طردها من المملكة.

ولكنني لم أكن أنصاع لهذه الرغبة أبداً، حيث كنت ألجأ لعلمائنا خاصة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عندما تشكل عليّ أي مسألة، وكنت أستمع بانتظام لفضيلة الشيخ ابن عثيمين في الإذاعة، ولغيره من العلماء، خاصة برنامج

نور على الدرب، لأنني لا أجد أي مبرر لاتخاذ موقف سيء ضد علمائنا وعالماتنا الأفاضل.

ولكن طبعاً، كان هذا الاتصال بعلمائنا على غير علم منهن، لأنهن لو علمن فسوف يعاقبنني عن طريق النبذ والتشهير أمام عضوات الجماعة وربما الفصل، مع العلم أنهن كن يحاولن معرفة أخبارنا، والتجسس علينا للتأكد من أننا ملتزمات بما يُطلب منا، ولم يكنّ يعبأن بنا عند اكتشافنا لهذا الأسلوب، لأنهن كن يردننا أن نعلم أنهن يعلمن عنا كل شيء حتى نخشاهن ولا نحاول الخروج على أوامرهن.

ولقد سمعت فيما بعد عن واحدة من المريدات حضرت درس دين لداعية من غير هذه الجماعة، فتم الترصد لها من قبل مجموعة منهن، وتم ضربها حتى أسقطت جنينها.

ولكن بالطبع هذا التصرف الأحمق عاد بالوبال على عضوات الجماعة لأن ضرب هذه الشابة التي كانت معهن أدى إلى خروجها من غير رجعة، كما أدى إلى خروج أعداد كبيرة من المنتسبات لهذه الجماعة الذين يمتون بصلات مختلفة للشابة المضروبة، أما أبوها الغني الذي كان من أكبر الممولين للجماعة فقد تراجع عن هذا التمويل وأخلى عماراته من ساكنيها – أي عضوات الجماعة – في بلد الجماعة الأصلي.

وبالإضافة إلى الحصار الذي فرضنه على علاقاتنا بعلمائنا كن يؤكدن علينا أشد التأكيد على عدم نقل أي شيء مما يجري إلى أي أحد كائناً من كان حتى والدينا، وكن يقنعننا بجواز هذا السرية المطلقة بقولهن: «إن دعوة رسول الله ﷺ كانت سرية في البداية ونحن إنما نقتدي به في كل شيء».

وإذا قالت الأبلة أو الآنسة لواحدة منا أي شيء دون علم الأخريات، فلا يجب عليها أن تخبرهن به حتى لو كن شقيقاتها.

كما يحرم علينا مناقشة أي أمر من أمور الجماعة، أو الاعتراض على أي شيء أو رفض أي طلب، فالآنسة ومن في مستواها لا يُسألن عما يقلن ولا ما يفعلن، بل



يُسلّم لهن تسليماً مطلقاً، وتقبل أياديهن ورؤوسهن، ولا مانع من تقبيل أقدامهن أيضاً والشرب والأكل من ورائهن من باب التبرك بآثارهن.

كان يجب علينا إخبارهن بكل شيء عن حياتنا مهما دق وخفي، وكان يجب كذلك الاستئذان من الآنسة قبل اتخاذ أي قرار، حتى علاقاتنا مع غيرهن، كان يجب استئذانها قبل إقامة أي علاقة أو القيام بأي زيارة لأي أحد، فالاستئذان يجب أن يكون منهن قبل الوالدين وقبل الزوج بالنسبة للمتزوجات، فإذا رفضت لا يحق لأحد مراجعتها.

أي كان الولاء المطلق للآنسة والأبلة، وكانت الأمهات وبعض الآباء والأزواج يشعرون بضيق مما يحدث، ولكنهم لا يعرفون السبب، لأن البنات لم يكنّ يخبرنهم بأي شيء، كان معظم الأهالي منزعجون لأنهم كانوا يشعرون أن لا حول لهم ولا قوة بالإضافة إلى أن البنات كن يعرفن كيف يحصلن على ما يردنه طالما أنهن مقتنعات كل القناعة أنهن على الحق، وطالما أن الآنسة حللت لهن الكذب من أجل الحصول على ما يردنه من الحق (المزعوم)، ثم إن الأهالي أنفسهم لم يكونوا يسمعون من البنات غير قال الله تعالى... وقال الرسول ﷺ.

ولكن كان لسان حال معظم الأهالي يقول: «أسمع كلامك أصدق أشوف أحوالك أتعجب».

لماذا كنا مقتنعات كل القناعة بهذه الجماعة؟!

لأن الآنسة كانت تشعرنا كأنها تؤدي دور رسول الله ﷺ ونحن نؤدي دور الصحابة، وهذا ما كان يجعلنا نشعر بالسعادة، ويجعل الانسياق خلفها أمراً بدهياً. ولكنها بدأت تظهر على حقيقتها، لماذا؟

لأنها ومن معها اعتقدن أنهن أوصلننا إلى مرحلة الإخضاع التام، التي تؤهلنا إلى تقبل بعض الطقوس التي كن متأكدات أننا سوف نقوم بها مهما يكن، ومن دون أي تفكير.

وبدأن يأخذن راحتهن معنا، فبعد أن كن يمثلن أدواراً هي في الحقيقة ليست من طبعهن كعبارات الحب والحنان والإعجاب وهي متطلبات مرحلة الاحتواء ومرحلة الإعداد، بدأن يثرن علينا لأتفه سبب، ليؤنبننا على تقصيرنا بسبب الانتقال إلى مرحلة الإخضاع، تمهيداً إلى الانتقال إلى (الزبدة) وهي المرحلة الأخيرة: مرحلة فرض المعتقد.

حيث كان يُطلب منا تسجيل برنامج يومي للصلاة وأعمال النوافل والعمل الدعوي في ورقة، ومن ثم تقديمه بعد التنفيذ إلى الآنسة أسبوعياً، التي بدأت تغير أسلوبها حيث كانت تدّعي أن برامجنا لا تعجبها أغلب الأحيان، مع أنني أجزم أننا كنا نقوم بأعمال لم تكن تقوم بها هي، ولكنها كانت تدّعي أننا مقصرات أشد التقصير، بل وتقول لنا من آن لآخر أننا سيئات ووجوهنا سوداء بسبب الذنوب، فكانت تغضب وتؤنبنا تأنيباً شديداً وذات مرة من شدة تأنيبها شتمت آباءنا، مع أننا كنا نحاول جاهدات إرضاءها بالعمل وبالعطاء، حتى أن إحدانا كانت تعطيها جزءاً كبيراً من مرتبها من تلقاء نفسها، وكانت أمها تستغرب من هذا، كيف تعطيها كل هذا المبلغ دون أن تعطي أمها شيئاً... إنه غسيل الدماغ، ولا شيء غير غسيل الدماغ، كما أنه اللعب على العامل النفسي بانتظام للظفر بالهدف المنشود.

لقد كنا واثقات تماماً أنها على الحق فلم نكن نسمع إلا القرآن والحديث الشريف ولكن عدم قدرتهن على أداء دور رسول الله ﷺ جيداً، جعلني أخفف من الذهاب إليهن، حتى انقطعت فترة طويلة.

إلى أن دعتني (الأبلة) ذات يوم إلى حضور اجتماع مع (الآنسة) فأتيت إلى المنزل المحدد وكان في صباح أحد أيام الثامن من ذي الحجة، حضرت ووجدت أعداداً كبيرة من الفتيات، وكل واحدة منهن تقرأ في المصحف ما قررته الآنسة التي لم تحضر إلا عصراً وما أن حضرت حتى سألت عن ما تم قراءته، ثم بدأت بعض الفتيات بضرب الدف وأخذ الجميع ينشد معها، وكانت هذه الطقوس تمارس قبل البدء بأي درس، وبعد أن انتهين، أخذت الآنسة في ترديد بعض التسابيح والتهليلات والتكبيرات والأخريات يرددن خلفها، ثم أخذت تدعو والأخريات يرددن وراءها،



ومن ضمن ما قالته: «يا رسول الله ضاقت حيلتي أنت وسيلتي أدركني سريعاً بعزة الله» والباقيات يرددن وراءها الكلام نفسه.

أخذتني انتفاضة داخلية شديدة من هذا الكلام الذي لم أسمعه من قبل أبداً ولكني صمت، وشعرت أنني فقدت صوابي فلا أعرف ماذا قلن بعدها... حتى انتهين من هذه الطقوس، وكانت المائدة جاهزة، فأقبلن عليها، لم أشعر برغبة في الطعام، مكثت قليلاً ثم خرجت.

وفي اليوم التالي اتصلتُ على (أبلتي)، مستنكرةً ما سمعت، فلم تجب بشيء، وبعد يومين اتصلت مرة أخرى ففاجأتني بهذه الإجابة: إن رسول الله ﷺ هو أعظم البشر واسمه مكتوب تحت العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولذا هو ليس مثلنا نحن البشر، أي تقصد أنه يقدر على ما لا نقدر عليه نحن، وأنه يمكن أن يسمع وهو ميت ويجيب، أي أنهن أنزلن الرسول ﷺ منزلة الإله، وهذا كفر يخلد صاحبه في النار.

طبعاً حاولت الأبلة جاهدة أن تبرر الموقف، ولكن من دون جدوى، فأنا مؤمنة كل الإيمان بأن هذا حرام... حرام... حرام.

الذي حدث بعد هذا أنني نبهت أخواتي وغيرهن من الصديقات لعظم هذا الذنب، وأنه لا يمكن الاستمرار مع هؤلاء، فاستجبن لي، كما نبهت بعضاً من الفتيات اللاتي معهن ولكن بعضهن للأسف لم يستجب.

وكتبت خطاباً إلى الرئيسة الكبرى في بلدها العربي أشرح لها بالأدلة عظم الذنب الذي ارتكبنه، وقلت: من هو قليل الأدب الذي وضع هذا الدعاء؟ ولماذا؟!

طبعاً بدأن يتخبطن في إيجاد التبريرات، ولكن أياً منها لم يكن مقنعاً البتة، كل مرة كن يجبن بطريقة مختلفة، وإحدى الإجابات المضحكة التي أجابتني بها الأبلة: إن إحدى بناتنا زوجها يريد أن يتزوج عليها فالآنسة تدعو بهذا الدعاء لهذا السبب.

وإجابة أخرى: «خلاص معك حأ، بطلنا نؤول هادا الكلام»، وإجابة ثالثة: «إنت وأفتي عند هادي النؤطة».

أستطيع أن أستنتج بعد خروجنا من الظلام إلى النور أن طريقة هذه الجماعة التي قال الكثيرون عنها أنها صوفية تعتمد على مراحل هي:

المرحلة الأولى (مرحلة الاحتواء) وفيها يتم الغزو النفسي.

المرحلة الثانية (مرحلة الإعداد العلمي — وهي ثقافة إسلامية عامة).

المرحلة الثالثة (مرحلة الإخضاع التام).

المرحلة الرابعة (مرحلة فرض المعتقد وهو الكفر والشرك وكم هائل من البدع).

وهاتان المرحلتان هما عبارة عن غزو عقلي خالص.

طبعاً لكل مرحلة أسلوب معاملة معين، ففي البداية يُقتصر على اللين وحسن الخلق والتودد، وكثرة المدح، وإظهار الحب والإعجاب، والتسامح، وإيجاد الأجواء المرحة عن طريق الحفلات والأناشيد والزيارات (الروحات والجيات) وذلك لكسب حب البنت وتعلقها، ويمكن أن نسميه (غزواً نفسياً خالصاً) وبعد أن يطمئنّ على نجاح هذه المرحلة عن طريق إجراء امتحانات معينة منها التجسس على حياة البنت، وكثرة سؤال الأخريات عنها، والبدء بمحاسبتها لمعرفة مدى جاهزيتها للمرحلة التالية وهي مرحلة (الغزو العقلي) التي تحتاج إلى الإخضاع الكامل والتسليم التام، وهذا ما يجعلهن يستخدمن الأسلوب القاسي فيما بعد، وفرض الأوامر، والحصار العاطفي والعقلي والنفسي.

وليس هناك زمن محدد لهذه المراحل لأن الانتقال من مرحلة إلى أخرى يعتمد فقط على مدى جاهزية البنات، إذ إن هناك من لا يتم الترحيب بهن أصلاً، وهؤلاء يكن عادةً قادمات من بيئات متدينة، أو معروفة بالريادة الدينية، فيُخشى منهن أن يكشفن أمرهن وهناك من يتم استبعادها بعد فترة وجيزة، وهناك من تراوح مكانها في المراحل الأولى وهناك من يُكتب لها النجاة والخروج عند المراحل المتقدمة، وهناك من تبقى في الظلام.

وهن يفضلن الفتيات اللاتي يبدو عليهن البراءة والطيبة ولذا كلما صغر السن كلما كان أفضل، خاصة إذا رافق هذا شيئاً من اليسار أو المكانة الاجتماعية.

ونجد هنا سؤالاً يطرح نفسه: من أين كن يأتين بهؤلاء البنات؟



الجواب: كن يفرضن على تابعاتهن بشتى الوسائل أن يُحضرن صديقاتهن وأخواتهن وكل من يعرفن من البنات، وربما لهذا نجدهن يثُرن على بعض البنات إذا لم يحضرن أخريات ثم يبدأن بالفرز ويقررن بطريقة سرية: (هذه نريدها، وهذه لا نريدها) حيث كن يخترن الفتيات اللاتي منهن فائدة قدر الإمكان وليس من ورائهن ضرر مثل كشف أمرهن.

وتبلغ منزلة البنت عندهن على قدر ما تحضر لهن من فتيات.

ومن مبادئهن: الغاية تبرر الوسيلة، ولذا لا مانع من استخدام الكذب، وربما ما لا يخطر على بال.

ومن وسائلهن: إقامة الحفلات من آن لآخر لمن تختم القرآن، أو لأي مناسبة على حسب المزاج، ويتم إعطاء الهدايا التي غالباً ما تكون زهيدة الثمن، ومن وسائلهن أيضاً حث الفتيات في المراحل المتقدمة على السفر إلى ذلك البلد العربي الذي قدمن منه لمقابلة أساطين هذه الطريقة، أو العقل المدبر للتتلمذ عليها أو عليه بشكل مباشر، ولكن والحمد لله لم يحدث هذا لي، حيث لم أكن قد أُهلت لهذه المرحلة، التي كن يعبّرن عنها بقولهن: «الجنة عروس مهرها النفوس» ويقصدن بالجنة أي ذلك البلد العربي.

ويجب ملاحظة أنني أتحدث عن الفتيات، ولكن هذا لا يعني أن ليس هناك أطفال بل لديهن برامج خاصة ومعاملة مختلفة للأطفال تناسبهم، بل ويسعون دائماً إلى إنشاء رياض أطفال ومدارس خاصة بهن. وأعتقد أن هناك تنظيم خاص بالرجال كذلك والله أعلم.

هذا ما سمعناه بآذاننا وشاهدناه بأم أعيننا ونحن نُشهد الله العظيم على هذا، أما ما لم نشاهده من أسرار هذه الجماعة ومن أهدافها الحقيقية فالله أعلم به.

وهكذا أخفت عضوات هذه الجماعة حقيقة عقيدتهن المنحرفة كل الانحراف، وإن ادعينَ أنهن يؤمنّ بعقيدة أهل السنة والجماعة، فحقيقة ممارساتهن لا تدل على هذا أبداً؛ إذ يرى العلماء أن عقيدتهن هذه هي أكفر الكفر، وأكفر

من كفر السابقين لأن السابقين كانوا يلجؤون إلى الله عند الشدة، أما هؤلاء فعند الشدة يلجؤون إلى الرسول ﷺ أو غيره من الأموات.. نسأل الله السلامة.

وقد هاجمتُ هؤلاء في كتابي (مذكرات امرأة عربية) قائلةً لهن: لماذا غششتننا منذ البداية؟ لماذا لم تخبرننا منذ البداية بعقيدة الكفر التي تؤمنَّ بها؟ لماذا أخفيتن عنا كل شيء عامدات متعمدات، وأظهرتن ما لا تبطنن وجعلتن الأمر كله لا يعدو عن كونه مجرد حفظ قرآن كريم... وحفظ حديث شريف وتعاون على البر والتقوى؟!

ولقد تذكرت بعد أن اكتشفت أسلوب هذه الجماعة القائم على استهداف صغار السن عن طريق خداعهم وغسل أدمغتهم جماعة أخرى تشبهها من حيث استهداف الأطفال والمراهقين، وهي:

جماعة (الحشاشين):

فقد ورد في تقرير من إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي أن أفراد هذه الجماعة سُموا بالحشاشين لأنهم كانوا يستخدمون الحشيش في السيطرة على أتباعهم وفي غسل أدمغتهم.

وقد كان شعارهم في بعض مراحلهم: (لا حقيقة في الوجود وكل أمر مباح). كانت وسيلتهم الاغتيال المنظم، وذلك عن طريق تدريب الأطفال على الطاعة العمياء والإيمان بكل ما يُلقى إليهم، وعندما يشتد ساعدهم يدربونهم على الأسلحة المعروفة ولا سيما الخناجر، ويعلمونهم الاختفاء والسرية وأن يقتل الفدائي نفسه قبل أن يبوح بكلمة واحدة من أسرارهم. وبذلك أعدوا طائفة الفدائيين التي أفزعوا بها العالم الإسلامي آنذاك.

يقول عنهم المؤرخ كمال الدين بن العديم: في عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م «انخرط سكان جبل السماق في الآثام والفسوق وأسموا أنفسهم المتطهرين، واختلط الرجال والنساء في حفلات الشراب ولم يمتنع رجل عن أخته أو ابنته، وارتدت النساء ملابس الرجال، وأعلن أحدهم بأن سناناً – رئيسهم – هو ربه».

وقيل: إن الحشاشين جناح من الإسماعيلية (النزارية) اتخذوا القتل وسيلة لهم، وقاموا بحركة اغتيالات واسعة شملت كبار الشخصيات المناوئة للإسماعيليين من ملوك وقادة جيوش وكل من يظهر خصومة لهم، وقد أفتى العلماء باستباحة دمائهم ووجوب تنظيف الأرض من دنسهم وعدم جواز أكل ذبيحتهم أو عقد صداقات معهم.

ومع أن زوالهم في إيران كان على يد هولاكو المغولي وفي سوريا على يد الظاهر بيبرس، إلا أنه لا يزال هناك أتباع لهذه الجماعة في بعض البلدان الإسلامية.

وإذا طبقنا الإطار النظري الذي سبق استعراضه عند الحديث عن سمات الشخصية لدى المراهقين على الجماعة الضالة التي غررت بالفتيات، سنجد التالي:

أن لدينا نوعين من المراهقين: نوع يميل إلى المثالية والحماس الديني، ونوع يميل إلى اللامبالاة والسخرية من القيم. وبالنسبة للفتيات المغرر بهن في هذه القصة نجد أنهن من النوع الأول، وهذا ما فطنت إليه عضوات الجماعة الأصليات فاستغللن هذا الحماس ليدفعن بهن إلى الانخراط في هذه الجماعة. كما استغلت عضوات الجماعة – اللاتي من الواضح أنهن على دراية تامة بسيكولوجية المراهقات – حاجات المراهقات النفسية كالحاجة إلى الحب والتقدير، والحاجة إلى شحنة عاطفية حميمة من أفراد الأسرة. وذلك باعتراف عضوات الجماعة باستغلالهن لهذه الحاجة كما سبق توضيح ذلك عندما قلن: (هؤلاء السعوديات محرومات من عطف أهاليهن وحبهم). كما استغللن حاجة المراهقات إلى الإحساس بالاستقلال والمسؤولية والتحرر من قيود الأسرة ورغبتهن في تأكيد الذات، فلجأن إلى تعويضهن بشتى السبل، ولكن لحاجة في أنفسهن وهي أن يتمكنّ من فريستهن إلى أقصى ما يمكن. ومن أهم هذه الحاجات التي استغللنها حاجة المراهقات إلى الصداقة والاندماج في الصديقات في إطار من الولاء. كما استغللن معرفتهن بوجود صراع قيمي ينشأ في وجدان المراهقة يتمثل في البحث عن إطار مرجعي تعود إليه المراهقة حين تواجه تلك الصراعات أو الإحباطات في تعاملها مع الآخرين مع غياب دور الأسرة في تقريب المسافات بين مثاليات المراهقة وواقعها.

كما استغللن قابلية المراهقات للاستهواء، وهذا يتضح في انبهار المراهقات بشخصيات عضوات الجماعة وأدائهن، وقد وجدنا أن بعض هؤلاء المراهقات نجون من مخالب هذه الجماعة نتيجة لقيام الأسرة والمدرسة بدورهما الصحيح في الطفولة، كما هو واضح من السرد السابق، حيث نجد الأساس العقدي القوي الصحيح، مما كان بمثابة بنك تسحب منه الفتيات عند الحاجة، وهذا ما أنقذهن بالفعل والحمد لله؛ لذا نؤكد وبكل قوة على دور الأسرة والمدرسة والعلماء والدعاة وكل الوسائل المتاحة في المجتمع على أن يقوم كل بدوره وواجبه منذ الطفولة خاصة فيما يتعلق بغرس العقيدة الصحيحة، لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي سيحمي المراهق عند الضرورة في المستقبل من شرك الضلال والانحراف والضياع.



التطبيق الثاني: المدرسة كوسيلة سهلة للاستدراج:

تعيش فاطمة مع أبنائها الثمانية، أكبرهم ريّان في الثامنة عشرة من عمره الذي يتصف بضعف البنية بطريقة كانت تدفعه إلى التذمر والشكوى المستمرة – وهي تعولهم لوحدها فالأب رجل مشرد هائم على وجهه يتعاطى المخدرات، ولا يرونه إلا نادراً. كانت الأم حريصة جداً على أبنائها لدرجة أنها كانت توصلهم إلى المدرسة بنفسها ثم تعود لتأخذهم، وكانت تفعل هكذا مع ريّان أيضاً.

كان الولد عادياً إلى أن بلغ الرابعة عشرة من عمره، حيث بدأ يطالب أمه بنقود أكثر من المعدل الطبيعي، وبالرغم من اعتراضها على هذا المسلك إلا أنها كانت تضطر إلى إعطائه معظم الأحيان. كثرت طلبات الولد، وبدأت الأم تعاني من عصبيته وإصراره على ما يريد، ثم بدأت تعاني من إصراره على قيادة السيارة (الجيمس)، فكانت الأم تضطر إلى أن تخبّئ المفتاح تحت مخدتها، وفوجئت ذات يوم في منتصف الليل برنين الهاتف وإذا بالمتصل مسؤول من قبل قيادة المرور، وإذا به يخبرها أن ابنها مقبوض عليه بسبب تسببه بحادث صغير خرج الابن بعد فترة من الحجز، واكتشفت الأم أنه يتوجب عليها أن تكون أكثر حرصاً على المفتاح،

فبدأت تخبئه في أي مكان لا يمكن أن يكتشفها: بين جسدها وبين ملابسها وفي هذه الفترة بدأ الولد يتحسّن، قال لأمه: أنا لا بد أن أخدمكم بما تريدون.

وبالفعل استمر الولد بأخلاقه الطيبة يخدم أهله. ومضى شهران وهو يسوق لهم السيارة ويلبي طلباتهم، وكل شيء على ما يرام.، وفي يوم من الأيام اتصل رجل المرور مرة أخرى ليقول الكلام السابق نفسه للأم، قالت الأم: مستحيل، أنا مفتاحي مخبأ في مكان لا يمكن أن يصل إليه هذا الولد.

أكد لها الرجل أنه صادق ودلل على هذا بأن جعل ريّان يكلم أمه بالهاتف... دخل الولد الحجز، وبعد فترة خرج مرة أخرى. احتارت الأم في أمر هذا الولد، وبدأت تبحث في حاجياته حتى اكتشفت أن معه مفتاح آخر للسيارة، إذاً... الولد نسخ مفتاح السيارة.

قامت قيامة الأم وتشاجرت معه، حيث كثر خروجه من البيت وكثر تأخره، كان يتأخر إلى الثلث الأخير من الليل، وأحياناً إلى الفجر، وكانت معظم الأحيان تخشى عليه لدرجة أنها كانت تذهب لتبحث عنه بنفسها بواسطة سيارات الليموزين معرضةً نفسها للخطر هي الأخرى، ولكن شدة خشيتها عليه جعلها تتصرف بشكل جنوني، فليس هناك رجل تعتمد عليه ليبحث عنه بدلاً عنها... وبدأت تشم معه رائحة الدخان، ازدادت خشية الأم عليه، لا تدري ماذا تفعل، أخذت تكيل له النصائح ولكن لا فائدة. بدأت تستعين بأقاربه من الرجال مثل عمه وخاله لينصحاه... لا فائدة أيضاً، فالولد وصل به الأمر إلى أن تهاون بالمدرسة إلى حد أنه تركها أخيراً بمجرد وصوله إلى الصف الثالث متوسط، ورفض رفضاً قاطعاً العودة إليها.

استمرت الأم على المنوال نفسه، سنة وسنتان وأكثر، وذات مرة تأخر حتى وقت متأخر جداً من الليل خرجت لتبحث عنه كعادتها، وفي أحد الشوارع القريبة من المنزل وجدت بعض الغلمان يلعبون ويتحدثون سألتهم: هل رأيتم ابني ريّان؟ أجابها أحدهم بأنه ذهب مع شباب، وأخبرها أن هؤلاء الشباب يستغلونه، حتى أنهم

يفتشونه دائماً ويأخذون كل ما معه من مال، ويأخذون سيارته (الجيمس) ويذهبون به إلى مكان ما.

«هذا ما كنت أخشاه» حدثت الأم نفسها وهي تندب حظها، غير متناسيةّ أن تدعو ربها عز وجل. تقول: ذات مرة كنت ذاهبة مع ابن أخي الكبير محمد في مشوار وإذا بنا نشاهد سيارتنا يقودها رجل غريب يبدو في الخامسة والعشرين من العمر وربما أكثر، وإلى جانبه يجلس ابني المراهق، جن جنوني وجنون ابن أخي، طاردهم محمد و(حدّهم) حتى أوقفهم، وعندها فتح باب سيارتهم وأخرج الرجل من السيارة وهو يمسك بتلابيبه صارخاً في وجهه: لماذا تقود هذه السيارة؟! قال الرجل: أنا ركبت معه حتى يوصلني وقلت له دعني أقود السيارة، فقدتها، ثم ما دخلك أنت؟!

لكمه محمد قائلاً: أنت ما دخلك بهذا الصغير وأنت تكبره بعشر سنوات؟ أخذ محمد يضربه ضرباً شديداً من شدة الغضب ثم ركله بعيداً، وأغلق السيارة ليعود إليها بعد أن يوصل عمته وابنها. قال محمد لعمته: يا عمتي هذا الرجل هو الذي أوقعني بالحشيش مع شلته قبل عدة سنوات ولكن الله تعالى أنقذني منه، وها هو يعود ليلعب اللعبة نفسها مع ابنك فانتبهي. جن جنون المسكينة، وما أن وصلت إلى المنزل مع ابنها حتى حبسته في حجرة وظلت تضربه حتى أوشك على أن يفقد وعيه.

أقفلت عليه الباب، وما هي إلا لحظات حتى صرخ الولد مستنجداً بأمه: يا أمي افتحي الباب هناك (جني ما) صفعني، خافت الأم ففتحت الباب، ووجدت الصفعة فعلاً على خده، حضنته وبدأت تبكي كأن شيئاً لم يكن.

ربما كذب الولد عليها، وصفع نفسه بنفسه، على كل حال، جلست الأم بعد أن هدأ، وسألته عن هذا الرجل وكيف تعرّف عليه، وهل صحيح أن هناك من يأخذ منه نقوده عنوةً. أخبرها الولد بكل شيء، أخبرها أنه عندما كان في الصف الثاني متوسط كان هناك صبية أكبر منه سناً كانوا يترصّدون له عند باب



المدرسة حينما كانت توصله إلى باب المدرسة، وأنه بمجرد ذهابها كانوا يفتشونه ويأخذون منه نقوده كلها، قالت له الأم: لماذا لم تخبرني؟!

قال: كانوا يهددونني إن أنا أخبرتك فكنت أخاف منهم أشد الخوف وعندما علموا أن عندنا سيارة كانوا يطلبون مني أن أحضرها لهم لأنهم أولاد شوارع لا يملكون شيئاً. تساءلت الأم في نفسها وهي غاضبة أشد الغضب: أين كان أهل هؤلاء المشردين؟ وتساءلت أيضاً في انفعال ظاهر: أين المراقبين في المدرسة؟ لماذا لم يكونوا يتواجدون عند البوابة كي يدخلوا الطلاب إلى المدرسة بمجرد وصولهم ويحموهم من براثن هؤلاء المنحرفين؟

وبعد عدة أيام وبعد أن هدأت الأم... نصحت ولدها مرة أخرى بطريقة رقيقة ومحببة بأن يتقي الله، وينتبه إلى نفسه، قالت له أنها بأمس الحاجة إليه، هي وإخوانه الأصغر فليس لهم إلا الله ثم هو، وأن عليه أن يعود إلى المدرسة. ولكن سلوك هذا المراهق لم يكن يدل على أي تجاوب. ذات يوم جاء إليها ليستشيرها في أمر ما، قال لها: سألني أحد أفراد الشلة: ماذا تسكنون؟ فأجبت: شقة إيجار، قال: وإخوانك من يرفّههم ويسفرّهم طالما أن أبوك ضائع، فقلت: لا أحد، قال – وهو يؤدي دور الحزين: حرام، وضع محزن للغاية، لماذا لا تعمل على أن تسكن أنت وإياهم في فيلا جميلة وتمشّي أمك وإخوانك وتعيشون أحسن عيشة، فقلت: كيف؟! فقال: أنا أعطيك مليون ريال وآخذ لك فيلا على البحر مقابل أن تحضر لي سيارة مرسيدس فياجرا من المكان الفلاني شرط أن يركبها أهلك، فسألته: ماذا يوجد في هذه السيارة؟ فقال: ليس شأنك فما رأيك يا أمي، هل أوافق؟

فقلت: لا طبعاً، أكيد هناك مخدرات في هذه السيارة يريد منك أن توصلها إليه. فقال: وأنا قلت في نفسي أن هذا هو الواقع، ثم ما الذي يضمن لي أنه سوف يفي بوعده بعد أن أحضر السيارة، لقد علمت أنهم قتلوا أحد المتعاملين معهم لأنهم علموا أنه تاب وخافوا أن يبلّغ عنهم، ما الذي يضمن لي أن لا ألقى المصير نفسه، قلت لها: جميل جداً فولدك ذكي، ومن الصعب أن يحتال عليه أحد بسهولة. قالت: نعم، ولكني أشعر أنه محتار بيني وبينهم، ما زلت أخشى عليه.

قلت لها: ولدك محتاج إلى الكثير من الدعاء، وهو فيه خير والحمد لله، لأنه كما أخبرتني تأتيه فترات يعود فيها إلى الله ويداوم على المسجد، قالت: نعم، ولكنه في الفترة الحالية يصر على أن أعطيه ثلاثين ألف ريال ليسافر مثل الناس، فكما تعلمين نحن في الصيف ومعظم الناس مسافرين وهو يريد أن يسافر مثلهم والمشكلة أنه لا يصدقني أكثر الأحيان، وكثيراً ما يقول لي منفعلاً: أنت مجرد امرأة ويجب أن تعطيني بطاقة الصراف رغماً عنك، أنت مجرد امرأة، ويبدأ يكسّر كل ما حوله ليجبرني على إعطائه البطاقة، بل ويعتدي علي بتكتيفي ودفعي بكل اتجاه، وتابعت الأم متنهدة: لقد اكتشفت أن أفراد شلته هم الذين يزرعون في رأسه هذه المفاهيم، ويعلمونه الأساليب التي يستطيع بها أخذ بطاقة الصراف رغماً عني، دائماً يقولون له: كيف تخشى هذه المرأة، هذه مجرد امرأة أتخشى منها؟!

قالت وهي تبكي: لقد غسلوا دماغه تماماً، أخرجوا من دماغه أنني أم يجب أن يبرني ويطيعني، فأنا في نظره مجرد امرأة لا حول لها ولا قوة، ويجب أن تطيعه وليس العكس، وأضافت: المشكلة أن هذه الأفكار نفسها يسمعها من أعمامه وعماته، فعندما يذهب إليهم يقولون له: أمك هذه فاسدة لأنها هي التي ضيّعت أباك وجعلته مشرداً، وهكذا بات يسمع من كل هؤلاء أنني إنسانة سيئة فيصدقهم، وكما يقول المثل الشعبي: «الطلقة اللي ما تصيب تدوش». وأنا أقول يبدو أنهم يطبقون نظرية أحد مدراء المخابرات الغربية الذي كان يقول: «اكذب اكذب اكذب حتى يصدقك الآخرون».

قلت لها: لقد تأخرت في تنبيه ولدك إلى المخاطر التي تنتظره، كان من المفترض أنك أخبرته بهذه المخاطر منذ مرحلة الطفولة عن طريق القصص القديمة والحديثة خاصة، وأن تنبهيه بأن لا يخشى أي تهديد من أولئك الذين كانوا يهددونه إن هو أخبرك بشيء كما كان يتوجب عليك تنبيه مدير المدرسة والطلب منه أن يعيّن مراقبين عند البوابة وأن يكثف الرقابة داخل المدرسة، وأن لا تدعيه يذهب إلى أعمامه إلا معك ولا يقابلهم إلا بوجودك طالما أنهم دأبوا على تحريضه عليك.

قالت: لم أعلم بما كان يحدث إلا متأخرةً، ولو كنت أعلم لاتخذت إجراءاتي.

قلت لها: لماذا لم تكشفي له جبن هؤلاء، ألم يلاحظ أن الشاب الذي كان معه في السيارة لم يفعل أي شيء عندما ضربه ابن عمته لأنه جبان.

وطبعاً قمت بتحليل هذه المشكلة لها، وسأذكر بعضاً منها فيما يلي:

من القصة السابقة نستطيع أن نحلل شخصية المراهق ومشكلته على النحو الآتي: سبق أن ذكرنا عند حديثنا عن طبيعة مرحلة المراهقة أن هناك نوعين من المراهقين: نوع يميل إلى المثالية، والنوع الآخر يميل إلى اللامبالاة والسخرية، وهذا المراهق هو من النوع الثاني الذي يتسم بالسخرية من القيم والأعراف والنظام الاجتماعي – أي أنه انقلب – على كل شيء، ساخراً من أفكار والدته وإخوته وجميع الأسرة.

وإن مما يدعم هذا التوجه هو حاجته إلى الاستقلال وتأكيد الذات، ومما يزيد المشكلة تعقيداً أنه بالرغم من قدرته على التفكير في القضايا المجردة كمراهق إلا أنه كان ما يزال بعيداً عن النضج العاطفي والانفعالي. ولذلك فرغم قدرته على انتقاد الآخرين إلا أنه كان ضعيف القدرة على ضبط سلوكه الخاص، كثير الجدل لمجرد إظهار الذكاء واستعراض القدرات العقلية كغالبية المراهقين، ولأنه ضعيف البنية فلقد كان كثير التذمر من شكله.

وما دمنا قد علمنا أن من أهم محطات الاستقرار النفسي للمراهق هي الرضا عن الذات، علمنا مقدار الشعور بالنقص الذي يعاني منه هذا المراهق، وما دام أنه واجه مشكلة ضعف بنيته بعدم الرضا وعدم القبول، وخاصة عند تعرضه للنقد أو الاستهزاء من داخل الأسرة أو الأصدقاء بالذات، فلقد واجه كل ذلك بمواقف انفعالية سالبة مثل الإحباط والعدوان كمظهر انفعالي عنيف، ويدل على هذا استخدامه العنف لإجبار أمه على إعطائه بطاقة الصراف، وكما هي طبيعة المراهقين يتصف هذا المراهق بالتهور وعدم إطاعة الأوامر والتمرد على تقاليد الأسرة، وقد يكون من مسببات هذا التمرد الاهتمام الزائد أو التدليل الزائد الذي يوازي الإهمال الشديد، وربما عانى كثيراً من التذبذب بين هاتين الحالتين كما يتضح من سرد الأم، ومن مظاهر

هذا التمرد أن يعتقد دائماً في تعاملاته مع الآخرين أنه الأصوب، ويرى معالجة الأمور من خلال منظوره الشخصي الضيق.

وإذا كانت الأسرة تتحمل الجهد في بناء السلوك الانفعالي المرغوب فيه من خلال تدعيم الذات عن طريق الحب والحنان والاحترام والتشجيع، فإن المدرسة تقوم بإكمال دور الأسرة في إرساء قواعد السلوك الاجتماعي والأخلاقي من خلال الأنشطة الرياضية والعلمية والثقافية التي تزكي من خلالها روح المنافسة الشريفة، واحترام الآخرين.

ومن الواضح أن المدرسة هنا لم تبالِ بدورها، ولا أدل على ذلك من أن فناء المدرسة الخارجي كان هو الوسط المثالي لأصدقاء السوء الذين وقع في فخهم مراهقنا للأسف، ومن الطبيعي ككل أترابه أن يندمج بصورة كبيرة مع أصدقائه في إطار من الولاء والطاعة، ولعل من أهم أسباب ذلك الرغبة في التحرر من قيود الأسرة كما ذكرنا إضافة إلى أن الصديق – في غالب هذه المرحلة – كثيراً ما يوافق على كل تصرفات صديقه ولا يعارضه، ولا يسمع منه كلمة (لا) التي كثيراً ما يسمعها داخل الأسرة، وفي حالة مراهقنا فلقد صرح له أصدقاء السوء أن لديهم مصالح مادية لاستمرار هذه العلاقة.

فأدرك هذا المراهق أهدافهم، ولكنه ظل يشعر بالحيرة والصراع بين رغبته في الاستمرار معهم لإشباع بعض حاجاته المادية والنفسية التي سبق أن ذكرناها وبين قيمه التي لا تزال تضغط عليه بشكل ما، كما اعترف لأمه أخيراً. فقد كانت الأم تنصحه من حين لآخر – كما ذكرنا – تارةً بعنف وتارةً في جو من الحب والاحترام، مما أدى إلى شيء من المحافظة على القيم التي زرعتها الأم ومؤسسات المجتمع الأخرى منذ الطفولة التي عملت على الضغط عليه إلى حدٍ ما ولو كان ضغطاً ضعيفاً على أمل أن ينقذه الله أخيراً.

ومن هنا نستطيع أن نؤكد أن استمرار مواصلة الأهل التأثير على أبنائهم المراهقين، وتذكيرهم باستمرار بشتى الوسائل في جو من الحب والاحترام، وتدعيم قيم الذات، وإشعار المراهق بمدى أهميته لنفسه ولأهله ولمجتمعه، بالإضافة إلى

الدعاء لهو السبيل الوحيد لاستمرار ضغط القيم التي يظل في نفس المراهق منها شيء مهما تمرد، تلك القيم التي نأمل أن تجعل الوالدين يفوزون بغرسها في المراهق ليفوز هو في النهاية.



إشكالات مرحلة المراهقة في الزمن الراهن:

تختلف سمات شخصية المراهق في هذا الجيل عن جيلنا والأجيال السابقة، فالذي كان يعتبره جيلنا حراماً وعيباً أصبح جيل اليوم يعتبره أمراً عادياً والدليل أن الكثير من المراهقين والمراهقات اليوم يستخدمون الإنترنت بطريقة خاطئة، ويتصفحون مواقع سيئة بالساعات، بل ويقيم بعضهم علاقات غير جائزة عن طريق غرف الدردشة أو ما يطلق عليه (الشات)، بينما كنا نعتبر مجرد الحديث مع أي رجل أجنبي من غير حاجة عاراً وأي عار، وفي دراسة صغيرة طبقتها على ثلاث وخمسين فتاة من الفئة العمرية (١٤ – ١٨) سنة في مدينة الرياض تبين أن:

١٠٠٪ منهن يعتقدن أن أكثر من ٨٠٪ من الفتيات يستخدمن الإنترنت.

٥٥٪ منهن يستخدمن الإنترنت من ٤ – ٧ ساعات فأكثر كل يوم.

٥٢٪ منهن يستخدمن الشات (غرف الدردشة).

٢٠٪ يزرن مواقعاً جنسية.

٩٥٪ صرحن أنهن يعرفن فتيات لهن اتصالات بشباب عن طريق الإنترنت.

٢٣٪ منهن ذكرن أنهن يعرفن فتيات يخرجن مع الشباب الذين اتصلن بهم.

التعليق على النتائج:

هذه النتائج تعد نتائج خطيرة لا بد من مواجهتها بصراحة وجدية، وبالنسبة للنتيجتين الأخيرتين فقد كانتا إجابتين على السؤال التالي:

هل تعرفين فتيات أجرين علاقات مع شباب عن طريق النت؟ وهل يخرجن معهم؟ ولقد اضُطررت إلى طرح السؤال بهذه الطريقة، لاعتقادي أنني لو طرحته

بصورة مباشرة فلن أجد إجابة صريحة مثلاً لو قلت: هل أقمت علاقة مع شاب عن طريق النت فغالباً ستجيب بلا.

إحدى الفتيات أجابت أنها تعرف ٥٥ فتاة يتصلن بشباب عن طريق النت، وأخرى في الصف الثاني متوسط أجابت أن ثلاثة أرباع فصلها لهن اتصالات كهذه. اثنتان أجابتا بأن عدد اللاتي تعرفانهما كهؤلاء كثير.

على كل حال هذه الدراسة مقبولة من الناحية العلمية لأن العينة معتبرة علمياً وإن كانت صغيرة، إذ روعي فيها الالتزام بضوابط الدراسة الصحيحة إلى أقصى الحدود. وهي تعطينا مؤشراً يحذرنا ويوجهنا إلى ضرورة الانتباه إلى بناتنا وأبنائنا وحمايتهم من المغريات، وسيرد في الفصل الرابع بإذن الله ضوابط استخدام المراهقين للنت.

وعلى وجه العموم أعتقد أن المراهقين المعاصرين يتسمون بالسمات التالية:

١. غياب روح المبادرة (اللامبالاة):

وذلك نتيجة اعتمادهم في الغالب على الخدم، ونتيجة انشغالهم بالملاهي والملذات، مما أدى بهم إلى الكسل، والأنانية، فقلما تجد المراهق أو المراهقة يقوم بمبادرة ذاتية خالصة بتفقد احتياجات المنزل، وتلبيتها من تلقاء نفسه، وربما لا تجد مراهقة أو مراهقاً يقوم نيابة عن أحد أفراد الأسرة أو بالتعاون معه لقضاء حاجة من حاجاته المضنية والضرورية.

إن الأنانية والكسل وغياب روح المبادرة أياً كانت أسبابها أمر ضار بهم للغاية لأنه يعني شخصاً فاشلاً في حياته في المستقبل إذا لم يتغير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

٢. الخوف أو الجبن:

لا أظن أنني أحتاج إلى أن أسوق دليلاً على اتصاف شخصية المراهق – عموماً – بهذه السمة، فأنت تستطيع التأكد من هذا بنفسك، اطلب من أي مراهق – يمر في

بداية هذه المرحلة بالذات – أن يمشي وحده في الظلام لمدة خمس دقائق لتجد الدليل، ولا أنسى إحدى الصديقات التي روت لي أن قريباً لها في الخامسة عشرة من عمره، رآها ذات مرة في إحدى نواحي المنزل شبه المظلمة، فقال لها وقد شعر بوحشة: ألا تخشين الظلام؟! فضحكت، ففزع من ضحكتها، وقال لها: لقد أفزعتني ضحكتك. وعندما شاهدتني حدثتني مندهشة عن الموقف وعلقت بقولها: ضحكتي أفزعته خلال الظلام، فماذا كان سيفعل يا ترى لو أنني كشرت في وجهه.

وفي الحقيقة نلاحظ الآن أن كل الأطفال الصغار ومعظم المراهقين إن لم يكن جميعهم يشعرون بخوف شديد من أشياء كثيرة، كالوحدة، والظلام، والجن... إلخ

وأنا أوجه بأصابع الاتهام إلى الأفلام التي يشاهدونها سواء من خلال القنوات الفضائية غير الإسلامية، أو من خلال أشرطة الألعاب الإلكترونية، وغير ذلك من وسائل الإعلام التي تنشر أفلام الرعب والعنف، ولن ننكر أن بعضاً من أبنائنا تعرض للتخويف منذ الصغر من قبل الخدم، ونسبة أخرى تعرضت للتخويف من قبل الأمهات غير الواعيات أنفسهن.

ولكن أرى أن السبب الأكبر لخوف أبنائنا يعود لأفلام الرعب، وأعتقد أن هذه الأفلام ضمن الخطط المدروسة جيداً من قبل الأعداء لإرهاب أبنائنا وتحويلهم إلى مجرد جبناء. وسأظل أتساءل أين الوالدين؟!

ولعلاج هذا الخوف لدى الأبناء اقترح ما يلي:

١) أن ندعو لأبنائنا وأبناء المسلمين باستمرار.

٢) أن نزرع وننمي قيم الشجاعة في قلوب أبنائنا منذ الطفولة.

٣) أن نروي لهم قصص الشجعان والأبطال، ونشجعهم على القراءة عنها وندعهم يشاهدون أفلام الأبطال التي ينتجها المخلصون من أبناء أمتنا الإسلامية.

٤) أن ندربهم على المشي في الظلام، وعلى أخذ حقهم بأنفسهم قدر الإمكان.

٥) أن نروي لهم قصة ريّان سالفة الذكر وأمثالها، وكيف أن الرجل الذي كان يهدد ريّان هو في الحقيقة جبان لم يستطع أن ينقذ نفسه عندما ضربه ابن العمة.

٣. سطحية التفكير نتيجة الانبهار بالغرب وبكل ما هو جديد (أزمة الهوية):

على الرغم من أن الغربيين بدؤوا الآن يعودون عن الكثير من توجهاتهم وحتى نظرياتهم العلمية، مثل الذي تقدم عرضه من تصريحات العالم النفسي بيدولف عن الفروقات بين الجنسين، إلا أننا نجد الكثيرين من الناضجين يقبلون على كل ما هو غربي بعين الانبهار والتأثر، فما بالك بالمراهقين، حيث نلاحظ أن الكثير من المراهقين يقبلون على تقليد فناني الغرب وعارضي الأزياء، ويحبون أغانيهم وأفلامهم ومسلسلاتهم ويقبلون على اقتناء صور المشهورين منهم، ويشجعون الفرق الأجنبية لدرجة تنذر بغياب الهوية الإسلامية والعربية، وإليكم المثال التالي كدليل على رأيي:

الحدث الأسوأ بعد انتهاء مباراة الهلال ومانشستر:

لما أُقيمت مباراة بين فريقي الهلال السعودي و(مانشستر يونايتد) الإنجليزي بمناسبة توديع اللاعب (الجابر) في الثالث عشر من شهر محرم لعام ١٤٢٩هـ، وعندما انتهت المباراة بفوز الهلال، وجدنا أن هناك من فرح لفوز الهلال من أبنائنا بطبيعة الحال، ولكن الغريب أن هناك من غضب وحزن لفوز الهلال على مانشستر، والأغرب أن هناك من بكى من البنات! لماذا لأنهم بالأصل يشجعون الفريق الإنجليزي، وذكر شهود عيان أنهم رأوا أعداداً غير قليلة جاءت إلى الملعب مرتدية القمصان الحمراء – أي القمصان الإنجليزية – وأخذت تشجع هذا الفريق طيلة المباراة.

شيء مؤلم، بل ومؤلم جداً، ليس هذا فحسب، بل هو مؤشر خطير للغاية، يدل على أن أبناءنا يسيرون بالاتجاه الخاطئ الذي يقودهم إلى الهلاك إن لم ننقذهم، ذلك الهلاك الذي يقودون أمتنا معهم إليه، لاسيما إذا علمنا أن هناك من يتبنى الكثير من مبادئ الغرب وقيمه ضارباً بمبادئ دينه وأمته عرض الحائط.

فمن المسؤول عن هذه الكارثة، ومن المسؤول عن هذه القلوب الغضة التي تفتحت على حب الأجنبي إلى درجة نصرته على أبناء أمته ووطنه؟ وما هو المستقبل الأخلاقي لهؤلاء الأبناء في ظل المدارس الأجنبية وغير الأجنبية التي تعلّم كل المواد باللغة الإنجليزية ما عدا مواد الدين واللغة العربية؟!

إنني أوجه أصابع الاتهام بالدرجة الأولى إلى الوالدين ثم الوالدين ثم وسائل الإعلام ثم العوامل الأخرى الموجودة في المجتمع، فالوالدين أو أحدهما هو الذي فتح الباب على مصراعيه لهذا الابن كي يتلقى هذه المبادئ الملقاة على قارعة القنوات الفضائية المبتذلة وغيرها من وسائل الاتصال المسموعة والمقروءة و(الملعوبة)، إذ إن مجتمعنا لو جُرد من أثر هذه الوسائل فإنه سيظل يحمل أسمى معاني الطهر والاستقامة، وإلا فكيف تعرّف المراهق على الفريق الإنجليزي سالف الذكر؟!

هذه الحادثة هي مجرد مثال على انبهار المراهق بالغرب ليس إلا، ولا شك أن الوالدين لاحظا الكثير والكثير من أمثال هذه الحادثة.

ومن الطريف.. أن الآباء في الجيل الماضي كانوا مستائين من حب أبنائنا لكرة القدم وانشغالهم بها، أما هذا الزمن فإن الآباء أصبحوا يتمنون أن يحب أبناؤهم الكرة وأن ينشغلوا بها عما سواها – ولكن بالطبع ليس أي كرة إنما كرة الوطن.

٤. جرأة المراهقين إلى حد الوقاحة والعنف:

والجرأة لا تعني الشجاعة دائماً، فعلى الرغم من الخوف الذي في داخلهم كما سبق القول – وردودهم غير المهذبة أحياناً، وتفننهم في استخدام ما يُعرف بـ (الاستهبال): من المعروف أن المراهق بطبيعته متمرد على الأنظمة، ولكن هذا التمرد في هذا الجيل يتسم بوقاحة وعنف زائد، هذا العنف المؤدي إلى الاعتداء.

والاعتداء يعرّف على أنه(١): رغبة أساسية في الإيذاء، وهي الرغبة التي يتم التعبير عنها باستخدام الفعل، حيث يتم إيذاء شخص ما عن طريق شخص أو

---

(١) إيفلين إم. فيلد – حصن طفلك من السلوك العدواني مترجم – ص٣٣.

مجموعة أشخاص أكثر سطوة وهم يقومون بهذا الاعتداء بلا أي مبرر، ويتكرر هذا الاعتداء مع قدر كبير من الشعور بالاستمتاع.

يقول كثير من المعلمين والمعلمات: إن المراهقين لا يتحملون أي أذى من المعلم أو المعلمة، ويردون بطريقة غير مهذبة عندما لا يعجبهم شيء، وهناك حوادث كثيرة جداً لطلاب قاموا ليس بالتلفظ على معلمين وحسب، بل وبضرب بعض معلميهم وتكسير سياراتهم. وهذا يعود إلى طبيعة جسد المراهق من الناحية الفسيولوجية أي زيادة إفراز مادة التستوستيرون التي سبق توضيحها بالإضافة إلى عدم تلقي المراهق التوجيهات والتربية المناسبة.

كان المراهقون ولا يزالون يقومون بالإشارة بالأصبع كحركة قذرة في وجه من يغضبهم، ولكن ذكرت لي طالبة تدرس في إحدى أرقى مدارسنا أن عدداً غير قليل من الطالبات يفعلن هذه الحركة مصحوبة بكلمات قذرة وليس الطلاب فقط، لاحظوا (أرقى مدارسنا).

ويعتبر الاستهبال أو (الاستعباط) كما يسميه بعضهم سمة واضحة لعدد غير قليل من مراهقينا ولبعض أفراد المجتمع عامة، وهي بطبيعة الحال نتيجة لسوء الأدب أو لانعدام الحياء، والدليل على اتصاف المراهقين - عموماً - بالجبن وبالوقاحة في الوقت نفسه: هو لجوئهم إلى أسلوب العصابات و(الشللية) للهجوم على من يريدون الهجوم عليه، إذ يستبعد أن يلجأ أحدهم إلى الاعتداء على أحد ما من دون أن يكون قد انضم إلى عصابة لتحميه في اليوم التالي.

٥. انتشار الشذوذ بين بعض المراهقين والمراهقات:

من آن لآخر تأتي شكاوى من بعض الفتيات توضح أنهن شاهدن زميلات لهن يقمن بسلوكيات شاذة مع زميلاتهن، وعلى الرغم من قيام إحدى المهتمات بإجراء دراسة حول هذا الموضوع تثبت أن نسبة هذه السلوكيات مرتفعة، إلا أنها رفضت السماح بنشر نتائج هذه الدراسة لأنها تتعلق بموضوع حساس كما زعمت، واكتفت بتقديم هذه الدراسة إلى الجهات المسؤولة. لقد بات موضوع الشذوذ سواء في وسط الشباب أو في وسط البنات يشكل مشكلة يجب التنبه لها ومواجهتها،

بالتوجيه المستمر وتقوية الوازع الديني عند الجنسين، والبحث عن أسبابه للقضاء عليها، ومتابعة الأبناء والطلاب ومراقبتهم في المدرسة والجامعات، وعدم التهاون بهذه المشكلة مهما كان رأينا، فهي أمر واقع يجب مواجهته بصدق وبقوة.

ومع وجود هذه الانحرافات فإن هذا لا يعني أن أبناءنا فاسدون، وأن لا أمل في إصلاحهم، بل إن هناك نسباً تثبت أن في أبنائنا خيراً كثيراً والحمد لله، فلقد لاحظت أن أكثر من ٩٥٪ من المراهقين الذين يعاكسون الفتيات توقفوا عن المعاكسة بمجرد إسماعهم شيئاً من القرآن الكريم، أو بمجرد تهديدهم بالدعاء عليهم، ومنهم من أخذ يرجو الفتاة بأن لا تدعو عليه واعداً إياها بالتوقف عن معاكستها، إن هذا يدل على وجود نسبة جيدة من الإيمان والخوف من الله تردع شبابنا عند الذكرى، وصدق من قال: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وهذا ما يؤيد رأيي في أنني ألقي باللائمة بالدرجة الأولى على الوالدين لإهمالهم لهذه البذرة الطيبة من الإيمان، وترك أبنائهم يتعرضون لوسائل قذرة من التسطيح والتغريب والتخويف، ويؤيدني في هذا ما صرح به الدكتور فهد التويجري نائب المحافظ للتدريب المشترك في الرياض عندما قال في مقابلة تلفزيونية في قناة المجد: إن الكثيرين يستغربون الجلد الذي يظهر منذ الأسبوع الثاني على الشباب القادم معظمهم من المدارس الثانوية – والملتحقين بمعهد التدريب المهني العسكري في الرياض.

وسأسوق دليلين على مسؤولية الآباء عن انحراف الأبناء:

الدليل الأول: كلنا يعرف أنه ظهر لدينا شريحة من الفتيات لا يلتزمن بالحجاب الشرعي، ويظهرن أمام الرجال الأجانب من دون غطاء رأس، وأن هناك عدداً كبيراً منهن أمهاتهن محجبات، فكيف رضيت الأم المحجبة أن تتخلى ابنتها عن الحجاب، وتدّعي أن ابنتها لا تطيعها عندما تأمرها بالحجاب، فإننا نرد عليها بالقول: عندما يكون لدى الأم ست بنات مثلاً فكيف يمكن لنا أن نصدق أن كل هؤلاء البنات عصين أمهن ورفضن الحجاب مرة واحدة، وأنه ليس بينهن فتاة صالحة واحدة، إذاً في هذه الحالة هناك بالتأكيد خلل تربوي قد تكون الأم هي المسؤولة عنه، وقد يكون الأب وقد يكون كلاهما إلا فيما ندر.

قصة يرويها الدكتور بكّار:

أما الدليل الثاني فهي قصة ذكرها المربي الفاضل والحاصل على جائزة عربية قيّمة كرائد من رواد التربية في العصر الحديث الدكتور عبد الكريم بكّار[1] حفظه الله في كتابه: (وهكذا يكون الآباء) حيث قال: يقول أحدهم: لي صديق طفولة يعد الآن من كبار رجال الأعمال، وقد ورث عن أبيه مؤسسة كبيرة، لكنها مضطربة وتعاني من العديد من المشكلات، وقد استطاع ذلك الصديق بذكائه وجهده أن يحولها خلال سنوات قليلة إلى مؤسسة قوية وناجحة، وقد رزق الله صديقي أربعةً من الذكور، وقد جاءني مساء ذات يوم، وعلى وجهه ملامح الكآبة والخيبة، فسألته عن أكبر أولاده، الذي كان يدرس في السنة الخامسة من المرحلة الابتدائية، وعن ابنه الثاني الذي كان يدرس في السنة الثانية.

فقال: تعلم أنني من أسرة معروفة بالعلم، ولذا فإني كنت أتمنى أن ينال أبنائي أعلى الشهادات المتاحة، وأنا كما تعلم لا أفكر في المردود المادي لذلك، وإنما الهدف هو المحافظة على التقاليد العلمية لأسرتنا، كما تعلم أن تخليص مؤسستنا من كبوتها قد اقتضى مني الأسفار الكثيرة إلى أوروبا وجنوب شرق آسيا.

ومنذ مدة وزوجتي تشكو من أن ابني الكبير يخرج كثيراً ولا تدري إلى أين؟ أما ابني الثاني فهو كما تعلم بدين جداً، وقد صارت زوجتي تشكو لي من مضايقة زملائه في المدرسة له، مما جعله يتثاقل من الذهاب إلى المدرسة، وحين أنهى المرحلة الابتدائية رفض الذهاب إلى المتوسطة وجلس في البيت.

وكنت في كل مرة تشكو فيها زوجتي من هذه الوضعية أقول لها: ستهون الأمور وأنتهي من ترتيب علاقاتي التجارية في الخارج، وأتفرغ لكم.

ولم أكن أدري أن ذلك كان وهماً كبيراً، فالنجاح الذي حققته المؤسسة فرض عليّ مسؤوليات جديدة، وصرت أحتاج إلى أوقات إضافية، ومرت خمس سنوات ونحن على هذه الحال والأمور تزداد سوءاً، فابني الكبير الذي يدرس الآن في الثانوية يحصّل في امتحاناته درجات متدنية جداً لا تسر أحداً، وقد أخبرتني

---

(١) عبدالكريم بكار – هكذا يكون الآباء – ص٢٧.



زوجتي أنه صار يدّخن، ولا يعود إلى المنزل إلا في ساعة متأخرة من الليل، وصار كلما قسوت عليه وزجرته عن ذلك ينام خارج المنزل، مما دعاني إلى غض الطرف عنه، حتى لا أخسره نهائياً...

أما ابني الثاني، فهو جالس في البيت، يؤذي والدته وإخوته الصغار، وهو يرفض أن يتعلم، أو يعمل أي عمل، وليس لدي أي وقت لمعالجة حالته.

يتابع الأب المسكين فيقول: وقد حصل أمس ما كنت أخشاه، فقد سرق ابني الكبير بعض حليّ والدته وباعه، حيث اكتشفنا أن رفاق السوء الذين يخرج معهم قد أوقعوه في مستنقع المخدرات، وقد سرق الحلي، ليشتري بثمنها له ولهم.

وقد جئتك الآن لتساعدني في إيجاد حل، فأنا إنسان محبط وقد تبخرت كل آمالي في أولادي وانتهى كل شيء.

يقول الدكتور بكّار: وقام الأب البائس وقد نفرت من عينه دمعة ساخنة وهو يجهش بالبكاء – دون أن يسمع من صديقه أي نصيحة، أو يتلقى أي مساعدة.

ويعلق الدكتور بكار على هذه القصة قائلاً: هذا الأب يمثل شريحة ليست قليلة اليوم وكثير من منسوبي هذه الشريحة من الناجحين في الحياة. إنه من أولئك الذين شغلهم الشغف بالمكاسب وتحقيق الإنجازات عن الاهتمام بأسرهم، وحين جمعوا الثروة لم يجدوا الوقت للاستمتاع بها، ولم يجدوا الأولاد الذين يزعمون أنهم يجمعون الثروة من أجلهم ويقول أيضاً: إن الدراسات في بعض البلدان أثبتت أن الآباء يعطون لأبنائهم الصغار ما متوسطه دقيقتان في اليوم أي ساعة في الشهر ويعطون من هم في سن المراهقة ما متوسطه أربع دقائق!.

ويقول بيدولف[1]: «لقد عبّر معظم الآباء عن حبهم لأسرهم وأطفالهم بالعمل الشاق من أجل رفاهيتهم، وليس بالملاعبة، ولا بالتدليل أو الحوار أو التعليم وهي الأشياء التي يحبها ويحتاجها الأبناء حقيقةً، بل كان بعضهم عنيفاً جداً طوال الوقت» ويضيف: «لا تتعود أن تترك ما يجب أن تقوم به لشريكة حياتك، لأن

(١) بيدولف – مرجع سابق – ص٧٧.

الرجال في الحقيقة يضيفون أشياء مهمة مختلفة في مجال الأبوة، أشياء فريدة لا يمكن استبدالها بغيرها، وكلما اجتهدت في الأبوة اكتشفت مواهبك الدفينة وأسلوبك الفريد في هذا المجال».

ويضيف[1]: «لقد أثبتت الدراسات أن الأولاد الذين يفقدون رعاية آبائهم يميلون للعنف وإلى التسبب في إيذاء أنفسهم، وإلى الوقوع في المشكلات، وكان أداؤهم سيئاً في المدارس، وكانوا أعضاءً في عصابات الشباب المراهقين عندما وصلوا لمرحلة المراهقة، أما الفتيات اللاتي يحرمن من رعاية آبائهن فيملن إلى أن يكن على مستوى منخفض من احترام الذات، وينشأن علاقات عاطفية قبل أن تتكون لديهن رغبة حقيقية في ذلك ويعرضن أنفسهن للنقد الخارجي، وقد يمتنعن عن الذهاب إلى المدرسة».

ولذا فعلى الأم (الوحيدة) في تربية أبنائها أو ما يُطلق عليها (المعيلة) أن تحاول تعويض أبنائها عن طريق ربطهم بالله سبحانه وتعالى، وتذكيرهم دائماً بأن مثلهم الأعلى هو رسول الله ﷺ وعليها أن تحفظّهم سيرته، وأن تشجعهم على قراءة سير الأنبياء عليهم السلام وسير الصحابة رضي الله عنهم، وغيرهم من العظماء، كما عليها اختيار رجل أمين صالح من أقاربهم أو أقاربها ليؤدي دوراً بديلاً عن الأب، بحيث ينصحهم ويخرج معهم ويسأل المدرسة عنهم، فالأبناء بحاجة إلى دور الأب كما ذكرنا سابقاً، وربما لهذا السبب كان رسول الله ﷺ وصحابته يقومون بالزواج من الأرملة ورعاية أبنائها كما تُنصح الأم المعيلة بالرفق بأبنائها خاصة الذكور، وأن لا تحاول الاصطدام معهم تجنباً لتمردهم عليها أو الإساءة لها.



(٢) بيدوولف – مرجع سابق – ص٩٤.

خلاصة الفصل الأول

بشكل عام يتسم المراهق بالافتقار إلى الاتزان النفسي، وبحدة الانفعال وهشاشته، وبالتمرد على السلطة لتأكيد الذات، وبخصوبة الخيال أيضاً، ويشعر بالقلق، ويثق بالأصدقاء، ويظل في حاجة إلى إطار قيمي مرجعي، وإلى الحماية والتوجيه غير المباشر في جو من الحب والتقدير.



كيف نحمي المراهق؟

الفصل الثاني:

كيف نحمي المراهق؟

مخاوف الوالدين على المراهقين:

من الطبيعي أن يخشى الوالدان الصالحان بل والمعلمون الأفاضل على أبنائهم المراهقين خاصةً في عصرنا الحاضر، عصر التدخين والمخدرات والقنوات الفضائية المنحلة، والشبكة العنكبوتية، والجماعات المنحرفة كجماعة عبدة الشيطان، وجماعات الشذوذ، والجماعات المتطرفة التي أخذت على عاتقها نشر الكفر والانحلال، وفي الحديث: في آخر الزمان يُخشى على الصبي أكثر مما يُخشى على الفتاة البكر، والجدير ذكره أن هذه المخاوف تلف العالم كله، وليس بلادنا وحسب، هذا ما تؤكده دراسات وأبحاث الثقافات الأخرى.

وإن مما يزيد هذه المخاوف أن تحاول جمعية حقوق الإنسان أن تقف حائلاً دون تطبيقنا لبعض الحدود الإسلامية التي لا يقتنعون بها بحجة وجوب الرأفة والرحمة بهؤلاء المجرمين.

قرأت خبراً في إحدى الصحف مفاده أن اثنين من المجرمين قاما بفعل اللواط بأحد المراهقين، وتم القبض عليهما، وطبق عليهما حد السجن والجلد فقط، فلماذا؟ وما كنت أعلمه أنه كان يطبق على هذين حد القتل وليس الجلد والسجن فقط.

وعندما اكتشفوا ساحرة وأرادوا تطبيق حد القتل عليها، وقفت جمعية حقوق الإنسان في وجه هذا الحد لمنع تطبيقه بحجة الرأفة والرحمة، ونتساءل بدورنا: الرحمة والرأفة بمن؟ بالمجرمة أم بالضحايا؟ وإلى الآن لا أدري ماذا قُرر بحقها وأرجو أن يكون الحد قد طُبق عليها.

هناك أساليب لا نهاية لها يقوم فيها هؤلاء المجرمون باستدراج الأطفال والمراهقين والمراهقات كي ينفذوا بهم مختلف أشكال جرائمهم من... وإلى...، وهذه الجرائم في تزايد مستمر نظراً لقلة الأمانة التي نبأنا نبينا ﷺ برفعها في آخر الزمان ونحن مطالبون بمواكبة هذه الوسائل الخادعة، وحصرها وتوعية أبنائنا المراهقين وتحذيرهم منها، وأود التشديد على هذه الفكرة، كما أرجو من القراء الكرام إبلاغ أبنائهم بهذه الوسائل وأمثالها لأن هدفنا من إيرادها هنا هو تنبيههم من أجل حمايتهم.



ويمكن أن نقسم المخاطر التي يتعرض لها المراهقون إلى ثلاثة أقسام:

١. مخاطر نقلها تراثنا الإسلامي، سواء التي وقعت أم التي ستقع كالفتن التي نبأنا بها نبينا محمد ﷺ.

٢. مخاطر مخطط لها بطريقة منظمة، سواء أكان هذا بهدف مادي أم تخريبي، وبهدف تقويض العقيدة الصحيحة.

٣. مخاطر غير مخطط لها مختلفة الأهداف، مصدرها الأفراد المنحرفون في مجتمعنا، سواء أكانوا مواطنين أم وافدين، والأفراد الذين لديهم أهداف مختلفة من الكسب المادي والهوى.

أولاً: مخاطر نقلها التراث الإسلامي:

تكثر الأساليب وتتعدد لاستدراج أبنائنا كلٍ بحسب هدفه (فهناك مخاطر... هناك مخاطر) هذا ما يردده الجميع ولكن لا يكفي أن نظل نقول: هناك مخاطر، بل يجب حماية أبنائنا منها، ومن أجل حمايتهم لابد من حصر هذه المخاطر وتسجيلها كخطوة أولى لحماية أبنائنا منها وإقناعهم بالدليل الدامغ بإمكانية تعرضهم لها.

فيما يأتي أمثلة لمخاطر هي في الحقيقة فتن، أذكرها حتى نخبر أبناءنا عنها... ويجب أن نبدأ بذكر نموذج لدور الشيطان للاستدراج مع العلم أن كل الوسائل هي

في الحقيقة وسائل للشيطان، ويمكن تلخيص وسائله التي ليس لها حدود بالاستعانة بالقرآن الكريم والأحاديث المشهورة، ويمكن الاستعانة بكتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزي، وكتاب (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان) لابن قيم الجوزية، كما حاولت تلخيصها في كتابي (الإعجاز النفسي والاجتماعي في القرآن والسنة).

قصص بطلها الشيطان نفسه:

١. **قصة عباد القادر الجيلاني:** كان عبد القادر الجيلاني عابداً زاهداً وصل به الزهد إلى درجة التفرغ الكامل للعبادة، وكان ذات مرة يمشي في الصحراء فعطش حتى بلغه العطش كل مبلغ، وفي أثناء ذلك ظهرت فوق رأسه غيمة، ثم أخذت تمطر عليه فشرب حتى ارتوى، وبعد أن انتهى، سمع صوتاً من داخل الغيمة يقول له: يا عبدالقادر، أنا ربك قد أحللت لك المحرمات، فما كان منه إلا أن قال: خسئت أيها الشيطان، فلقد أدرك نتيجة لرسوخ عقيدته التي لا يرقى إليها الشك أن الله لا يمكن أن يشرّع تشريعاً جديداً مهما كان بعد أن أكمل الدين بخاتم النبيين محمد ﷺ. فهذه القصة لابد من ذكرها للمراهق حتى نعينه على ترسيخ عقيدته.

٢. **عندما يظهر الأعور الدجال** – أعاذنا الله وإياكم منه – فسيستخدم طرقاً عجيبة للاستدراج ومنها أن يجعل الشيطان يتشكل على صورة الأم والأب ليقولا للرجل: نحن والداك وهذا – أي الدجال – ربك، فآمن به. وعلى هذا يجب إخبار المراهقين من الآن عن كل ما سيقوم به كما جاء في الأحاديث الصحيحة.

دجّال يدعي أنه المهدي المنتظر يظهر في المغرب:

في بلاد المغرب وفي إحدى العصور السابقة، ادعى أحد الدجالين أنه المهدي المنتظر، وبدأ بالقيام بخزعبلات وحيل ليدفع الناس إلى تصديقه، وبدأ البعض يصدق بينما كذبه آخرون، حتى تفرق أفراد البيت الواحد بين مؤيد ومعارض، وليس هذا فحسب، بل بدأ يدفع أتباعه إلى قتال المكذبين به، حتى جعل الأب يقتل ابنه والعكس بالعكس، حتى مات عشرات الآلاف من الناس، وكان يتفق مع عدد من أتباعه على خدعة خبيثة، وهي أن يدفنهم في المقابر – تاركاً لهم ثقوباً

للتهوية – مؤكداً عليهم أن لا يتحركوا من أماكنهم حتى يسمح لهم، ثم يدعو الذين لم يتبعوه بعد، ويحضرهم إلى المقابر قائلاً لهم: استمعوا إلى الموتى لتعلموا ماذا يقولون عني، ثم ينادي الأموات – الذين اتفق معهم مسبقاً ودفنهم بنفسه –: أيها المسلمون، ماذا تقولون عني؟ فيقولون: نشهد أنك المهدي المنتظر، فيصدقه عندئذٍ ضعاف الإيمان، ويُقال أنه بعد أن ينتهي من خدعته هذه يقوم بسد الثقوب على المدفونين حتى يموتوا لكي لا تُكتشف خدعته، فالله أكبر.

ودجال آخر يظهر في السعودية:

في عام ١٤٠٠ هجرية فوجئ المواطنون بالمملكة العربية السعودية بخبر هز المجتمع الإسلامي، وهو استيلاء مجموعة من المدعين على الحرم المكي، وحبسهم لجموع المصلين، وقد ادعى أحدهم أنه المهدي المنتظر، وطلب من المصلين مبايعته بعد عدة خطب زينها بالكلام المنمق المعسول المليء بالكذب والشعارات الزائفة، ولكن دعواهم ما لبثت أن ظهرت على حقيقتها. وتبين أن المجموعة التي أيدت هؤلاء ما هي إلا مجموعة من صغار السن الذين غُرر بهم كما غُرر بأفراد القصة السابقة، وتم بحمد الله القضاء على هذه الجماعة الضالة.



ثانياً: مخاطر مُخطط لها:

جماعة عبدة الشيطان:

وهي جماعة تستدرج بدورها الشباب والفتيات لتلقي بهم إلى العالم السفلي الذي هو ليس إلا طقوساً كفرية – فهم يذبحون لأجل الشيطان بدءاً بالذبابة وانتهاءً بقتل الإنسان – في عالم مليء باللهو والعبث والموسيقى والشراب والجنس الجماعي والغرف المظلمة المليئة بالشباب والفتيات العرايا، ويستدرج هؤلاء الشباب عن طريق إغرائهم بهذه اللحظات التي يعبرون فيها عن تمردهم على كل شيء حتى على خالقهم والعياذ بالله، بسبب عقيدتهم الفاسدة وفي بعض البلدان العربية هناك بؤر لهم، ولهم موقع أو مواقع عبر الإنترنت يستدرجون الضحايا من خلالها، ومن هنا تأتي خطورتهم.



جماعات الشذوذ:

أو الجنس المثلي أي ميل كل جنس من الذكور والإناث إلى إقامة علاقات محرمة مع أفراد من الجنس نفسه، ولهم مواقع على الإنترنت كذلك يستدرجون الضحايا من خلالها.

جماعات التبشير والتشكيك:

وكمثال على هذا أذكر أنني حينما كنت في الصف الأول الثانوي تعرفت على امرأة أمريكية في إحدى الجمعيات النسائية ادعت أنها أُعجبت بي، وقالت لي: لقد حدثت زوجي عنك، وهو يتطلع إلى مقابلتك، فهل توافقين على مقابلته؟ فقلت: لا طبعاً، وبعد خمس أو ست سنوات تعرفت على امرأة أخرى كندية الجنسية تعمل طبيبة في إحدى مستشفياتنا فسألتني السؤال نفسه: هل توافقين على مقابلة زوجي؟ فأجبت وأنا متعجبة: لا طبعاً، وقطعت علاقتي بها بالرغم من محاولاتها المستمرة لإعادة العلاقة. وما زلت أتساءل: لماذا سألتني الاثنتان السؤال نفسه، وبالطريقة نفسها؟ ما هو هدفهما؟! وما هي العلاقة بينهما؟! هل هو التبشير مثلاً؟ أو ماذا؟!.

الجماعات التي تدّعي أنها جماعات إسلامية:

وإن ادّعوا أنهم من أهل السنة والجماعة – حيث إن العبرة ليست بالاسم بل بالمعتقد الحقيقي والفعل البادي للعيان، ومن هذه الجماعات كذلك من يسمي نفسه بمسمى غير السنة والجماعة، وبعضهم يدّعون أنهم على الحق المبين، أما أهدافهم الحقيقية فالله أعلم بها، فيستدرجون المراهق لتنفيذ رغباتهم بعد – غسل دماغه – وترغيبه بالجنة وبالحور العين، حتى يقتل نفسه لأجل ذلك ويروّع ويقتل أشخاصاً لا يعرفهم.

وعلى هذا فعلينا توعية أبنائنا بمفهوم الجهاد الحقيقي، وليس إخفاءه عنهم كما يفعل بعض الآباء، فهذه الطريقة لن تجدي مع المتحمسين منهم، لأن هذا سيدفعهم إلى البحث عن هذا المفهوم عند أي مصدر، وقد لا يقعون على المصدر الصحيح.

مفهوم الجهاد في الإسلام:

لا أود الدخول في معترك ليس من اختصاصي، ولكن ما أعرفه كما يعرف أي مسلم مبادئ دينه الأساسية أن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (١١١)﴾ [التوبة: ١١١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **سألت رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ قال: «الصلاة على ميقاتها». قلت: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». فسكت عن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني.** رواه البخاري.

ويتضح من الحديث السابق أن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله، ولذا فالبقاء مع الوالدين أولى إلا في استثناءات سنذكرها، لقوله ﷺ لمن جاء يريد الجهاد: **«ألك أبوان؟» قال نعم، قال: «ففيهما فجاهد».**

وفي حديث آخر: **«ألك والدة؟» قال: نعم. قال: «فالزمها، فإن عند رجليها الجنة»** أخرجه أحمد وغيره. حيث يرى ابن الصباغ – وهو من أصحاب الشافعي – في كتاب الشامل: **«ولا يجاهد إلا بإذنهما»** وذكر أبو عبد الله بن ناجي البصري المالكي(١) – مفتي الديار المصرية – فيمن أراد الخروج للغزو ونهاه أبواه. قال: ليطعهما ولا يخرج إلا بإذنهما إلا أن يكون قد تعين عليه لمفاجأة العدو أو لنذر، قال ويتربص في النذر سنة أو سنتين ويداريهما، فإن أذنا له، وإلا لم يخرج، وكذلك الحكم في الحج بعد حجة الإسلام.

ومما سبق نستنتج أن من حق الوالدين على ابنهما استئذانهما في أموره المهمة، وأن من برهما الانصياع لأمرهما.

(١) محمد الطرطوشي – مرجع سابق بر الوالدين، ص ٣٨.

ومن أحكام الجهاد أن ولي الأمر هو الوحيد الذي له الحق في الأمر بالجهاد بالتشاور مع أهل الحل والعقد من علماء الأمة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ولذلك حكمة: فلو تخيلنا أنه كلما قامت مشكلة في أرض من أراضي المسلمين وهب كل بدوره للمشاركة في الجهاد في ذلك البلد – دون استئذان ولي الأمر –، فإن شبابنا بذلك يتفرقون في الأمصار ليدافعوا عن أهل تلك الأمصار، فمن يدافع عنا نحن حينها لو دهمتنا ملمة؟ ألن نكون بذلك مكشوفين للعدو؟ ألا يمكن أن يقوم العدو بعمل فخ لنا، وهو استدراج شبابنا إلى منطقةٍ ما، لكي تفرغ البلاد من أبطالها ثم يغيرون عليها بعد أن أصبحت لقمة سائغة لهم؟ ولو تخيلنا أن أبناءنا تفرقوا، بعضهم في أفغانستان، وبعضهم في العراق، وآخرون في فلسطين، وغيرهم في الصومال، وفي بلاد البلقان... إلخ فمن يبقى في البلد ليرد العدوان لو جاء دورنا مثلاً؟!

نحن لا نرفض الجهاد، ولكننا نريد الجهاد الفعّال... الجهاد في زمانه ومكانه الصحيحين الذي له أمير واضح ومعروف ومجمع عليه، ولا نريد أن يقع أبناؤنا في فخ ينصبه الأعداء باسم الجهاد.

أما ما يقوم به الإرهابيون من تفجيرات في ديار المسلمين فحرام، عن عطاء الأشجعي رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «**من وحّد الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل**».

وحتى فيما يتعلق بغير المسلمين الذين يعيشون في ديار المسلمين بهدف العمل أو رعاية المصالح فلا يجوز قتلهم لأن بيننا وبينهم عقود وعهود، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤)﴾ [الإسراء: ٣٤]، فما دام لم يثبت منهم إساءة إلينا وهم في ديارنا فلا يجب الاعتداء عليهم لقوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧].

هذه الأحكام من الواجب على الوالدين وعلى المسؤولين عن تربية وتوجيه الأبناء والبنات توضيحها لهم وغرسها في أذهانهم بترتيب منطقي وأولويات معلومة بمجرد بلوغهم سن التمييز والاستيعاب والفهم.

دعوة الشيخ ناصر العمر – حفظه الله :

وبطبيعة الحال فجميع هذه الجماعات التي تستهدف المراهقين لها مواقع على الشبكة العنكبوتية، وبعضهم له قنوات فضائية بكل أسف؛ ولذا يجب التنبه والحذر منها، وأرى أنه لا بأس من إعطاء الأبناء نبذه عنها، حتى يكون في ذلك وقاية لهم منها، على غرار طريقة التطعيم، فأنت تعطي الشخص حقنة عبارة عن مقدار بسيط جُداً من الجرثومة المسببة للمرض، وذلك حتى يتحصن الجسم بالمناعة ضده؛ ولذا نادى الشيخ الدكتور ناصر العمر حفظه الله بما أطلق عليه (التحصين الذاتي) بغرس ثوابت العقيدة الإسلامية في نفوس الأطفال والناشئة لوقايتهم من هذا السيل الهادر من المغريات الفاتنة، بل ناشد الدعاة والعلماء بالقيام بدعوته.

ترويج المخدرات والدخان والمسكرات :

إذا قلنا: إن من ضمن المخططات لغزونا هو ترويج (المخدرات والدخان والمسكر) فإننا لن نجانب الحقيقة بالرغم من أن الهدف المادي بالطبع هو من ضمن هذه الأهداف.

ونستطيع أن نثبت وجود هذا الخطر إذا عرفنا أنه في عام ٢٠٠٧ كان هناك (٢٠٠٠٠٠) مدمن للمخدرات في السعودية على حسب معلومات مستقاة من وزارة الداخلية – ناهيك عن أعداد الذين لم يُكتشفوا – ولقد أثبتت الدراسات أن هذا العدد في تصاعد مستمر والمشكلة تمضي مستفحلةً بشكل خطير في الوقت الذي تتجه فيه إلى النزول في الدول المتقدمة، مثل: أمريكا وبريطانيا واليابان، وقياساً على هذا فلنا أن نتوقع الرقم الذي ستصل إليه أعداد المدمنين عندنا في السنوات القادمة إذا لم نتخذ إجراءاتنا. قرأت أن وزير الداخلية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز حفظه الله حذّر مما أطلق عليه (كارثة المخدرات) كما قرأت مقالاً للأستاذ فضل البوعينين في صحيفة الجزيرة العدد (١٢٩٩٤) عن مصنع أقيم في إحدى دول أوروبا الشرقية لصناعة حبوب الهلوسة المدمرة لخلايا المخ، ويتم شحن منتجاته مباشرة إلى دولة شرق أوسطية ثم يتم تسليمها إلى تجار المخدرات مجاناً شريطة أن يتم بيعها داخل المملكة العربية السعودية، وهذا ما يؤكد – والحديث

للأستاذ فضل – وجود علاقة مباشرة بين كم المخدرات المهربة إلى السعودية ومنظمات الإجرام العالمية، وربما الأجهزة الاستخباراتية.

أما خبير مكافحة المخدرات في وزارة الداخلية الدكتور محمد العتيبي فيقول: إذا سمعت أنه تم ضبط كيلو جرام من المخدرات في المملكة تأكد أنه بالمقابل هناك تسعة كيلو جرامات لم يتم التمكن من ضبطها.

أما التدخين فتبين الدراسات أن المملكة العربية السعودية تأتي في المرتبة الثانية أو الثالثة بين دول العالم من حيث عدد المدخنين وهم في تزايد مستمر أيضاً. وقس على هذا أعداد مدمني المسكر بطبيعة الحال.

وأود التأكيد على أن مشكلات الإدمان هذه بكل أنواعها لا تقتصر على فئة الذكور وحسب؛ بل المشكلة تتسارع وتيرتها عند الإناث كذلك بحسب ما تؤكده الجهات الرسمية وعيادات الطب النفسي، فالأستاذة مشاعل الدخيل مديرة إدارة التوجيه والإرشاد في منطقة الرياض ذكرت لصحيفة الجزيرة في عددها (١٣٠١٠) «أن الأكثر انتشاراً أن الطالبة تنتمي لأسر مدمنة أو مروجة مما ينعكس سلباً على مستوى الطالبة نفسها من الناحية التعليمية، كما أنها تكون ناقلة للطالبات ثقافة وعادة ليست مقبولة».

أما المشرفة التربوية بقسم إرشاد الطالبات هند الشمري فقد ذكرت للصحيفة نفسها أن «الانحرافات السلوكية والمشكلات النفسية تظهر على الطالبات في المرحلتين المتوسطة والثانوية حيث تعاني إدارات المدارس من التعامل معهن، وعند حصر هذه المشكلات نجد بداياتها في المرحلة المتوسطة والتي غالباً ما تكون جذورها في المرحلة الابتدائية».

الألعاب الإلكترونية:

تشير بعض الدراسات في الغرب[1] إلى أن ألعاب الكمبيوتر والأفلام تقدم ثقافة سلبية للأطفال والشباب، مما يؤدي إلى تلويث شخصياتهم، بل إنها تبرر

(١) سلطان بن محمد المالك – مقال بعنوان الخطر القادم – صحيفة الجزيرة – العدد ١٢٩١٨.

العنف والقتل وتعلم الأطفال أنه شيء عادي، فالبطل فيها يضرب ويطلق الرصاص ويستخدم أعمال العنف ببراعة وقسوة للقتل، أو للهرب من الشرطة والعدالة، مما يؤدي إلى تأثر الشباب غير الناضج به، وفهم البطولة على هذا الأساس.

وقبل مدة نشرت مجلة (العلوم) الأمريكية دراسة بارزة في هذا المجال ذكرت فيها أن علماء الاجتماع والنفس والتربية يجمعون على أن ألعاب الكمبيوتر والأفلام هي المسؤولة الأولى عن كل الانحرافات السلوكية التي يعاني منها الشباب، وهي المسؤولة عن انتشار الجريمة في المجتمع الغربي، فالطفل الذي يقوم بدور البطل في لعبة الكمبيوتر لقتل خصومه سيتعلم أن قتل الخصوم مشروع، والطفل الذي يقود السيارة بسرعة جنونية في لعبة أخرى سينشأ وهو يشعر أن القيادة السريعة هي الوسيلة الصحيحة للقيادة وهي الدليل على المهارة، ولذلك تحولت حوادث المرور إلى سبب رئيس للوفاة لدى الشباب.

كما يرى المختصون أن الذين يجلسون أمام الكمبيوتر أكثر من ساعة واحدة في اليوم كانوا أكثر عدوانية من غيرهم بما يعادل أربعة أضعاف، ومن بين الذين كانوا يتابعون الأفلام والألعاب لمدة لا تزيد على ثلاث ساعات ما يزيد فإن منهم ٢٩٪ يتورطون في أعمال سطو وسرقة واعتداءات ومشاجرات.

ولقد أوصت الجمعية النفسية الأمريكية بعدم السماح للأطفال وحتى المراهقين باستخدام ألعاب الكمبيوتر لأكثر من ساعة في اليوم، لأنه ثبت ضررها المباشر بسبب الذبذبات التي تصدر من هذا الجهاز وتؤثر على الدماغ.

هناك آثار نفسية واجتماعية واضحة على الناشئة، اشتكت إحدى الأمهات من سلوك طفلها الانطوائي جداً، فقالت: إنه لا يتواصل معنا أبداً – أي والديه – ولا يتفاعل مع أي أحد، فلا يسلم على أحد ولا يتكلم مع أحد، مشاعره باردة جداً، لا يبتسم أبداً لأحد مهما حصل، وقد وجهت لها أسئلة عديدة لأصل إلى الأسباب فرجّحت أحد الأسباب، وهو أن هذا الولد كان منذ الطفولة المبكرة يفعل شيئاً وحيداً وهو اللعب بالألعاب الالكترونية (البلي ستيشن).حيث قالت لي: أتركه يلعب بها كما يحلو له حتى لا يزعجني، فهو يلعب بها طوال الوقت، قلت لها: لهذا السبب



حصلت في النهاية على مجرد جثة وليس إنساناً سوياً، وأنا أجزم أن هذا الولد له أشباه كُثر جداً في مجتمعنا.

فالمسؤولية تقع على الأهل بالدرجة الأولى ثم على الدولة والتاجر الذي يجب أن يراقب العمالة التي همها الكسب المادي فقط.

وللأجهزة الالكترونية مخاطر أخرى فقد وجد أن الذبذبات الصادرة من الجوال تؤدي إلى الإصابة المبكرة بمرض الزهايمر خاصة بالنسبة للأطفال.

أسوأ مما يمكن تخيله:

تمتلئ مكتباتنا بقصص وروايات سواء كانت عربية أو مترجمة – الكثير منها منقول نقلاً كاملاً من دون أي تعديل يناسب مجتمعنا المسلم المحافظ، فتجد روايات الخيانات الزوجية، وروايات الجنس، والعلاقات المحرمة والشاذة، والروايات البوليسية... إلخ، ولا يحتاج الأمر إلى أن ندلل على هذه الحقيقة بالدراسات أو بالاعترافات، مثلاً: إحدى السجينات في السعودية اعترفت أنها ارتكبت جريمة قتل، واعترفت أن الدافع وراء جريمتها هذه ما هو إلا رواية بوليسية قرأتها فقط لا غير.

قالت لي إحدى الأمهات: «استغربت من ابنتي المراهقة في الآونة الأخيرة لأنها كانت تجيبني بـ: (لا) كلما طلبت منها شيئاً، وذات مرة رأيت في يدها كتاباً مترجماً بعنوان: (٢٥٠ طريقة لتقولها وتعنيها كيف تقول لا... توقف عن محاولة إرضاء الآخرين للأبد) للدكتورة سوزان نيومان، وعندها فقط عرفت السبب، ولكني احترت كيف أرمم ما أفسده هذا الكتاب اللعين، الذي لم ترد فيه كلمة (الله) ولا مرة واحدة»، وعندما اطّلعت بدوري على هذا الكتاب وجدته أسوأ مما يمكن تخيله، فهو يعلمك كيف تقول لكل الناس: (لا) بدلاً من أن تقول: (نعم) حتى لوالديك ولزوجك ولأبنائك. إحدى عباراته تقول: «الأم هي أكثر إنسان في الدنيا يصعب قول: (لا) له، ولكنك عليك أن تتعلم كيف تقولها لها» إذ كما تقول الكاتبة: «إن قول (لا) عند الضرورة، حتى وإن كان والداك لهما دخل بالموضوع، سوف يدعم استقلالك ويجبرهما على إدراك أنك تستحق الاحترام».

بوجود هذا الكتاب وأمثاله يجب ألا نتساءل مستغربين: لماذا أصبح أبناؤنا صعاب المراس. إن أول شيء فعلته بعد أن اطلعت على هذا الكتاب المشؤوم هو أني جمعت أبنائي - الواقفين على أعتاب مرحلة المراهقة - وقدمت لكلامي بمقدمة وهي: إن هناك في المكتبات ربما تجدون يوماً ما كتباً تناقض شريعتنا كهذا الكتاب ثم أريتهم إياه، وسردت لهم ملخص ما جاء قيه، وأريتهم بعض العبارات الصارخة، ثم أثبت لهم بالدليل من القرآن والسنة أن ما جاء في هذا الكتاب باطل، ويناقض أوامر الله سبحانه وتعالى، وأنه يحرم عليهم الاطلاع على ما يغضب الله سبحانه وتعالى أياً كان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

القنوات الفضائية المنحلة:

يعتقد بل يؤمن كلنا أن لهذه القنوات المخطط لها بطريقة ممتازة - ولكن لأهداف سيئة - أكبر الأثر على فكر المراهق وقلبه خاصة، وبقية أفراد المجتمع عامة، ولن أضيّع الوقت لإثبات ما هو ثابت، يقول المثل: وكيف يصح في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل، خذ فقط هذا المسلسل الشهير الذي يُعرض منذ عدة سنوات كمثل:

مسلسل (طاش ما طاش) وأثره على المراهقين:

يصر القائمون على هذا المسلسل كل الإصرار وبشكل سافر على استخدام الأساليب التي تغري المراهق، وتكرارها مهما كان موقف الشرع ومهما كانت ردة فعل الناس: إنه: (طاش يطيش بالعقول طيشاً) فإحدى الحلقات التي قُدر لي أن أشاهدها تروي قصة شاب يحاول معاكسة فتاة عن طريق الهاتف، مستخدماً أسلوب دغدغة المشاعر، ومع أن الفتاة تصده وتشتمه في كل مرة، إلا أنه يصر ويستمر على الأسلوب نفسه عشرات المرات ومع استمراره وأمام إصراره تضعف الفتاة في النهاية وتستجيب له، بل وتخرج معه، وفي النهاية يتزوجها.

هذه النهاية التي هي في الحقيقة ليست نهاية واقعية، فالنهاية في مجتمعنا في كثير من الأحيان هي: نبذ وربما قتل البنت التي يثبت خروجها مع شاب، فماذا يريد

القائمون على هذا المسلسل: يريدون التغرير بالشباب والفتيات وخداعهم وإيقاعهم بشر أعمالهم بدل الأخذ بأيديهم ونصحهم باعتبارهم أبنائهم وأبناء مواطنيهم، أفلا يكفي شبابنا الشر الذي يترصد لهم من أعداء الأمة والوطن؟!.

وقد اشتكى الكثيرون من استخدام هذه الطريقة مع مراهقيهم من قبل الضالين والضائعين. والمتفق عليه بين العقلاء والنبهاء أن أثر هذه الحلقة وما شابهها خطير جداً لأنها تغش وبشكل درامي وحزين جيلاً بأكمله، إذ تصوّر للمراهق والمراهقة أن الزواج بهذه الطريقة ممكن جداً، وهذا أمر عارٍ عن الصحة لأن معظم الذين يستخدمون هذا الأسلوب إن لم يكن الكل يستخدمونه للإيقاع بالفتيات لأهداف اللهو والعبث وليس للزواج. وعليه فيجب على أولياء الأمور من آباء ومربين أن ينبهوا المراهقين إلى خطورة هذا الأسلوب ويسمونه باسمه (أسلوب طاش ما طاش) لأننا نعتقد أن معظمهم شاهد هذه الحلقة ومن المتوقع أن يكون قد تأثر بها وبأمثالها.

وسائل الإعلام الأخرى:

مثل الصحف والمجلات، وهي كذلك تضطلع بدور الأسد في توجيه عامة الناس إلى الوجهة التي يريدونها، وهم يعرفونها جيداً: (التسطيح) و(التغيير) بعيداً عن ثوابت الشريعة. وبالإضافة إلى ذلك يرى بيدولف[1]: «أن هناك فيضان من الرسائل السلبية التي تأتينا من الإعلام خصوصاً قنوات الأخبار، فقد يقرأ عن جرائم الجنس المروعة في الصحف، أو معسكرات الاغتصاب، والأولاد ما قبل المراهقة تضطرب مشاعرهم بصورة غير مستقرة عندما يسمعون بهذه الأخبار». وأتساءل تعقيباً على ما ذكره بيدولف: وماذا أيضاً إذا كان هؤلاء الناشئة يشاهدون وبشكل دوري مقاطعاً جنسية عن طريق الأفلام، وعن طريق البلوتوث؟!



(١) بيدولف مرجع سابق – ص١.

ثالثاً: المخاطر غير المخطط لها

من أساليب الاستدراج التي يتعرض لها المراهقون بدافع من الهوى أو السرقة - فتاة كانت تمشي فاستوقفها طفل يبكي وقال لها أنه ضائع، فتبرعت بتوصيله إلى منزله ولما وصل إلى منزلٍ ما أفهمها أنه يشك في كون هذا المنزل منزله، وأشار عليها بقرع الجرس، وبمجرد أن قرعت الجرس أُغمي عليها - حيث أصابتها صعقة من التيار الكهربائي - وتم اختطافها وفعل الفاحشة بها.

• في ليلة الثالث والعشرين من رمضان من عام ١٤٢٨هـ، وبعد انتهاء صلاة التراويح في أحد مساجد الرياض، استنجد رجل بابن العاشرة الذي جاء للصلاة ليلاً وقال أنه فقد ابنه وطلب منه أن يساعده في البحث عنه، واقترح أن يتولى الصبي البحث عنه في دورات المياه، صدقه الصبي واستجاب له، وذهب إلى دورات المياه، وبمجرد اقترابه من الباب دفعه الرجل إلى داخل دورة المياه، وفعل به الفاحشة.

وقد تبين أن الصبي جاء للصلاة برفقة أخيه الذي يكبره بعامين فقط. إذاً الطفل ذهب ضحية إهمالٍ ما من قبل ولي أمره. حيث كان المفروض أن يرافقه ولي الأمر إلى كل مكان خارج المنزل، ويحرص عليه كل الحرص. وبالمناسبة فقد أفتى بعض العلماء بعدم ضرورة ذهاب الصغار إلى المسجد لوحدهم إذا خيف عليهم.

• فتاة صغيرة وأختها ذهبتا إلى زيارة صديقتهما، وفوجئتا بأنها تطلب منهما مقابلة جدها، ولكن لحسن الحظ رفضتا. ونقول كذلك: إن هاتان الفتاتان كادتا أن تذهبا ضحية إهمالهما وتركهما يذهبان بمفردهما إلى منزل لا يعرفه الأهل.

• وهذه فتاة تذهب بالفعل ضحية الإهمال: حيث ذهبت لزيارة صديقتها، فدخل أخوها وفعل الفاحشة بها بعلم أمه، ثم هددها هو وأمه بالصور، واتخذها صاحبة بعد ذلك يطلبها كما يشاء، واتخذتها أمه خادمة، تطلبها للخدمة كما يحلو لها.



وبالنسبة لقصص الفتيات اللاتي يغرر بهن هناك الكثير من هذه القصص ذُكرت في بعض الكتب والأشرطة المتخصصة مثل: شريط عندما ينتحر العفاف، وشريط الدرة المكنونة، وشريط اللؤلؤة المصونة، وكتاب فتيات ضائعات لبثينة العراقي. ومن الضروري أن يوفر الوالدان لبناتهم وأبنائهم هذه الإصدارات للاطلاع عليها من آن لآخر.

• رجال يعطون سائق إحدى الفتيات مبلغاً كبيراً من المال، ويطلبون منه إحضارها لهم فيحضرها، ويفعلون الفاحشة بها. وهذا يعني أن لا ندع بناتنا وأبناءنا يذهبون لوحدهم مع السائق.

• رجال يعطون فتاة مبلغاً كبيراً من المال كي تحضر لهم صديقتها عن طريق الخدعة وهذه تعطيها بدورها وردة لتشمها في أثناء خلو المدرسة فتدوخ الضحية وتمشي خلف زميلتها حتى تسلمها لهم.

• هناك رجال ونساء وقعوا فريسة للمخدرات ولم يكتفوا باستدراج الغرباء لهذا الشرك بل قاموا باستدراج أقرب المقربين إليهم، والمكتبات مليئة بهذا النوع من القصص.

• من طرق الاستدراج استخدام أسلوب الاستفزاز من قبل أصحاب السوء خاصة: يقول أحد الشباب المستقيمين، عندما سافرت مع بعض الأصدقاء إلى أحد البلدان الأجنبية للدراسة، قرروا الذهاب إلى إحدى دور الدعارة، قلت لهم: لا يمكن أن أفعل ذلك، فقاموا بالسخرية مني، والضحك علي، وقالوا لي: أنت جبان لا يمنعك من هذا إلا الجبن، عندها قررت أن أثبت لهم أنني لست جباناً، فذهبت معهم، وعندما أدخلوني على المرأة شعرت بالرهبة والحرج، فلم أفعل شيء، فقالت لي: ماذا بك؟ فما كان مني إلا أن قلت لها: أنا مصاب بالإيدز، عندها أسرعت قائلة: لا عليك، حتى أنا مصابة به. عندها وليت هارباً، فقد كنت أكذب عليها.

• زوجان يقيمان حفلة بمناسبة عودتهما إلى الوطن، ثم يقوما بوضع المخدر للموجودين في أحد المشروبات، الذين يعودون إليهم ليطلبوه في اليوم أو الأيام التالية ليقعوا جميعاً فريسة لهما.

• مختصة اجتماعية في إحدى المدارس الابتدائية تعطيها ابنة الابتدائي وردة لتشمها لتقع فريسة المخدرات، وكان أبو الطفلة هو المصدر، وذلك لرغبته بالانتقام من المعلمة التي اكتشفت من الطفلة أنه ساحر يهين القرآن الذي وجدته محرفاً مع الطفلة فكل كلمة (الله) وضع بدلاً عنها كلمة (إبليس) والعياذ بالله.

• طلاب وطالبات منتشرون في كافة المراحل الدراسية حتى الابتدائية منها يروجون المخدرات عن طريق الادعاء بأنها حبوب لألم الرأس أو البطن أو لشرح الصدر أو لتقوية الذاكرة أو أي شيء آخر.

• تحدث مراهق (في السادسة عشرة من عمره) عما حدث له، وذكر أنه كان في إحدى بقالات الحي ذات يوم، وبينما هو يحاسب إذ شعر بأن أحداً ما يقف خلفه، ويتبعه كظله حتى خرج من البقالة، وعندما وازى إحدى العمائر دفعه إلى داخل العمارة محاولاً فعل الفاحشة به ولكن لحسن الحظ دافع الشاب عن نفسه بكل قوته، فهرب الرجل... تبعه المراهق وأمسك به مع أصدقائه من سكان الحي، ثم أوسعوه ضرباً وسلموه للشرطة التي اكتشفت أن له سوابق اغتصاب لأطفال ومراهقين بالطريقة نفسها مع أنه طبيب.

• هناك حوادث كثيرة يحدث فيها السلب والخطف بشكل مباشر، أو بشكل بدائي مثل أن يأتي شابان أو أكثر، أحدهما أو أكثر يحاول إلهاء الضحية بأي حديث بينما يحاول آخرون سلب ما معه أو خطفه.

• سمعت عن حالة خطف حدثت بالطريقة التالية: كانت الأم تجلس مع أطفالها في حديقة المنزل عندما طُرق الباب، ذهب أحد الأطفال - يبلغ العاشرة من العمر - ليفتح وبعدها اختفى ولم يعد حيث تم خطفه. لتواجه الأم والأسرة كلها بعد ذلك أسوأ حياة.

• هناك طريقة التخويف بعرض حيوان مفترس كأفعى - غير حقيقية - مثلاً ليخاف الضحية ولا يحدث أي صوت ويستسلم من دون أدنى مقاومة.

• فتاة تقول أنها قابلت إحدى الفتيات وادعت بأنها زميلتها عندما كانتا في المرحلة الابتدائية، وأنها تود مقابلتها في مكان ما خارج الجامعة، ولكن لحسن الحظ أن الفتاة أخبرت أمها بالواقعة فنبهتها أمها بعدم الانجرار وراءها.

• ومن أطرف ما سمعت من الحيل وأغربها: قصة بائع في أحد المحلات، دخل عليه رجل عجوز ليشتري، وبعد مساومة اتفقا على سعر معين، ثم دخل عليه اثنان وساوماه أيضاً، فقال لهما: سأبيعكم بالسعر نفسه الذي بعت به لهذا الرجل (العجوز) فقالا له: أي عجوز، فقال: هذا الواقف أمامكم، ألا تريانه؟ فقالا: لا، لا نرى أحداً يبدو أنك مجنون، وخرجا. فقال العجوز: والله الذي لا إله إلا هو لا يراني أحدٌ غيرك فأنا ملك أرسلني الله إليك كي أبشرك بالجنة، وهذه قطعة حرير من الجنة تثبت صدقي فشمها الرجل، وذهب في سبات، ولما استيقظ وجد أن المحل خالي من كل شيء فعرف أن هؤلاء عصابة اتفقوا على هذه الخطة كي يسرقوا محله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

• وهناك قصة بعكسها، حيث قال أحد الكهان لإحدى الفتيات من زبوناته أن هناك رجل – وذكر لها المواصفات – سيتقدم لخطبتها، وأن عليها الموافقة لأنه مناسب تماماً، وبعد عدة أيام اتصل بها رجل تبين أن له المواصفات نفسها التي ذكرها الكاهن وبدأ يعدها بالزواج، وبالوقت نفسه يطلب منها المساعدة، فطبعاً انساقت خلفه، وأعطته كل ما يريد – ظناً منها أنه فارس الأحلام الموعود – ظل هذا يبتزها فترة من الزمن، ويعدها بالزواج حتى أخذ منها كل ما يريد، وبعد أن انتهى، وأصبح واضحاً تماماً أنه كذاب اعترف لها أنه صديق ذلك الكاهن المخادع – والكهنة كلهم مخادعون كذابون – كما يعلم العقلاء فقط.

• وما دمنا في سيرة المشعوذين تذكرت حادثة مؤلمة: ففي ليلة زفاف إحدى الفتيات الجميلات، وبينما كانت الفتاة تتجهز في حجرتها دخلت عليها امرأة لا تعرفها وسلّمت عليها وباركت لها ثم أعطتها كأس عصير فشربته الفتاة – وكانوا يظنون أنها من أهل العريس – ولما حان وقت زفافها إلى بيت زوجها أخذت تصرخ كالمجنونة وتصر على العودة إلى منزل أهلها، وأمام هذه الحالة المزرية،

اضطر أهلها إلى إعادتها من حيث أتت، وفي اليوم التالي جاؤوا بمن يقرأ عليها، فصرّح لهم بأنها مسحورة وأن السحر عبارة عن شيء شربته، ومع القراءة عليها عدة أيام، بدأت الفتاة تتقيأ وتشعر أن هناك شعر يريد أن يخرج من حلقها دون أن تستطيع إخراجه.

تذكرت الأم تلك المرأة الغريبة التي دخلت على ابنتها ليلة زفافها، وتذكرت أن زوج ابنتها الأول – التي دفعته الابنة إلى أن يطلقها قبل الدخول عليها مع أنه كان راغباً بها بشدة – تذكرت أنه أقسم لها عبر الهاتف قبل الزفاف الثاني بأيام قليلة أنه لن يسمح (لهذا الزواج بأن يتم). وعندما علمت أخته بما حدث – وكانت امرأة صالحة – اعترفت لهم أن أخيها قال لها الشيء نفسه. مر على هذه القصة عدة سنوات وما زالت الفتاة الجميلة تتمنى الزواج والاستقرار مثل الفتيات العاديات حتى كتابة هذه السطور. لقد كُتب لهذه المأساة الكبيرة أن تحدث نتيجة ثقة هؤلاء بالغرباء.

• ومن أغرب أساليب المشعوذين والدجالين أنه ذكر كثيرون أنهم تلقوا اتصالات هاتفية من شخص يبدأ بالسلام عليهم ثم يقول للشخص: أنت فلان – يذكر له اسمه – ثم يقول له أنه علم بطريقته الخاصة أنه مسحور، وأنه قادر على فك السحر عنه مقابل أن يرسل له مبلغاً من المال عن طريق البنك، وقد يصدق بعضهم لا لشيء إلا لأنه ذكر له اسمه، ولكن مع شيء من التأمل وجد بعض منهم أن السر في هذا هو أنهم اشتركوا يوماً ما في تعبئة كوبونات مسابقة ما في أحد الأسواق التجارية. على كل حال إن الحصول على اسم صاحب الهاتف أو الجوال ليس عقبة أمام المتمرسين من السفلة البتة خاصة المشعوذين.

• يشبه هذا ما وقع لعدد كبير من الناس وأنا واحدة منهم، حيث اتصل بي أحدهم هاتفياً وأنا أراجع هذا الجزء من الكتاب وهذا لسوء حظه – وبشرني بأنني حصلت على هدية عبارة عن إقامة أربع ليال مجانية في فندق خمسة نجوم في بعض المدن السياحية، وأن علي الحضور مع محرمي إلى مقر الشركة في اليوم نفسه للاشتراك في برنامج سياحي معين والدفع مقابل الاشتراك، فشممت رائحة نصب

واحتيال فاتصلت على الشرطة وبلّغت المسؤول فما كان منه إلا أن قال لي: لا تذهبي إلى هناك يا أختي...هؤلاء نصابون أنا وقعتُ في شركهم (أنا يا رجل الأمن؟!) ثم استدرك قائلاً: (بسبب أم العيال) لقد نصبوا عليها. ثم ذكر لي بعد أن وصفت له عنوانهم أن هؤلاء معهم ترخيص بمزاولة النشاطات السياحية.

أحدث أساليب الاستدراج (الاستدراج عن طريق الإنترنت)

• ذكرت لي إحداهن، أن ابنتها تعرفت على شاب عن طريق النت، وأقنعها بأنه يريد الزواج منها، وصرّح لها بأنه يرغب في معرفة مواصفاتها، فأخذت تصف شكلها له ثم قال لها: أرغب بالزواج منك دليني على منزلكم سآتي فجراً لأخطبك، ولحسن الحظ أن الفتاة أخبرت أمها، لأنها لحسن نيتها ظنت أنه فعلاً سيأتي ليخطبها، قالت لي أمها: عندها لم يكن مني إلا أن منعت النت عن ابنتي بأسلوب لا يجرح مشاعرها.

• شباب اعتادوا على استدراج ضحاياهم عن طريق النت، وذلك بأن يستخدموا معرّف نسائي للإيقاع بالشباب، فيدّعي أحدهم أنه فتاة مسكينة تحتاج إلى المساعدة فيواعد الشاب المغرر به في مكان ما، وعندما يأتي الشاب الضحية يقوم مجموعة من الشباب بمهاجمته، ويسلبونه بالقوة كل ما معه حتى سيارته، وربما اختطفوه هو أيضاً.

• قرأت في صحيفة الاقتصادية مقالاً كتبه أ. د. عوض الأسمري في العدد (٥٢٤٠) يذكر فيه قصة أسرة كريمة غنية ومحافظة لديها فتاة جميلة تتوافر فيها الشروط الأربعة: ذات دين، ومال، وجمال، ونسب. فقال: كانت هدفاً للافتراس من قبل أحد الوحوش الضارية ممن لا أخلاق لهم ولا دين. خطط الوحش لافتراسها، ولكنه لم يُوفق في المرة الأولى، لأن الفريسة كانت حذرة ولا تشرب إلا من ماء صاف وآمن ليست مثل بعض الغزلان التي تذهب للشرب من ماء عكر – مملوء بالكدر والطين – وتحيط به الوحوش من كل جانب، إنها فتاة محتشمة ومحترمة لها سمعة طيبة عند الأقارب والجيران ولكن صمم الوحش الكاسر بعد أن وضع عينه على فريسته.

كان هناك تحدٍ كبير بينه وبين زملائه للظفر بالفريسة.

مع الأسف كانت تدخل على الإنترنت دون حذر. استطاع الحصول على صورتها الفوتوغرافية المخزّنة في جهاز الحاسب، وتسجيل لصوتها عندما كانت تتحدث مع إحدى صديقاتها. ومن هنا بدأت القصة المحزنة. فقد ظلمت عائلة بل أسرة بل مجتمع بأسره من حطّاب الليل. استطاع دبلجة صورتها مع صور مخلة بالشرف حصل عليها من الإنترنت. بعد ذلك جزّأ صوتها عن طريق برامج باهظة التكلفة – تعرف باسم برامج تمييز الصوت – أنتج فيلم فيديو مخلاً بالشرف لا يزيد على ٣٠ ثانية.

بدأ التهديد والابتزاز لكامل الأسرة. بداية استطاع الحصول على بريدها الإلكتروني وأرسل لها المقطع طالباً منها تلبية رغباته، أصيبت بالذعر، ولولا ثقتها بنفسها، لصدقت ما رأت، ولكنها تمالكت نفسها، وأخبرت أحب وأستر الناس – أمها – طلبت أمها أن ترى المقطع، فرفضت المسكينة، لأنه مخل بالشرف، وقد تصدق أمها الحكاية، وتدخلها في نفق التحقيق.

تداركت الأمر، وأخبرت أخاً لها عاقلاً وله خبرة بسيطة في مجال الكمبيوتر وذكرت له القصة بكاملها، وأن هذا المجرم سبق أن أرسل لها رسالة عبر البريد الإلكتروني يطلب منها المقابلة أو الحديث لأنه يرغب في الزواج منها على سنة الله ورسوله وأنه رجل صاحب مال وجاه، ولكنها لم ترد عليه.

صدّق الأخ أخته، ولكن المشكلة كبرت وتحولت إلى عملية ابتزاز للأسرة كافة. ضغط أقارب البنت على والدها، وأنه سيجلب العار للأسرة كافة، فاضطر إلى الرحيل إلى كندا والعيش هناك.

ولو أن الفتاة اتخذت احتياطاتها بعدم وضع صور على الإنترنت لربما حمت نفسها ولهذا لا أنصح الاحتفاظ بأي صور لا على النت ولا في أي مكان، وذلك لضمان الأمان الكامل، الذي يضمنه الله طبعاً مع المحافظة على أذكار الحفظ والتوكل عليه سبحانه.

والآن سؤالٌ يطرح نفسه: ألا يمكن أن يُحتال على الأب والأم من أجل خطف أو استغلال أبنائهم؟

الجواب: بلى، ولابد من وضع هذا بعين الاعتبار، لأنه حدثت مثل هذه الحوادث، فكلنا يعرف كيف تم الاحتيال على نبي الله يعقوب عليه السلام للخلاص من ابنه يوسف عليه السلام وإلقائه في البئر من قبل أقرب المقربين، فلابد من أن يحتاط الأبوان لهذا، ولذا لا يجب أن يأتمن الوالدان على أولادهم مع أي أحد، ولابد أن يتوليا رعاية أبنائهم بأنفسهم حتى لو كانوا كباراً كالمراهقين، والاعتماد عند الضرورة على الأقارب الواعين والموثوق بهم.

ولا أدري كيف يبعث الآباء أبناءهم المراهقين والمراهقات إلى جامعات ومعاهد غير إسلامية في بلاد غير إسلامية للدراسة فيها! ولذلك أرى أن هناك شروطاً لابد من توافرها في المبتعث أو المبتعثة إذا كان ولابد من هذا الابتعاث، هذه الشروط هي:

١) أن يكون قد أنهى الدراسة الجامعية، أو أن يكون قد تخطى سن المراهقة.

٢) أن يكون متزوجاً.

٣) أن يدرس تخصصاً غير متوافر في بلاده.

٤) أن تكون الدراسة في غير تخصص اللغة العربية أو العقيدة الإسلامية.

٥) أن يُتابع متابعة ممتازة من قبل سفارة بلاده، ومن قبل ذويه.

٦) القيام بكل ما من شأنه حمايته، مثل انخراطه في جمعيات واتحادات إسلامية موثوق بها، وحضوره لندوات ومحاضرات بشكل دوري وثابت فلا يُعطى شهادة إلا بإحضار ما يثبت التزامه بالحضور.

٧) ضرورة وجود المحرم للمبتعثة.

وهكذا فهناك الكثير والكثير من أساليب الاستدراج التي يتبعها الأشرار لاصطياد الأطفال والمراهقين خاصة، لم يتسنَ المجال لذكرها، ولكن يمكن أن نجمل هذه الأساليب بالتالي:

– استغلال حسن نية الناس.

– الاستفزاز.

– الإغراء بالمال.

– الوعد بالسعادة والثروة.

– الاحتواء السيئ النوايا واستغلال حاجة المراهق أو المراهقة للناحية المادية أو العاطفية.

– استخدام أسلوب المدح والتشجيع.

– الإصرار والتكرار.

– استخدام شتى الحيل.

– استخدام شتى الوسائل من بدائية ومتطورة.

– استغلال أخطاء الشخص السابقة بتهديده بفضحها.

– استغلال أصدقاء المراهق أو المحيطين به من أقرباء أو خدم بإغرائهم.

– التهديد والتخويف في حال الرفض أو في حال إعلام الأهل.

– استخدام أسلوب العصابات أو الشللية لمحاصرة المراهق وإجباره.

وهناك المئات والمئات من أساليب الخداع والحيل التي تتفتق عنها عقول المجرمين واللصوص والسفلة، الذين لا يتورعون عن استخدام أي وسيلة مهما تكن، ولن نستطيع الإحاطة مهما حاولنا بهذه الأساليب طالما أن الشيطان لا يزال يسري في عروق الخليقة، فإلى من المشتكى؟! ومن ينقذنا من مكر الليل النهار؟!... ألا فإلى الله المشتكى وهو منقذنا.

فعلينا تحصين أبنائنا بالأذكار المشروعة وتعليمهم هذه الأذكار والدعاء لهم، ففي سورة إبراهيم الذي اشتهر بدعائه لذريته فاستجاب الله سبحانه وتعالى له

وجعل من ذريته معظم الأنبياء بمن فيهم محمد ﷺ وأمته قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٠].



دور الأسرة:

هناك شرط مهم جداً يجب أن يتوافر في كل أسرة كي تستطيع حماية أبنائها، وهو رعاية الاستقرار الأسري ووعي الوالدين بضرورة التفاهم والاتفاق على الطريقة المناسبة لرعاية وحماية أبنائهم، ولقد لخّص رسول الله ﷺ طريقة رعاية هذا الاستقرار بجملة واحدة فقط لا غير حيث قال ﷺ: «**لا تغضب**».

إن عدم الغضب علاوة على أنه يوفر الاستقرار النفسي الملائم لقاعدة تربوية صحيحة من شأنه أن يدرب الأبناء كذلك على عدم الغضب، وعدم الثورة سواء بسبب موضوعي أم بسبب تافه، وهذا مما يعود على حاضر الأسرة ومستقبل الأبناء وشخصيتهم بالخير الكثير، فلقد أثبتت الدراسات أن للأفعال أثراً أقوى بكثير من الأقوال، ولقد وافق قول رسول الله ﷺ فعله، فاستحق أن يكون بهذا مثلنا الأعلى في كل شيء.

وسؤال يفرض نفسه: كيف أتوصل إلى هذا المستوى من عدم الغضب؟

الجواب: بالتواضع وكسر كبرياء النفس، حيث إننا إنما نغضب نتيجة لشعورنا بأن كرامتنا أُهينت، ولكن عندما نجعل الكرامة هي آخر أهدافنا وعندما نجعل أول أهدافنا وآخرها هو رضا ربنا سبحانه وتعالى، فإننا عندها فقط سوف نهدأ تماماً، ولن نغضب أبداً إلا إذا أُنتهكت محارم الله سبحانه وتعالى مثلما كان يحدث لرسول الله ﷺ، ومما يساعدنا بطبيعة الحال على هذا (الدعاء). على أننا يجب أن نتنبه إلى ما يلي:

إن رسول الله ﷺ حينما كان يغضب عند انتهاك حرمات الله فإنه كان يعبّر عن غضبه بطريقة صحيحة تتسم بالنضج الانفعالي البنّاء بعيداً عن العشوائية الهدامة، ولنتذكر من بين مئات القصص النبوية قصة الرجل الذي بال في المسجد، وكيف واجه رسول الله ﷺ هذا العمل المحرم بما يناسب هذا الرجل الجاهل من تعليم وما يحتاج إليه من شرح واف لما يجب عليه عمله بكل هدوء أعصاب. ومرة أخرى نقول: إن الغضب عند انتهاك حرمات الله لا يعني أن نتوقف عن التفكير وإيجاد أحسن الحلول لحل المشكلة.

ويعد هذا الكتاب برمته وأمثاله وسيلة مهمة جداً يطلّع الوالدان من خلالها على أسلوب التفاهم والتعامل السليم لرعاية الأبناء.

ثانياً: أن يقوم الآباء بخطوات لا غنى عنها لحماية الأبناء وهي لحماية المراهق يجب أن ننبه وندرب أبناءنا منذ الصغر على:

١. **تحفيظهم سورة البقرة** وتعويدهم على تلاوتها يومياً لأنها مع أذكار الحفظ وأوراد الصباح والمساء، ومع تناول سبع حبات من العجوة والمداومة على الصدقة، خير واقٍ من أي مخاطر محتملة، فعن أبي أمامة الباهلي قال: قال ﷺ «**عليكم بالبقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**» رواه أحمد ومسلم، البطلة: أي السحرة. كما على الوالدين أن يعوِّذا أبناءهم بتلاوة المعوذات، وقد كان رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين رضي الله عنهما وكان يقول ﷺ: «**ما تعوذ متعوذ بمثلهما**»، وكان يقول: «**كان إبراهيم يفعله**» أي يعوذ إسماعيل وإسحق عليهما السلام، وقال ﷺ: «**من تَصَبَّح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر**» رواه البخاري.

أما أثر الصدقة فيدل عليه المقولة التالية: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء».

كما على الوالدين أن يدعوا لأبنائهم وأبناء المسلمين لأنه لا شيء يمكن أن يرد القضاء كالدعاء، ويجب التنبه إلى أننا سنظل نذكّر بهذه النقطة لأهميتها القصوى.

فلو أن كل أب وكل أم دعوا لأبنائهما وأبناء غيرهما من المسلمين لحفظ الله سبحانه وتعالى بمنه وكرمه هؤلاء الأبناء جميعاً كما وعد، لأن الأمر لن يخلو على أقل تقدير من رجل أو امرأة مستجابة الدعوة خاصة وأن الله يستجيب لمن يدعو بظهر الغيب، فتقول له الملائكة: ولك بمثل.

٢. **تشجيعهم على القراءة**، وأقترح أن نجري فيما بينهم مسابقات، مثلاً: نعطيهم آية، ونقول لهم أن هذه الآية موجودة في جزء كذا.. – على حسب الوقت المتاح – وقد نضع مكافأة للفائز، ويمكن إجراء هذه المسابقة حتى إذا كان لدينا ولد وحيد بأن نطلب منه أن يسألنا مثل ما نسأله.

وهناك طرق عديدة لتشجيعهم على القراءة مثل أن نحدد لهم صفحات معينة ليجدوا جواب السؤال المطلوب في كتاب مفيد كالسيرة النبوية، وينقلوا الإجابة ثم يطلعونا عليها، وهذه الطريقة تعينهم كثيراً على التركيز.

٣. **تطهير بيئتهم من وسائل الإفساد والتخويف المرئية والمسموعة والمقروءة**، مثل عدم اقتناء القنوات السافرة، وتحذيرهم من مشاهدة أفلام وقصص الرعب التي تخوفهم وتحيلهم إلى جبناء، وتوجيههم ونصحهم بحفظ سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم من كل ما يُغضب الله، وعلى الوالدين أن يحفظّوا أبناءهم هذه الآية مع شرحها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

الوالدان بكل تأكيد مسؤولان عن توجيه الأبناء إلى ما ينفعهم، وشرح ما يضرهم وتحذيرهم من آن لآخر من المخاطر التي تضر بدينهم ودنياهم حتى يتأكدا أنهم قد فهموا والتزموا، قال ﷺ: «**ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة**» رواه البخاري. وقال: «**إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته**».

٤. **الإشراف الجيد عليهم ومراقبتهم داخل المنزل**، فلا يجب تعويدهم على إغلاق غرفهم بالمفتاح، لأن من واجب الوالدين الإشراف على محتويات الغرفة ومحتويات حقائبهم وملابسهم وأي مقتنيات لهم في أي وقت لضمان عدم وجود أي

أشياء ضارة. كما يجب أن لا يُتركوا يغيبوا لمدة طويلة عن أعين الوالدين حتى لو كانوا داخل المنزل من دون أن يطّلع الوالدان من آن لآخر على النشاط الذي يقومون به.

ويتأكد الحرص على هذا الإشراف عندما يكون في زيارتهم زملاء أو أقارب، حيث يذكر الطبيب النفسي (محمد الصغير) أن أكبر نسبة اعتداء جنسي تحدث من قبلْ الأقران الأقارب ثم من قبل الأقارب الكبار كالعم والخال... إلخ كما كشف أن المعتدي قد يكون أصغر سناً من المعتدى عليه إذا كان أقوى جسدياً وعقلياً، فقد يكون في السادسة أو العاشرة من العمر ويعتدي على ابن الرابعة عشرة، وقد أعاد هذا النضج الجنسي المبكر إلى كثرة تعرض الأطفال والشباب إلى المغريات ومثيرات الغرائز بشكل متواصل، أو تعرضهم للاعتداء الجنسي من قبل آخرين مما يجعلهم ينتقمون من هؤلاء المعتدين بطريقة غير مباشرة عن طريق الاعتداء على آخرين، كما أكد على وجوب الحذر عند الاجتماعات العائلية سواء في البيوت أم في الاستراحات.

وكذلك يجب أن لا يُتركوا في المنزل وحدهم قدر الإمكان، ولا يجب أن يدعهم الأهل يختلطوا بالخدم والعمالة أو يتعاملوا معهم بأي نوع من أنواع التعامل سوى التعامل الرسمي.

٥. ويدخل ضمن هذا الإشراف كذلك **تعويدهم على عدم الذهاب إلى المكتبات وحدهم** والتأكد من أن ما يشترونه من كتب ومجلات غير ضار.

٦. **بذل الجهد لاختيار المدارس ذات السمعة الجيدة بسؤال المختصين وذوي الخبرة عنها**، وكذلك التواصل مع المدرسة والسؤال عن أحوالهم فيها، وأحوالهم في أي مكان آخر يذهبون إليه كالأندية مثلاً.

٧. **أن يُدرب الأبناء على أن يخبروا آباءهم عن أي حادثة تحدث لهم**، أو أي لقاء مع أي أحد أياً كان، وأي شيء يشاهدونه أو يسمعونه، خاصةً إذا كان هذا الشيء مخالف لما اعتادوا عليه، وأن يُشرح لهم أسباب ذلك ليقتنعوا وما سردنا للقصص السابقة إلا كي يقتنع الآباء ومن ثم يقنعوا أبناءهم عن طريق قصها عليهم لهم وسرد

أمثالها. ومن المفيد مكافأتهم على تنفيذهم لما طلب منهم أحياناً مادياً وأحياناً معنوياً.

٨. **أن يُدربوا على الحفاظ على حاجياتهم الشخصية**، مثل صورهم، وأرقامهم ومكان إقامتهم، وأسرار وخصوصيات الأهل فلا يجب عليهم إعطاء الغرباء أي معلومات مهما كانت تافهة مثل الاسم أو عنوان المنزل أو الهاتف أو اسم المدرسة... إلخ.

وأن يُعلّموا حدود حريتهم في كشف أي معلومات للآخرين من خارج نطاق الأسرة وأن يعلّموهم كيف يتعاملوا مع المتطفلين وكيف يوقفونهم عند حدهم - قائلين لهم بكل صراحة: هذه خصوصيات لا يجوز لكم الخوض فيها -، وكيف يتعاملوا مع التقنية الحديثة بحيث يستفيدوا من منافعها ويتجنبوا ضررها مثل: الحاسوب، والجوال، وغيره.

٩. **تدريبهم على الشجاعة، وكيفية التعامل مع الغرباء بحزم وجدية**، بحيث يهابهم الغرباء، قالت لي قريبة تسكن في سويسرا: إنهم هناك يقومون بعمل دورات تدريبية للأطفال والمراهقين، يدربونهم على أصول التعامل مع الغرباء، حتى أنهم يدربونهم على كيفية النظر إليهم، (فالنظرة يجب أن تكون صارمة بحيث يشعر الغريب أن هذا الطفل أو المراهق ليس لقمة سائغة)، وفي اعتقادي أنه ليس من الضروري أن يعتاد الطفل على الابتسام للغرباء، وإذا كانت السنّة تحث على إفشاء السلام فالسلام فقط. أما الابتسام والحديث الجانبي فيجب أن يكون لمن نعرفهم فقط.

١٠. **أن لا يذهبوا مع الغرباء إلى أي مكان مهما كانت الأسباب** حتى لو كانت بهدف طلب المساعدة، وحتى لو ادّعى هؤلاء بأنهم سيأخذونهم إلى أحد الوالدين، أو أن أحد الوالدين هو الذي طلب منهم ذلك.

كما يجب أن لا يأخذوا منهم أي شيء حتى لو كان منديلاً، أو كأس ماء، أو علاجاً مهما يكن.

ويجب أن تقتصر مساعدة من يطلب المساعدة سواء كانت مادية أم عينية على العطاء دون الأخذ في المكان نفسه ومن دون الذهاب معه، أو إحضاره إلى المنزل، أي اتباع مبدأ (أعط الغريب المساعدة دون أن تأخذ منه شيئاً ودون أن تذهب معه إلى أي مكان ودون أن تأتي به إلى مقرك) وصدق من قال: «**لا يدخل بيتك إلا تقي ولا يأكل طعامك إلا تقي**».

١١. **إذا اقتضت الضرورة ذهاب الابن أو الابنة إلى زيارة صديقٍ ما فيجب ذهاب الوالد أو الوالدة معه**، والجلوس جميعاً، وإلا فيجب حضور الصديق إلى المنزل، مع دخول الوالد أو الوالدة عليهما من آن إلى آخر وبشكل فجائي.

١٢. **ألا يذهب الابن أو الابنة وحدهما إلى أي مكان مهما كان قريباً**، قال رسول الله ﷺ: «**الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب**» وذلك ما دمنا نشعر أن الخطر لا يزال قائماً.

ويمكن التعاون بين الأم والأب لملازمته بالتناوب، وإذا لزم الأمر التعاون مع بعض أفراد الأسرة الصالحين سواء كانوا رجالاً أم نساءً، كالأخ الكبير أو أحد الأجداد أو الأعمام أو الأخوال... إلخ، خاصة عند وجود مشكلة لدى المراهق يُخشى عليه منها... أعرف عدداً غير قليل من الشباب والفتيات الصالحين الذين أعادوا سبب صلاحهم إلى ملازمة والديهم لهم حتى تخرجوا من الجامعة. ويجب أن لا يُفهم من هذا أنني أدعو إلى التضييق على المراهقين، وحرمانهم من قضاء بعض الوقت مع رفاقهم، إنما أقصد معرفة متى نلازمهم ومتى نعطيهم مساحة من الحرية تحت رعايتنا وإشرافنا الكامل، خاصة بالنسبة للبنات اللاتي هن بالفعل بحاجة إلى وجود المحرم في كثير من المواقف فمن واقع خبرتي لم أجد كالمحرم واقياً للمرأة من المخاطر.

وإن مما يعين على تحقيق هذه الأهداف تواصل والدي المراهقين والمراهقات بوالدي أصدقائهم بشتى الطرق، والتباحث حول شؤونهم بهدف التعاون على ما يصلح أمورهم ويحميهم سواء عن طريق مجالس الآباء والأمهات، أو عن طريق غيره.

١٣. عدم تعويد الأبناء على لبس الملابس غير المحتشمة التي يمكن أن تثير الغريزة الجنسية لدى المنحرفين، كما يجب توجيههم إلى عدم المبالغة في التزين والتعطر للهدف السابق نفسه.

وعلينا أن نشير مستائين إلى فقداننا لقيمة مهمة جداً، وهي إحساس الجميع بمسؤوليتهم نحو أبناء غيرهم إذا رأوا تقصيراً منهم في غياب والديهم، فلقد ولى ذلك الزمن الذي كان الجار فيه يربي، والعم يربي، والخال يربي... بل علاوة على هذا نجد الأصوات تتعالى من هنا وهناك لتطالب الجميع بأن يكفوا عن ما أسموه (التدخل في شؤون الآخرين) وحتى الجهات الرسمية المتمثلة بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تسلم بدورها من هذا الهجوم، بل عانت منه الأمرين. فماذا يريدون؟!

هذا في الوقت الذي بدأ التربويون من المجتمعات الغربية ينادون بضرورة التعاون من أجل الصالح العام للأبناء، واقرؤوا إن شئتم الفصل الأخير من كتاب ستيف بيدولف (تربية الأولاد)، وخذ هذا المقطع على الأقل:

«ماذا سوف يحدث لو جمعنا طاقات المتطوعين – في النوادي والشركات الكبيرة وخلافها – لبناء (صلات إنسانية) بدلاً من كتابة الشيكات للأطفال؟ إنه لمن الصعوبة معرفة أين سينتهي بنا هذا الأسلوب، لكنه سيكون إلى الأفضل بكل تأكيد... فمجرد معرفتك بأن هناك أطفالاً في خطر، سيغير ذلك من رؤيتك وسيحفّزك، وستكون الفائدة عظيمة، ربما يمكن أن يتم هذا في الهيئة التي تعمل فيها. فيستطيع هذا النوع من الأعمال حقاً أن يغير العالم»[١].

وأخيراً: فكرة فعالة جداً لوقاية أبنائنا:

كعامل وقائي فعّال إلى حد كبير أقترح أن يقوم الوالدان بفحص أبنائهما بشكل دوري منذ بلوغهم العاشرة للتأكد من عدم تعاطيهم المخدرات أو الدخان أو الخمر، فإذا اعتاد المراهق والمراهقة على هذا الفحص تقبلاه بشكل عادي تماماً،

---

(١) ستيف بيدولف – مرجع سابق – ص١٩٢.

وأرجو أن يكون هذا الإجراء وقاية وحصناً حصيناً بعد الله من الشرك الذي ينصبه السفلة لأبنائنا وبناتنا بإذن الله.

ولوقايتهم من مشكلات الشذوذ يجب أن يسأل الوالدان أبناءهم وبناتهم بشكل أسبوعي أو يومي عما إذا كان تعرض أحدهم لملامسة أعضاءه الحساسة أو غير الحساسة بشكل لا داعي له، هل تعرض أحدهم لحديث أو كلمات غير مهذبة؟، هل دعاهم أحد إلى خلوة؟، أو الذهاب معه إلى مكان ما... إلخ؟ وطبعاً لابد من اتخاذ الإجراءات الصارمة في حال وقع أي حادث من هذا النوع.

إذاً لا يجب أن نكتفي بتحذيرهم من هذه الأمور بل يجب أن نسألهم باستمرار هل حدثت لهم فعلاً أم لا؟.



دور الجهات المسؤولة:

بما أنني حمّلت الآباء والأمهات مسؤولية الانحراف الملحوظ في سمات شخصية المراهقين بالدرجة الأولى، فإنني أرى أن دور الجهات المسؤولة يجب أن يتوجه أولاً إلى إصلاح هؤلاء الآباء، وتوعيتهم بأهمية دورهم في تربية أبنائهم وتوجيههم وواجبهم في الحفاظ على هوية أبناء الأمة، خاصة أولئك الآباء الذين يؤمنون بالدعوة القائلة بأن ترك الأبناء يشاهدون القنوات المنحلة وتركهم يمارسون الألعاب الإلكترونية ويتصفحون الإنترنت من دون توجيه ومراقبة وغير ذلك أفضل لنضج شخصياتهم، بحجة أن هذه الأمور باتت أمراً واقعاً لا مناص منه، وأن التعرض لها وممارستها في المنزل أفضل من اضطرار الابن إلى فعل ذلك خارجه.

لذلك من واجب الجهات المسؤولة وكل مسلم مسؤول هو تذكير هذا الصنف من الآباء بأن هذا المبدأ لم يأمر الله سبحانه وتعالى به ولا رسوله، فمن أين أتوا به؟! وإن الصحيح هو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وأن عليهم أن يتذكروا أن هؤلاء الأبناء سوف يتعلقون يوم القيامة برقابهم ويطلبون من الله أن يأخذ لهم حقهم منهم لقاء تقصيرهم

في تربيتهم، سيما وأنه كما قلنا إن أكثر هؤلاء الأبناء يرتكز على بذرة إيمانية سليمة كما اتضح من الدراسة، وإنه من الواضح أن هذا الضياع سببه إهمال الآباء بالدرجة الأولى والله أعلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لتُؤدنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء»** رواه مسلم.

وأرى أن توزّعَ الكتب التربوية والنشرات من آن لآخر على الآباء، كما أوافق الدكتور بكّار في رأيه بأن تقام دورات لتدريب الآباء على دورهم في التربية، ويعلق الدكتور بكار على فكرته هذه بقوله: «إن الناس قد اعتادوا أن يحضروا دورة في التعامل مع موظفيهم، لكن أن يحضروا دورة لتعلم تربية أبنائهم، فهذا شيء مستهجن! وبعضهم يرى في ذلك ما يجرح كبرياءه، لأنه يعتقد أنه لا يحتاج إلى ذلك، وأن في ذلك ما ينقص من كرامته، مع أن الدورة التربوية أهم بكثير من الدورة الإدارية»[1].

وثانياً على الجهات المسؤولة أن تقوم بدورها في توعية التجار والعمالة الوافدة وتوجيههم وجميع أفراد المجتمع التي تساعد في ترويج السلع التي تضر بالأبناء.

كما أرى أن على الجهات المسؤولة القيام بفحص الطلاب بشكل دوري للتأكد من عدم تعاطيهم المخدرات والدخان والمسكرات خاصة بالنسبة للفئات العاجزة مادياً عن القيام بذلك.



رسالة المدرسة:

إن من واجب الجهات المسؤولة توجيه الهيئات التعليمية والتربوية الأخرى وتوعيتهم، وشرح نفسية (سيكولوجية) المراهق والمراهقة لهم، لأن هؤلاء هم الذين يعوضون التقصير في دور الوالدين، ويكملون ويعززون نواحي التربية الإيجابية التي يقومون بها.

(١) عبدالكريم بكار – مرجع سابق – ص١٣.

فواقع المدارس للأسف ينبئ عن وجود مشكلات عديدة، والدليل أننا قلما نرى طلاباً يذهبون إلى المدرسة وهم سعداء، وقد لا نجد طلاباً يفرحون بانقضاء الإجازة.

فهناك صعوبات ومشكلات يواجهها الطلاب في المدارس، بعض منها له نتائج سيئة على حياة الطلاب وعلى سلامتهم، كتبادل المواد الضارة والمحرمة مثل: المخدرات والسجائر والأفلام والصور الجنسية، وممارسة الشذوذ ودواعيه التي ربما مورست علناً... إلخ نتيجة لضعف الرقابة من قبل المسؤولين في المدرسة. ولقد أدت المدرسة دوراً يدعو للهلع كبيئة مناسبة لترويج المخدرات – ليس فقط في الأحياء غير الراقية بل وفي الأحياء الراقية كذلك –.

وهناك حوادث كثيرة تثبت أن المدارس أصبحت بيئة ملائمة لترويج المخدرات حتى الابتدائية منها، يقول أحد المحامين: واجهت قضايا لأطفال في العاشرة والحادية عشرة يتعاطون المخدرات... مسؤولية من هؤلاء؟!

وأعود لأذّكر بقصة ريّان الذي راح ضحية إهمال المسؤولين في مدرسته.

ومن المشكلات ثقل الواجبات المدرسية التي ينوء بها كاهلهم، وتؤدي بهم إلى الإحباط لاسيما طلاب الثانوية العامة، لأنها تعطل الولد عن النمو الاجتماعي والتواصل الجيد مع أفراد أسرته، وتحرمه من اللعب وممارسة الهوايات التي يحبها، وحتى لو أقبل على هذه الهوايات، فسيكون محطماً نفسياً نظراً لشعوره بالذنب ما دام هذا على حساب إنجازه لواجباته، وربما لجأ إلى العنف والحيلة كي يعوض هذا الشعور غير المرغوب.

هذا العنف المتفشي الذي يشعرنا في كثير من الأحيان أننا في غابة جراء الصراع الذي يقع بين الطلبة بعضهم مع بعض، وبينهم وبين أساتذتهم من جهة ثانية يواجه إما بالإهمال واللامبالاة من المسؤولين في المدرسة، أو يجابه بالصرامة ذات النتائج الخطيرة، فالمشكلة أن المدرسين غير مؤهلين في كثير من الأحيان للتعامل مع شغب المراهق، وأحياناً تصبح العملية وكأنها عملية تحدٍ بين الأستاذ وبين الطالب، وربما استعان بمن هو أعلى منه ليستعرضا عضلاتهما أمام الطالب

المسكين هذا وينتهي الأمر غالباً بتغلب هذين، أو بمزيد من العنف، وقد يتسببا في ترك الطالب المدرسة، دون أن يمر في خاطرهما أن عنف هذا الولد ربما كان سببه زيادة نسبة إفراز التستوستيرون أو الحرمان العاطفي، أو الإحباط جراء عجزه عن أداء واجباته على الشكل المطلوب، وأنهما لو استخدما الاحتواء والمحبة والاحترام والتشجيع متضمناً التسامح معه – الذي لا يتطلب منهما سوى كلمات بسيطة ممهورة بابتسامة لطيفة مع التخفيف عن كاهله – لاستطاعا أن يكسباه، وأن يدفعاه إلى الإبداع في رحاب الحياة الجميلة.

إن ثوانٍ معدودةً من المدير أو غيره في حال مرور الطالب بجانبه خارج الفصل ليسأله عن صحته وأخباره وعن أهله لهي كفيلة بقلب موازين الأمور لصالح الطالب ما دام الطالب باقٍ في المدرسة.

عندما كنت في المرحلة الثانوية مر طابورنا أمام المديرة وكنت أرتدي سلسلة ذهبية فرمقتني بنظرة ولكنها لم تقل شيئاً، وعندما التقيتها وحدي، قالت لي وهي تبتسم: السلسلة جميلة عليك ولكنها ممنوعة في المدرسة... شعرت باحترام وتقدير لها لا أزال أحمله إلى الآن، وها أنا أذكر جميل مديرتي (ابتسام نحاس) في هذا الكتاب لأضرب بها مثلاً طيباً كلما حان وقت الحديث عن حسن الخلق.

لقد تفشى العنف بصورة خطيرة لدرجة جعلت وزارة التربية والتعليم تصدر قراراً بإحالة قضايا العنف في المدارس إلى المحاكم، وبالفعل تم الحكم لأول مرة في قضية عنف في المدارس السعودية في شهر ربيع الثاني من عام ١٤٢٩هـ.

بعض المراهقين لديهم مشكلات سلوكية، نتيجة لاضطرابات في الشخصية وهي بحاجة إلى دراسة وعلاج، ومنها ما يحتاج إلى علاج دوائي بالإضافة إلى العلاج النفسي مثل: (فرط الحركة وتشتت الانتباه)، ومثل: (اضطرابات نقص الاهتمام).

ويجب على المسؤولين النظر إلى الحالات المشكلة في المدرسة – بالنسبة للإخوان – بطريقة شاملة، فمثلاً إذا لوحظ أن جميع الإخوة لديهم مشكلات

سلوكية، فيمكن النظر إلى أسباب المشكلة على أنها أسباب أسرية بالدرجة الأولى؛ ولذا فإنني أدعو إلى تعيين مختصين نفسيين بشكل كافٍ في المدارس لرعاية الطلاب والطالبات من الناحية النفسية، أو على الأقل إنشاء إدارة للمختصين النفسيين في كل مدينة لعلاج مشكلاتهم السلوكية بالتعاون مع الأسرة عن طريق تطبيق برامج مناسبة للمجتمع.



رسالة الإعلام:

إعلامنا العربي وحتى العالمي مطلوب منه:

- **تطهير المجتمع من وسائل الإفساد** كوسائل الإعلام غير المشروعة من مقروءة ومرئية ومسموعة، والألعاب الإلكترونية السيئة بمصادرتها، ووضع القوانين الصارمة التي تمنعها وتعاقب من يخالف هذه القوانين، خاصة إذا علمنا أنه أصبح يدخل إلى بلاد التوحيد هذه وسائل كفرية واضحة الكفر وشركية صريحة، وأخرى تدعو بطريقة مباشرة وبطريقة غير مباشرة إلى السحر والانحلال والخلاعة، وكل هذا عن طريق ألعاب، (إنها مجرد العاب) هكذا يقول بعضهم، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه: ماذا يقول الله عن هذه الألعاب؟!

- **مواجهة الإعلام المعادي ببرامج جذابة ومفيدة:** يقول الدكتور نزار الصالح وهو أستاذ علم النفس بجامعة الملك سعود في برنامج عن الشباب والفراغ أذيع في قناة المجد الفضائية: إن للإعلام دوراً كبيراً جداً، فيجب أن ينفق على الإعلام (البرامج التلفزيونية خاصة)، وذكّرنا ببرنامج (افتح يا سمسم) الذي أنتجته دول الخليج مشتركة وصُرف عليه الكثير وعلى الرغم من أنه منقول عن برنامج غربي، إلا أنه نجح فقد كان شاملاً لكل جوانب الطفل وبطريقة مشوقة جذبت إليه الكبار قبل الأطفال، ورأى أنه يجب أن تُنتج برامج مشابهة لكل شرائح المجتمع خاصة الناشئة، كحل أمثل للوقوف في وجه الإعلام المعادي. كما اقترح اقتراحاً جميلاً هو: (أن يُنفق وبسخاء لإنتاج برامج تلفزيونية ثقافية تعليمية متقنة) تعلم الناشئة أعمالاً وصناعات معينة يمكن أن ينفذها الشاب بنفسه، كالتجارب التي

تتضمنها المناهج الدراسية ولا تطبق عملياً في المدرسة نتيجة لنقص المواد الخام والإمكانيات المادية، ومما يدعو إلى التفاؤل أنني علمت أن وزارة التربية والتعليم ستطلق قناة فضائية لتنفيذ هذه الفكرة البناءة بحمد الله.

ومن البرامج المتميزة التي لابد من ذكرها والإشادة بها ليحذو الآخرون حذوها برنامج (ميدان التحدي) من إعداد صالح العريض وآخرون، وهو من البرامج التربوية الرياضية النموذجية للمراهقين، بالإضافة إلى برامج أخرى جيدة بحمد الله.

وفي هذا المقام لابد من الإشادة بالدور الكبير والإيجابي والمسؤول الذي تقوم به القنوات الإسلامية وعلى رأسها قناة المجد الفضائية لتضييق الخناق على القنوات المنحلّة وإفشال مخططاتها في عملية أشبه ما تكون بعملية حربية، يتضح فيها من الآن الخاسر والرابح، فلقد قامت قناة المجد مشكورة بأداء دورها المنوط بها على خير وجه وعلى قدر استطاعتها نحو جميع أفراد المجتمع خاصة الأطفال والمراهقين فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

- **تشجيع صناعة الألعاب والأفلام والأشرطة المباحة وغير الضارة.**

- **تشجيع كتابة القصص والروايات والمجلات الهادفة والممتعة** في الوقت نفسه والبذل السخي من قبل الدولة، والجهات الخاصة عليها، وذلك باكتشاف المواهب وصقلها وتوجيهها.

- **توعية الأطفال والشباب والفتيات والآباء والتربويين** على اختلاف مواقعهم، عن طريق المناهج ونشر النشرات والمطويات الرسمية والأفلام في المدارس المزودة بالإرشادات الخاصة بكيفية التعامل مع الغرباء، والتعامل مع المواقف المشبوهة، وشرح أهداف الأشرار، ووسائل استدراجهم الكثيرة والمتنوعة، وكيفية مواجهتها.

- **تشجيع إقامة الحدائق العامة المكشوفة لكل حي**، أو لكل عدة أحياء معاً وتزويدها بالملاعب الرياضية المرغوبة من قبل الناشئة، التي يمكن للوالدين الجلوس حولها، ومراقبة أبنائهم بشكل مباشر في أثناء اللعب، للاستعاضة بهذه الحدائق عن اللعب في الشوارع والحارات، أو الذهاب إلى منازل الأصدقاء. وذلك على غرار حديقة الروضة الكبيرة في مدينة الرياض، وبالمناسبة لا اعتبار لما يراه

أحد أطباء علم النفس المشهورين في السعودية من أنه يجب علينا أن نترك الأطفال يلعبون في الشارع لوحدهم من أجل نضج شخصيتهم.

- **الحزم في تطبيق العقوبات التي جاء بها الشرع على المجرمين والمروجين** التي تكفّل بإقامتها دستور هذه البلاد الملتزم بشريعة رب العباد، وتصب في النهاية لصالح فلذات الأكباد، وعدم الاكتراث لدعوات أعداء الإسلام برحمة المجرمين وتخفيف الحدود عنهم.

- **توعية رجال الأمن بأهمية القيام بواجبهم في حفظ الأمن** على الوجه المطلوب عملاً بمبدأ: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٥]، عن طريق، إقامة الدورات الدعوية لهم باستمرار من حين إلى آخر، لأنه لا شيء يحمي أي وطن... وليس هناك شيء يمكن أن يحمي أفراد الوطن مثل الضمير الحي اليقظ الذي يتسم به رجال الأمن، وغيرهم من أبناء الوطن.

- **أهمية توعية أفراد المجتمع الآخرين بأن كل فرد من أفراد المجتمع إنما هو رجل أمن** بأمر من رب العالمين، ولذا أمر سبحانه الجميع دون استثناء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي نهاية هذا الفصل أسأل الله سبحانه وتعالى أن يقينا جميعاً وأبناءنا شر أنفسنا وشر شياطين الإنس والجن وشر كل ذي شر، إنه سميعٌ مجيب.



خلاصة الفصل الثاني

لحماية المراهق..

لابد من حصر المخاطر المتوقعة وذكرها له وتوجيهه إلى الحذر منها بالالتزام بأوامر الله، وبأذكار الحفظ، وتلاوة سورة البقرة يومياً، وتناول العجوة، والصدقة قدر الإمكان، والتوكل على الله، وأن تقوم الأسرة بدورها عن طريق:

١. عدم حرمان المراهق قدر الإمكان، والإشراف الجيد عليه داخل المنزل، وملازمته من قبل الوالدين أو من ينوب عنهما عند الخروج، أو تقديم البديل له عند الضرورة.

٢. قيام المدرسة ووسائل الإعلام ورجال الأمن بأدوارهم كل فيما يخصه.

٣. القيام بفحص المراهقين بشكل دوري للتأكد من عدم تعاطيهم المخدرات والدخان والمسكر.

٤. سؤالهم بشكل دوري عن طبيعة علاقتهم بالآخرين، ومدى تعرضهم لأي معاملة شاذة أو مشبوهة.



كيف نكسب المراهق؟



الفصل الثالث:

كيف نكسب المراهق؟

بادئ ذي بدء لابد من التفريق بين ثلاثة أقسام من المراهقين على حسب العناية التي تلقوها في الطفولة:

- مراهق لقي عناية ممتازة.
- مراهق لقي عناية متوسطة.
- مراهق لقي إهمالاً تاماً أو شبه تام.

وقد يخطر في ذهن بعضهم هذا التساؤل: ما المقصود بالتربية الممتازة في الطفولة؟

نجيب: على الرغم من أن هذا الكتاب ليس مخصصاً للحديث عن التربية في الطفولة، إذ كما سبق وأن بينت إنني قمت بتأليف كتاب ليوضح هذه الناحية وأنصح بالاطلاع عليه، وهو كيف تجعل طفلك شخصية محبوبة وناجحة، ولكن يمكن الآن اختصار هذه المعلومات المهمة في الشكل رقم (١) والشكل رقم (٢) اللذين سبق عرضهما في الكتاب المذكور للمساعدة في تلافي القصور للذين فاتهم رعاية المراهق في طفولته.

ويجب ألا ينسى الوالدان أن يداويا جراح الطفولة، فكما هو معلوم إن لخبرات الطفولة سواء كانت سارة أم غير سارة أثر على حياة الإنسان طوال عمره، فعلى الوالدين مراجعة طفولة المراهق، وإصلاح ما أفسدته وقائع الماضي من علاقته بوالديه خاصة وبأسرته عامة، ليبدآ بداية صحيحة في علاقتهما معه لتمر مرحلة المراهقة بسلام. وإن فيما سيأتي من هذا الكتاب ما يعين بإذن الله إلى حد كبير على مداواة هذه الجراح والقضاء على تراكمات من ظلال ألقت بها مشكلات الماضي على الحاضر.

	غرس عقيدة التوحيد	
توضيح الهدف من خلق الله للناس	←	إخلاص العبادة لله
حفظ القرآن الكريم	حفظ الحديث الشريف	أسماء الله الحسنى

	حفظ أركان الإسلام	
وحفظ أركان الإيمان		ومفهوم الإحسان
	تدريبه على أداء حقوق الآخرين	

شرح سنن الله في الكون (مفهوم الابتلاء)	حقيقة الفتن والمخاطر المحدقة	وتوضيح علامات الساعة ومفهوم الحياة الآخرة

تعليمه: الاستغفار، الصبر، الشكر، التوكل، الدعاء، الدعوة

والنتيجة: حب الله – خوف الله – رجاء رحمة الله

أي: (كمال العبودية)

الشكل (١) يوضح مبادئ التربية الروحية

الشكل (٢) يوضح وسائل التربية الحديثة

ولكي نكسب المراهق لابد من:

أولاً: توافر استعدادات معينة لدى الوالدين.

ثانياً: شرح مرحلة المراهقة للمراهق قبل دخولها.

ثالثاً: استغلال استعدادات معينة لدى المراهق مثل: (الحاجة إلى الأمن والحب والتقدير، والحماس الديني، والقابلية للاستهواء، ونمو الذكاء).

وفيما يلي شرح لهذه النقاط:

أولاً: توافر استعدادات معينة لدى الوالدين:

أ) تمتع الوالد بشخصية محبوبة: فكلما كان الوالد متمتعاً بشخصية محبوبة استطاع أن يكسب حب ابنه المراهق مثلما استطاع أن يكسب حب ربه أولاً ثم الناس، فكيف لا يحبه ابنه المراهق بعد هذا.

أما كيف يستطيع الوالد الحصول على حب ربه ومن ثم حب الناس والمراهق، ففي الحديث القدسي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولأن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**» صححه الألباني من صحيح البخاري.

وفي الحديث الصحيح قال ﷺ: «**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل وقال: إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض الله عبداً نادى جبريل وقال: إني أبغض فلاناً فأبغضه، فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء ثم توضع له البغضاء في الأرض**».

ب) القدرة على معرفة مزاج الابن والتعامل معه على حسب هذا المزاج، أي أن يتمتع الوالد بالمرونة الكافية، والقدرة الجيدة على مشاركة الابن وجدانياً، فلا نقابل المراهق بوجهٍ عبوسٍ وهو سعيد، أو بفرحٍ حينما يكون حزيناً، أحياناً لا يكون المراهق مستعداً لتحمل أدنى توجيه بسبب ضيق وقته أو تلاحق التوجيهات أو نتيجة مشكلة وقعت له خارج المنزل، هذه القدرة على التكيف مع وضع المراهق النفسي يُطلق عليها (الذكاء العاطفي). ويجب أن يصاحبها القدرة على (إدارة الذات) من قبل الوالدين.

وبمعنى آخر (الحكمة) – التي تعني فعل ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي على الوجه الذي ينبغي – بحيث نكون على وعي بوضعنا النفسي من جهة وبوضع الابن

من جهة ثانية، فأحياناً يكون الوالدين أنفسهم في وضع سيء من الناحية النفسية، ولكن المطلوب منهم (الضبط الانفعالي) بالتصبر وبالتحلم، والتنفيس بالتخطيط للخروج من المشكلة بهدوء، وبالدعاء له حيث إن للدعاء أثراً كبيراً على الولد إذا سمعه منا فما بالك إذا طلبنا منه التأمين على دعائنا، خاصة بعد أن يكون قد أنهى مع الأسرة الصلاة جماعة، أو في ساعة من ساعات الإجابة، وينضوي تحت هذا البند قدرة الوالدين على استخدام:

أساليب تجنبنا الاصطدام مع المراهق:

كما ورد في الفصل الأول: يتسم المراهق بالافتقار إلى الاتزان النفسي، وبحدة الانفعال وهشاشته، وبالتمرد على السلطة لتأكيد الذات، وهذا ما يجعل الاصطدام معه وارد إلى حد كبير، وبشكل شبه مستمر، لذا فإن المراهق أحوج إنسان إلى اختيارنا مختلف الأساليب الصالحة عند التفاعل معه، وحينما نطلب منه القيام بعملٍ ما، وذلك لضمان تجاوبه وعدم الانجرار وراء أسلوبه الفج، الذي يمكن أن يؤدي إلى الاختلاف الدائم معه أو فقده في أسوأ الاحتمالات، هذه الأساليب يمكن تلخيصها في:

- استخدام سلاح الذكاء.
- التفاعل الجسدي (النظر إليه يومياً وضمه وتقبيله بما يكفيه وبما يوفر له الأمان النفسي الضروري).
- امتصاص غضبه والصبر على ثورته.
- الابتسامة.
- الصوت الهادئ.
- الكلمة الطيبة.
- إكرامه.
- التأكد من قضاء وقت مناسب معه يومياً بما يضمن التحدث إليه بشكل كاف، وبما يوفر الوعاء الضروري للقيام بالبنود السابقة.

اللجوء إلى أساليب تعين الابن على الطاعة:

وفيما يلي شرح لهذه الأساليب:

١. **كيف نستخدم سلاح الذكاء:** إنه هو المنقذ الأول بعد الله سبحانه تعالى فهو يمدك بمئات الطرق غير المباشرة التي لا يمكن حصرها، ولو كان بالإمكان حصرها لأوردناها هنا فذكاؤنا يغنينا عن مصارحته برغبتنا عندما تكون هذه الرغبة مرفوضة من قبله تماماً، وحينما نتوقع أن يواجهنا بالتمرد أو الإساءة أو العقوق، وقد قال ﷺ: «**طوبى لوالدٍ أعان ولده على بره**».

فيمكننا اللجوء إلى خطة محكمة قد يكون فيها شيء من التورية أو ربما الكذب. ذكرت لي إحداهن أن ابنها أصر على المضي قدماً في علاقته بأحد أصدقاء السوء على الرغم من تحذيرها الدائم له، فما كان منها إلا أن لجأت إلى الادعاء عنده بأنها ترى في مناماتها باستمرار أن هذا الولد سيضر به ضرراً بليغاً وأن المفسر أشار عليها بضرورة أن يترك ابنها هذا الصديق السيئ، ومع الوقت بدأ الولد يقتنع فهجر هذا الصديق، حيث خشي أن تقع هذه الرؤيا حقاً. وقد ذكرت لي أنها استفتت الشيخ ابن باز رحمه الله بخصوص كذبها عليه فأفادها بجواز الكذب عليه لإنقاذه من صديق السوء هذا.

وأعتقد أنه يجوز أن نقول للبنت التي لا تريد أن تتعلم أعباء المنزل، ولا تريد أن تغير بعض السلوكيات الخاطئة (كالعناد والعصبية) أنه سيتقدم لها شاب ممتاز ولكننا سنرفض وسنقول له إن البنت لا تصلح للزواج لأنها لا تعرف كيف تدبر منزلها ولديها سلوكيات خاطئة لم تستطع تغييرها، وهذه الطرق مفيدة جداً للأسرة التي لا أب فيها أو فيها أب مهمل لأن الأم وحدها عادةً ما تواجه الكثير من الصعوبات في تجاوب الأبناء والبنات معها.

وإليكم طريقة قامت بها إحدى الأمهات، حيث قالت: سئمت من مطالبة ابني بترشيد استخدامه للإنترنت دون جدوى، فهو لا يكاد يترك جهاز الكمبيوتر دقيقة ولذا لا نستطيع التحدث إليه، ولا التفاعل بأي شكل من الأشكال معه، إذ لا يكاد يسمع ولا يفهم شيئاً مما نقول... فما كان مني إلا أن قمت بحيلة ذكية إذ

(عكست الوضع) ومثلت أنني مشغولة طوال الوقت بجهاز الكمبيوتر، وإذا جاء ليطلب مني شيئاً رددت عليه بطريقته نفسها وأنا منكبّة على الجهاز، وبقيت على هذه الحال عدة أيام إلى أن بدأ يتبرم من طريقتي، عرف بعدها معاناتنا معه، وبدأ يقتنع بفساد طريقته وكانت أول خطوة على طريق التغيير.

هناك طريقة أخرى إذ يمكننا أن نعده بشيء أعظم من الشيء الذي يتمسك به: أن نعده بالدعاء له بما يتمنى إن هو ترك ما هو فيه مثلاً، ويمكن أن نعده بتزويجه إن جد وأنهى الخطة المقررة لدراسته.

هناك طريقة غير مباشرة وهي أن نذكر له النتائج السيئة لعدم تحقق ما نريده – وطبعاً ما نريده هو الذي نسعى لكي ينفّذه الابن – ودون أن يبدو علينا أننا نوجه له الحديث، كأن نقول: (نريد أن ندعو العائلة لمنزلنا، ولكن للأسف تحتاج الحديقة وجناح الاستقبال إلى تنظيف... ولذلك فمن الأفضل عدم دعوتهم) هنا قد نُفاجأ به أو بها يقاطعنا ليقول لنا: (لا عليكم ادعوهم وسأقوم بالتنظيف بإذن الله).

مثال آخر: (نعتقد أننا لن نستطيع أن نسافر في الإجازة، إذ ربما سيكون من المحتم عليك إعادة دورة القرآن الكريم إذا لم تحقق الهدف المرجو) وفي هذا حث له بطريقة غير مباشرة على الجد والاجتهاد للحصول على شهادة القرآن الكريم أو اللغة الإنجليزية أو الحاسب الآلي أو أي إنجاز آخر.

وهناك أساليب عديدة وبسيطة لعل من أهمها وأبسطها التفنن بالتلاعب بالألفاظ بطريقة مقبولة شرعاً، وهي عبارة عن خلطة عجيبة من مقدار من الذكاء أضف إليه مقداراً من العاطفة وأخيراً أضف مقداراً كثيراً من الصبر: فينتج لدينا (الذكاء العاطفي) وفيما يلي شرح لهذه الأساليب المهمة نبدأها بـ:

٢. **التفاعل الجسدي:** إن ما نعبر عنه بحركاتنا الجسدية يمكن أن يكون ذا تأثير هائل ويمكن – في الواقع – أن يكون شديد التأثير. وقد قام فريقٌ من الباحثين بعمل دراسات في بريطانيا سنة ١٩٧٠م حول تأثير تعبيرات الجسم من عيون ووجه وأيدٍ وجسم، فوجدوا أن لتعبيرات الجسم ٥٥٪ من التأثير، ولنبرات الصوت ٣٨٪، وللكلمات والعبارات نسبة ٧٪. إن تلك الدلائل الرئيسة غير اللفظية هي كالتالي:

- معدل ابتسام أعلى.
- هز الرأس بالموافقة في أثناء تحدث الآخر.
- الميل بالجسم إلى الأمام عند الاستماع أو الإجابة، أي أن يعبر وضع الجلوس عن احترام الآخر.
- الإكثار من التركيز على عيني المتحدث وعدم تحويل النظر عنه[1].

٣. كيف نمتص غضبه ونصبر على ثورته: ألسنا نتفق على أن هذا المراهق يمر بمشاعر غير عادية وعواطف حادة وهشة ومتقلبة، وأنها مرحلة مؤقتة وستنتهي بإذن الله؟ إذاً من الذي يجب أن يصبر على الآخر؟ فطالما أن الله أنعم علينا وأخرجنا من هذه المرحلة بسلام ونحن الآن نمر بمرحلة أكثر أماناً وهدوءاً، إذاً نحن الأقدر على الصبر والتحمل والتفهم، ولذا يجب علينا أن نحتويه ونحلم عليه ونصبر، لا أن نخسره بمقابلتنا الثورة بثورة مثلها أو أشد منها، لأن في هذا ظلم له، وأيما ظلم.

وعندما يُذكر الحلم، لابد من ذكر حلم أعظم مَن حَلم بعد الله، وهو حلم رسول الله ﷺ، وفيما يلي أحد الأدلة على حلمه – وما أكثرها – نقلتها من سنن ابن حبان:

قصة الحبر الذي انبهر برسول الله ﷺ:

عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال قال عبد الله بن سلام: إن الله تبارك وتعالى لما أراد هدى زيد بن سعنة قال زيد بن سعنة إنه لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه (يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما) فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله قال فخرج رسول الله ﷺ من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال: يا رسول الله قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت أخبرتهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغدا وقد أصابهم شدة وقحط من الغيث وأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم من يغيثهم به فعلت

---

(١) ماكس إيجرت – المقابلة المثالية – ترجمة حصة العمار.

قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى رجل جانبه أراه عمر فقال: ما بقي منه شيء يا رسول الله، قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه فقلت له يا محمد هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا؟ فقال: لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمراً معلوماً إلى أجل كذا وكذا، ولا أسمي حائط بني فلان. قلت: نعم فبايعني ﷺ، فأطلقت همياني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، قال: فأعطاها الرجل وقال: اعجل عليهم وأغثهم بها، قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ونفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة دنا من جدار فجلس إليه، فأخذت بمجامع قميصه ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب بمطل، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، قال: ونظرت إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره وقال: أي عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتفعل به ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي هذا عنقك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ثم قال: إنا كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً من غيره مكان ما رعته. قال زيد: فذهب بي عمر فقضاني حقي وزادني عشرين صاعاً من تمر فقلت: ما هذه الزيادة؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رعتك. فقلت: أتعرفني يا عمر؟ قال: لا، فمن أنت؟ قلت: أنا زيد بن سعنة. قال: الحبر؟ قلت: نعم الحبر. قال: فما دعاك أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت وتفعل به ما فعلت؟ فقلت: يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أختبرهما منه: (يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلما) فقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا، وأشهدك أن شطر مالي – فإني أكثرها مالا – صدقة على أمة محمد ﷺ. فقال عمر: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم كلهم، قلت: أو على بعضهم، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد:

أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمـداً عبـده ورسـوله ﷺ فـآمن بـه وصـدقه وشـهد مـع رسـول الله ﷺ مشاهد كثيرة ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر رحم الله زيداً.

هكذا كان رسول الله ﷺ مثلاً أعلى لصحابته ولكل من آمن به في الصبر والحلم وفي كل فضيلة، ولن يؤتى المرء الحلم إلا إذا أوتي التواضع، لقوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾.

إذاً كي نكسب المراهق لابد من توافر خصلتين مهمتين فينا هما: الحلم والتواضع، سيما وأن الأبناء يتعلمون ما يعايشونه. فإذا عاشوا الحلم معنا أصبحوا حليمين، وإذا عاشوا التواضع معنا أصبحوا متواضعين كذلك وهكذا، وفي هذا المعنى ظهر كتاب بهذا الاسم: (المراهقون يتعلمون ما يعايشونه) لدوروثي لو نولتي وراشيل هاريس.

ويرى مأمون مبيّض أن علينا أن نسأل أنفسنا: هل نحن في حاجة إلى الانتصار عليه في جدال لا يستحق مثلاً؟ خاصة أنه من الواضح أن هذا المراهق ما زال يفتقر إلى الكثير من الخبرة والتجربة لكي يستطيع أن يفهم وجهة نظر والديه؟ إن الخطاب مع المراهق سيأخذ طبيعة أخرى مختلفة عندما تبدأ بالحديث بشكل آخر مختلف كأن تقول له مثلاً:

– نعم، وجهة نظرك جيدة، إلا أني أرى الأمر كالتالي...

– لا بأس أن يكون لكل منا رأيه في الموضوع.

– إنني لا أرى الأمر كما تراه أنت، إلا أن هذا من حقك ولا شك.

وستلاحظ خلال وقت قصير من استعمال هذا الأسلوب من الخطاب أن المراهق بدأ وبسرعة يستعمل العبارات والأساليب نفسها، وعندها سيستطيع أن يستوعب أن لوالديه أيضاً الحق في رأيهما الخاص، وأن عملية الحوار هذه مفيدة جداً في إيضاح وجهة نظر الإنسان ومفيدة في الحصول على وضوح الفكرة، وأن عملية الحوار هذه أهم من مجرد إقناع الخصم بوجهة نظرك(١).

---

(١) مأمون مبيض – مرجع سابق.

٤. قيمة الابتسامة: عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي» أخرجه مسلم. طبيعة الإنسان أن ينجذب للشخص الذي يوزع ابتسامته على الآخرين بإخلاص أكثر من ذلك الشخص العبوس المتجهم، «إن تعبيرات الوجه تتكلم بصوت أعمق أثراً إنها تقول لك: إنك تمنحني السعادة، إني سعيد برؤيتك»(١).

ابتسامتك في وجه الآخر تشعره بحبك له وبقبولك إياه وهو أحوج ما يكون إليهما، وهذا هو سر حث رسول الله ﷺ على الابتسامة لأنها تشعر الآخرين بالحب والقبول.

٥. عظمة الصوت الهادئ: (حكايتنا مع عزة) لنبرة الصوت الهادئة أهمية كبيرة جداً في جذب الآخر إلينا، وبالإضافة إلى الدراسة البريطانية السابقة التي تثبت أن لنبرات الصوت ٣٨٪ من التأثير بينما للكلمات والعبارات نسبة ٧٪ فقط من التأثير، فإني أضرب المثل الآتي:

كانت عزة صديقتنا – أنا وأخواتي – أكثر إنسانة استطاعت أن تجذبنا جميعاً إلى حديثها جذباً، فكان لشخصيتها أثر كبير علينا، لسبب واحد هو هدوءها: فنبرة صوتها كانت هادئة، ابتسامتها هادئة، وحتى مواعيدها كانت هادئة، فقد كانت تأتي في وقت مناسب ليلاً وتذهب من دون إبطاء كأنها طير جميل يحط على ربوع منزلنا العامر من آن لآخر ليسمعنا أصواتاً في غاية العذوبة والرومانسية، ثم يطير بكل خفة ورشاقة بعد أن ينهي مهمته السامية.

ولقد قالتها لي بصراحة وهي تمسك بيدي، وتنظر إلى عيني، قالت: كان أبي يتكلم معنا بكل هدوء، وكان عندما يتكلم يجلس إلى جانب من يتحدث إليه منا، ويمسك بيده ويتوجه بجسده إليه وهو ينظر إلى عينيه، ويقول له النصيحة التي يشاء، بصوت كله هدوء وحنان، بادئاً هذه النصيحة بقوله: يا ولدي أو يا بنتي... إن هذا هو ما أثّر فينا وجعلنا نتأثر بأسلوبه النادر ونفعل مثله، حتى أحبنا الناس وسُحروا بنا.

---

(١) علي غانم الطويل – الشخصية المغناطيسية.

حقاً «**إن من البيان لسحراً**» كما قال الصادق المصدوق ﷺ. هذا البيان الذي لا يؤثر عن طريق الصخب والصراخ الذي ينم عن القسوة والأنانية والتعالي، ولكنه البيان الذي ينساب بكل نعومة وعذوبة عن طريق الهدوء الذي ينم عن حب واحترام وتقدير البشر.

هكذا يجب أن نكون مع كل الناس، وبما أن رسول الله ﷺ قال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**» فهذا يعني أننا يجب أن نجعل أبناءنا المراهقين الهدف الأول لهذه المعاملة الراقية.

٦. **وماذا عن الكلمة الطيبة**[1]: قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ قال: «**الكلمة الطيبة صدقة**» متفقٌ عليه.

شروط الكلمة الطيبة:

أ) **الترحيب بالابن:** وتكرار الترحيب، مع طلاقة الوجه، والحرص على الابتسامة وتقبيله وضمه حتى أمام الناس ولهذا أثر أكبر على علاقتنا معه.

ب) **السؤال عن الحال:** عن حاله، وحال أصدقائه خاصة، وعلاقاته خارج المنزل والأشياء التي يحبها كالهوايات...

ج) **المدح في محله:** قال ﷺ «**إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب**» رواه مسلم من رواية همام بن الحارث. ولكن هذا ليس على إطلاقه إذ إن رسول الله ﷺ مدح رجالاً، لا يضرهم المديح بل يزيد في عزيمتهم. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح، نعم الرجل أُسيد بن حُضير، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شمّاس، نعم الرجل معاذ بن جبل، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح، نعم الرجل سهيل بن بيضاء**» صححه الألباني.

(١) العنود الطيار – الصحة النفسية والعلاقات الإنسانية تأملات في الإعجاز النفسي والاجتماعي في القرآن والسنة.

إذاً يحتاج الولد إلى المدح من آن لآخر كلما تقدم ولو كان تقدماً بسيطاً، فقد قيل: طريق الألف ميل لابد أن يبدأ بخطوة.

د) **عدم مناجاة اثنان دون الثالث:** عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن يحزنه**» متفق عليه. فلا يحسن بالوالدين مناجاة أحد أبنائهم دون الآخر.

هـ) **الإصغاء الجيد:** أي أن لا يستأثر بالكلام، بل عليه أن يعطي فرصة للابن، فإذا تكلم فلابد أن يصغي إليه. والإصغاء الجيد يعني عدم المقاطعة حتى لو كنا نعرف ما سيقول المتحدث، كما يعني عدم الالتفات إلى غير المتحدث. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لجليسي عليّ ثلاث: أن أرميه بطرفي إذا أقبل، وأن أوسع له في المجلس إذا جلس وأن أصغي إليه إذا تحدث. وقال الحسن البصري: تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن القول، ولا تقطع على أحد حديثه. ويقول ابن المسيّب: إنني أسمع حديث المرء فلا أقاطعه وأنا أعرفه قبل أن يولد.

و) **إيضاح الكلام وتكراره:** عن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تُفهم عنه... رواه البخاري. وهذا يتأكد كثيراً في المجال التربوي. عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من يسمعه، رواه أبو داود.

ز) **عدم التكلف في الكلام:** عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد كسردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بّين فصل يحفظه من جلس إليه» رواه مسلم (فصل: ظاهر).

ح) **الصبر على المهذار:** في حال كون الابن مهذاراً: ومحاولة إرشاده إلى الاختصار طريقة جيدة، وربما طُلب منه كتابة ما يريد قوله إذا كان طويلاً كقصة مثلاً – خاصة أن هذه (الهذرة) قد تكون دليلاً على وجود موهبة ما –. واجهت هذه المشكلة مع إحدى بناتي وطلبت منها أن تكتب كل ما تشتهي قوله، ففعلت والنتيجة أنها ألّفت مجلة رائعة لدرجة أن إحدى دور النشر طلبت نشرها بعد تنقيحها، ووصفها صاحب هذه الدار بأنها أصغر كاتبة في المملكة – في الثانية

عشرة من العمر – وحصلت بحمد الله على جائزة التفوق الأدبي من المدرسة، ثم تم طباعة المجلة وتوزيعها على من نعرف وسط إعجاب الجميع.

ط) **التقديم:** إذا أردنا توصيل معلومة مهمة فمن الأفضل التقديم لهذه المعلومة بتقديم لطيف مثل أن نصرّح له بحرصنا عليه وحبنا له مع مسك يده كما كان يفعل رسول الله ﷺ أحياناً، ثم نقوم بإبلاغه بما نريد، مثل ما كان يفعل رسول الله ﷺ فعن معاذ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، ثم أوصيك يا معاذ: لا تدعنّ في دبر كل صلاةٍ تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي بإسنادٍ صحيح. ويتأكد التقديم بهذه الطريقة إذا كنا نريد إبلاغه بعيبٍ في سلوكه. فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر، إني أراك ضعيفاً، وإني أحبُ لك ما أحبُ لنفسي، لا تأمرنّ على اثنين، ولا تولينّ مال يتيم**» رواه مسلم.

ي) **الدعاء** له كل يوم عند مغادرته المنزل وهو يسمع... تخيّل وقع هذا الدعاء على روحه: وفقك الله يا حبيبي، جزانا الله وإياك رضاه والفردوس الأعلى من الجنة.

ك) **التخطيط:** ففي بعض الأحيان يكون التخطيط للوصول إلى قلب الابن وعقله هو أفضل طريقة، ويتحتم هنا التفكير جيداً بخطة ملائمة قد نحتاج معها إلى التعاون مع آخر أو أكثر، خاصةً إذا كان من الشخصيات الصعبة، وكثيراً ما ينجح هذا الأسلوب إذا اتفقنا مع شخص أو أشخاص من النوع الذي له تأثير عليه، مثل أن نطلب من شخص ما الاتصال تلفونياً ونتحدث معه حول الموضوع المراد توصيله، وكأن الموضوع كله يتعلق بهذا الذي على الهاتف بينما يستمع الابن إلى ردود الوالد التي ما هي إلا الرسالة التي يريدها أن تصل إليه.

ل) **الأسلوب الكتابي:** هذا الأسلوب ضروري مع ذلك النوع من الأبناء الذين يتسمون بالعناد والمكابرة – وغالبية المراهقين كذلك – فلا يتركون المجال لمن يخاطبهم حتى يوصل فكرته كاملة، ومع الخطاب المكتوب يضطرون إلى الإطلاع على كل ما يريده الذي يخاطبهم، ولكن طبعاً لابد أن يكون الكلام طيباً حتى يتقبلونه.

م) **التورية:** تستخدم في حالة الاضطرار إلى إخفاء معلومةٍ ما، وذلك عند توقع مشكلة في حال قلنا الحقيقة، مثلاً إذا أردنا أن نخلّص الابن من صديق السوء، يمكن لنا أن نكذب عليه وننفي أن هذا الصديق اتصل به أو جاء وسأل عنه، ومعنى التورية: أن يقصد بعبارته مقصوداً صحيحاً ليس هو كاذباً بالنسبة إليه، وإن كان كاذباً في ظاهر اللفظ بالنسبة إلى ما يفهمه المخاطب[1]، ألا وإن «كل إناء ينضح بما فيه» فلابد من أن نهتم بإصلاح قلوبنا ليتحسن كلامنا وذلك بحفظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، والجيد من الشعر العربي، وقصص السابقين، ألم نقل كل إناءٍ بما فيه ينضح.

ن) **إهدائه كتاب** أو كتب تحتوي على المعلومات التي نود توصيلها، وهذا أسلوب جيد إلى حد كبير، خاصةً إذا قدم له بإهداء يحمل معانٍ جميلة من كلمات الحب والاحترام، وسيظل ذكرى جميلة يحتفظ الابن بها لتكرّس علاقة والدية مثالية.

س) **التعريض:** لا أحد يحب توجيه النصح المباشر عن طريق الأمر والنهي، فالناس يتجاوبون مع أسلوب التقديم السابق وأسلوب التعريض أكثر بكثير من تجاوبهم مع الأوامر المباشرة حتى لو كانوا أبناءً أو تلاميذ، ونجد أن القرآن الكريم كثيراً ما يستخدم هذا الأسلوب، مثل ذلك ما جاء في قوله تعالى عند أمره موسى وهارون عليهما السلام ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النازعات: ١٨] إذ أمرهما أن يطلبا من فرعون الإيمان بالله وكأنهما يشيران عليه ناصحين بقولهما: هل لك، وهي ليست أمراً. فما المانع أن نستخدم مثل هذه الطريقة اللطيفة في الطلب مثل قولنا للابن: «ليتك يا حبيبي تقوم بالعمل الفلاني» أو «لو أن أحداً ما يقوم بالعمل الفلاني فستكون النتائج باهرة» بدلاً من مصطلحات الأوامر والنواهي التي عودناهم عليها، ويمتعض منها حتى الخدم في الوقت الحاضر.

ومن أساليب التعريض:

---

(١) يحيى بن شرف النووي – مرجع سابق.

– أسلوب القصص: وهو ذكر قصة عن شخصيات أخرى تدور حول الفكرة نفسها المراد توصيلها، وهذا المنهاج هو أحد مناهج القرآن الكريم التربوية، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف: ٣].

– أسلوب الشعر: وهو ذكر أشعار أو أمثال تدور حول الفكرة المراد توصيلها نفسها، ويستخدم هذا الأسلوب أذكياء العرب عندما يتعرضون لمواقف محرجة مع شخصيات مهمة، مثل الرجل الذي خطب فتاة فأعطوه أختها، فقال الرجل شعراً يشرح مراده دون أن يحرج الأب والأهل ففهم الأب مراده وأعطاه ما يريد والجدير بالذكر أن الشعر لا يزال يحتفظ بنسبة كبيرة من المعجبين من جميع شرائح المجتمع.

– أسلوب «**ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا**»: وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في التعريض، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بال أقوامٍ يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم، فاشتد قوله في ذلك حتى قال: لينتهن عن ذلك، أو لتُخطفن أبصارهم**» رواه البخاري.

– أسلوب إياك أعني واسمعي يا جارة: حيث يبدو الكلام موجهاً إلى شخص من الموجودين، ويُفهم ضمنياً أن الكلام يقصد به آخر، وغالباً يفهم هذا الآخر أنه هو المقصود. ويستخدم هذا الأسلوب عند وجود توتر بين الوالدين وبين الابن.

٧. **إكرامه:** وهو من ضمن الأساليب التي تجنبنا الاصطدام مع المراهق، ونتحدث هنا عن الكرم وهو صفة طيبة، ونتائجه دائماً إيجابية، فهو ينفع ولا يضر، ولكن الكثير من الناس يظنون أن الكرم إنما يكون مع الأفراد الذين من خارج الأسرة، أما أفراد الأسرة فليسوا موضوعاً للكرم، وهذا خطأ، فالواجب أن يبدأ المرء بإكرام أهل بيته، قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**». ومن إكرام المراهق القيام بما يلي:

– إهداؤه من آن لآخر هدية خارج نطاق المصروف اليومي.

– الاحتفاء بالذين يحبهم وإكرامهم (طبعاً إذا كانوا صالحين).

– احترام حاجياته والمحافظة عليها.

– إعطاؤه ما يحتاج إليه من مال.

– تفهّم مشاعره وحاجاته ورغبته في أن يكون ليس بأقل من أقرانه ولكن في حدود الممكن والمعقول.

٨. **التأكد من قضاء وقتٍ كافٍ معه يومياً:** هذا أمر مهم جداً، لأنه يحتاج إلى أن نثبت له كل يوم أنه مهم لدينا، وأننا نحب رؤيته والجلوس معه، وحبذا لو تسنى لنا الجلوس معه لوحده... حتى نتمكن من ممارسة الأساليب التربوية الرائعة التي سبق ذكرها مثل التفاعل الجسدي والابتسامة وكلمات الحب والاحترام والدعاء... وحتى نقطف ثمار هذه الجلسة الرومانسية لا يُحبذ إلقاء الأوامر والنواهي عليه في هذا الوقت لئلا ينقلب الأمر إلى مشادة تفشل هدفنا هذا وتُفسد هذه الحالة الرومانسية وهذه اللحظات السعيدة.

٩. **أساليب تعين الابن على الطاعة:** من المؤكد أن الأساليب التربوية السابقة الذكر حين نستخدمها ونحن نطلب طلبنا من الابن فإنها ستكون بعد الله سبحانه خير معين له على الطاعة، فهي أساليب تشجيع عالية الجودة. تخيّل ردة فعله عندما تطلب منه طلباً ما وأنت تحتضنه وتقبله وتعبث برأسه هامساً في أذنه الطلب الذي تريده. قد تقول: (بالعكس إن طريقة الدلع هذه إنما تعينه على التمرد وليس على الطاعة) وسأرد عليك بالمثل لأقول: (بالعكس.. إن هذه الطريقة لو اعتاد الابن عليها فقط فإنها ستعينه على الطاعة) مشكلتنا أننا لا نعودهم على هذه الأساليب، ولهذا فإنني أنصح الآباء والأمهات بعدم التوقف عن احتضان أبنائهم الأطفال وتقبيلهم يوماً واحداً، لأن توقفنا بمجرد رؤيتنا لهم يبلغون سوف يجعل استخدام هذا الأسلوب بعد ذلك صعباً على أنفسنا وعلى المراهق مهما كانت الأهداف. وهناك جملة أساليب تعين الابن على الطاعة غير التي ذكرنا وهي:

أ) أسلوب التهيئة النفسية: علينا أن نهيئه نفسياً قبل أن نطلب منه أي طلب على قدر الإمكان، خاصة إذا كان الطلب يتطلب جهداً ووقتاً، بأن نطلب ما نريد قبل الوقت الذي نخصصه للتنفيذ بوقت كافٍ، وكلما كان الطلب مبكراً بيوم كلما كان أفضل، لأن من الصعوبة على أي إنسان أن يتجاوب مع طلب مفاجئ قد يحرمه

من الراحة التي هو فيها أو قد يقطع عليه عملاً كان يقوم به أو تهيئ نفسياً للقيام به، فمفاجأته بالطلب تربكه إلى حد كبير وقد تجعله يثور، والنتيجة تؤدي إلى عصيانه.

أيضاً علينا أن نهيئه نفسياً عندما نرفض له طلباً ما بأن نوجد البديل أو مجموعة البدائل التي يجب أن تكون محفوظة وجاهزة للتقديم بطريقة فنية. فمثلاً عندما تطلب منا البنت الذهاب مع صديقاتها للتسوق ونحن نرى أن هذا أمراً مرفوضاً، فعلينا الإجابة بأن نقول: (هذا الأمر غير مناسب بهذه الطريقة... سنختار الوقت المناسب للذهاب سوياً إلى المكان الذي ترغبين) وهكذا نكون قد وفقنا بين رغباتها وإمكانياتنا.

ب) ربط الأمر بشيء يحبه وسوف يحدث: مثل: (استيقظي لتذهبي إلى المدرسة.. تذكري أن صديقاتك سيزرنك في المساء) (قم بتنظيف الحديقة يا حبيبي، تذكر... جدك سيحضر ومعه الأولاد).

ج) لا مانع من إيراد التبريرات لإقناعه بوجهة نظرنا، ولكن إذا تمادى هو بإيراد تبريرات وجهة نظره، فمن حقنا التوقف لنقول له: (لا جدوى إنك تضيع الوقت، هل لديك أي شك في أن مصلحتك هي أكثر ما يهمني؟! وبمجرد أن يجيب علينا أن نقول له: (إذاً دعنا نفكر بشيء أهم لكلينا).

د) استخدام أسلوب الخيارات: إن هذا الأسلوب ذو أثر فاعل حقيقة وحتى توافقني على هذا إليك هذا المثال:

قارن بين موقف كل من نورة ومنيرة، في المثالين الآتيين في أحد أيام الإجازة حيث طلبت كل منهما من ابنتها الطلب نفسه تقريباً، ولكن مع اختلاف الأسلوب على النحو التالي:

قالت نورة لابنتها بمجرد استيقاظها: عليك بصنع طعام الإفطار، ثم تنظيف الصالة. أما منيرة فخيّرت ابنتها في الصباح وبعد فترة من استيقاظها وضمها، والتلطف معها بين: (إعداد الإفطار) أو (غسل الصحون بعد الإفطار) أو (ترتيب الصالة).

وعندما جاء المساء خيرتها بين (تنظيف الحديقة) أو (إعداد طعام العشاء) أو (غسل الصحون بعد العشاء).

والآن ما هو توقعك لنسبة تجاوب كل من البنتين مع ذكر السبب؟

بالنسبة لي أتوقع تجاوب ابنة منيرة بنسبة ١٠٠٪ إذا اعتبرنا أنها سوية، أما ابنة نوره فأتوقع رفضها، أو تجاوبها بنسبة ٥٠٪ إذا اعتبرنا أنها سوية.

إذاً أسلوب الخيارات أكثر فعالية.. أما السبب فلأن المراهق في أسلوب الخيارات لا يستطيع أن يرفض كل شيء مرة واحدة، لأنه يعلم في قرارة نفسه أن هذا غير معقول. أما إذا طلبت منه طلباً واحداً مباشراً فبالإمكان رفضه تحت أي مبرر.

وللإيضاح: لو قُدم لك قدحاً من الشاي في إحدى زياراتك، وفي زيارة أخرى خُيّرت بين الشاي أو العصير أو الآيس كريم، ففي أي الحالين سترتفع نسبة قبولك لهذه الضيافة؟ أتوقع أن ترتفع نسبة قبولك في الزيارة الثانية لكثرة الخيارات التي غالباً سيلاقي أحدها هوىً في نفسك.



ما سبق كان شرحاً لأحد الوسائل التي تساعدنا على أن نكسب المراهق وهو بند (استعدادات يجب توافرها في الوالدين) وفيما يلي شرح لباقي الوسائل:

ثانياً: شرح مرحلة المراهقة للمراهق قبل دخولها:

من الفصلين السابقين اللذين استعرضنا فيهما طبيعة مرحلة المراهقة والمخاطر التي تنتظر المراهق نستنتج أنه يتوجب علينا إعداد المراهق بحيث نطلعه على ما سيواجهه في مرحلة المراهقة خاصة، وبقية عمره عامة، قبل البدء في دخوله مرحلة المراهقة، أي منذ أواخر مرحلة الطفولة المتأخرة عندما يبلغ الطفل سن التاسعة أو العاشرة (على حسب نضج الولد أو البنت) وعلى هذا يجب أن نوضح له الأمور التالية:

١. **شرح الهدف من خلقه**، وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

٢. **بيان دورة حياة الإنسان خاصة والكون عامة**، بكل ما يكتنفها من ضعف ثم قوة ثم ضعف. حتى لا يغتر بقوته ولا تغتر الفتاة بجمالها – وبكل ما يقدّره الله وحده من خير أو شر، من غنى أو فقر، ليعينه على التواضع الذي يحتاج إليه في المرحلة المقبلة وهو قادر على أن يفهم إذا أيقنا أن سن السابعة هو سن التمييز كما اعتبره علماؤنا – رحمهم الله جميعاً وغفر لهم – فما بالك بسن التاسعة أو العاشرة.

٣. **ذكر الفتن التي يجب أن ينتبه منها المراهق**. يجب أن يعلم الطفل المقبل على مرحلة المراهقة الحقائق المتعلقة بالفتن عن طريق شرح الواقع وإخباره عن قصص السابقين مع الأدلة، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: ١١]. يجب أن يعرف أمراً مهماً جداً وهو أن من الفتن كثرة الضالين وأن عليه ألا يغتر بكثرة الخبث، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [الأنعام: ١١٦]. وهكذا عليه أن يعرف قاعدة مهمة جداً بهذا الخصوص وهي: إن الحق عند الشبهات لا يعرف بالكثرة، بل بالأدلة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة أو بإجماع الأمة.

٤. **أن نعلّمه كيف يستطيع أن يكسب احترام الناس له باحترام نفسه**، وليس بمحاولة لفت الأنظار بفعل الحركات الغريبة الفجة وإصدار الأصوات والألفاظ المزعجة.

٥. **أن نشرح له كيف أن عليه أن لا يعتد برأيه**، لأن جميع أفراد الأسرة مأمورين من قبل الله تعالى بنصح بعضهم بعضاً وأخذ مشورة بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، وهناك قصص في تراثنا ومن واقع حياتنا توضح دور الشورى في النجاح من المفيد جداً ذكرها له وتقديمها عن طريق كتب وقصص ومجلات متوافرة.

٦. **أن يعرف المراهق وسائل الشيطان للإيقاع به**، وقد سبق وذكرنا هذه الفكرة في الفصل الثاني، كما يجب أن يعرف وسائل الأشرار لاصطياده.

٧. **توجيهه إلى أن يحاول ضبط انفعالاته قدر استطاعته** وأن يعرف أن قوته التي سيلاحظ زيادتها ونموها إنما هي نعمة من الله سبحانه وتعالى يجب أن يشكر الله عليها لا أن يبطر ويتجبّر كإبليس وفرعون وبعض المراهقين الذي ينبهرون بقوتهم، مما يجعلهم يستعرضون هذه القوة المكتشفة فجأة من قبلهم بطريقة فيها اعتداء سافر على الآخرين. وعليه أن يدعو الله كي يهديه إلى مقابلة هذه النعمة المقابلة الصحيحة بالشكر والعبادة ومساعدة الضعفاء، عليه أن يعلم أنه سُيعامل من قبل خالقه عز وجل على أنه امرؤ بالغ يحاسبه على سيئاته ويكافئه على حسناته، وكذلك فإن الناس قد لا يتسامحون معه بعد الآن كما كانوا يفعلون قبل عدة أشهر، فقد لا يجد دائماً الشكر والاستحسان، بل قد يجد التوبيخ والذم على أي تقصير وأهم شيء يجب أن يمسكه لسانه، قال رسول الله ﷺ: «**وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**».

٨. **كما عليه اختيار أصدقائه الصالحين** وللتأكد من صلاحهم فلابد من أن يسمح لوالديه بالالتقاء بهم والحديث معهم – ويجب ملاحظة أن المراهق يحب أن يبدو والديه بأحسن مظهر أمام أصدقائه، فيجب أن يأخذا هذا بعين الاعتبار، ولابد أن يهتما بالترحيب بأصدقائه وإكرامهم لأن في هذا رضا ابنهم وسعادته – وعلينا أن نحفظّه الآيات والأحاديث والأشعار التي تحث على اختيار الصديق الصالح، مثل قوله ﷺ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**» رواه أبو داود والترمذي بإسنادٍ صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً منتنة**» متفقٌ عليه. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي**» رواه أبو داود والترمذي بإسنادٍ لا بأس به. ومن الجميل أن يحفظ هذا البيت أو الذي على شاكلته:

إذا كنت من قومٍ فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

ولنحفّظه هذا المثل أيضاً: «صاحب من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله».

٩. **ولابد من: أن نشرح للطفل أخطاء المراهقين الشائعة** تلك التي نستنتجها من المشاهدات والأخبار كالتدخين، والتفحيط، وتبادل القصص والأفلام الخليعة، وإهمال الواجبات الدينية، وإهمال المذاكرة، والتغيب عن المدرسة، وتفضيل الأصدقاء على الوالدين – وإن هذا من علامات الساعة – والاستهزاء بالذي يطيع أمه وأباه ويصطحب أهله إلى أي مكان، واتخاذ قدوات فاسدة، مثل: الفنانين وغيرهم من المشاهير بالإضافة إلى هذه السلوكيات المنحرفة نجد سلوكيات أخرى من واقع الإحصائيات التي تقوم بها الجهات المختصة، فمثلاً: في إحصائية لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية لعام ١٩٩٩م نجد: ازدياد جرائم الأحداث بشكل كبير.

ولم تعد جرائمهم مقتصرة على التغيب عن المنزل، والخروج على سلطة الوالدين فحسب، بل تطورت جرائمهم وتعددت أنواعها كإدمان المخدرات والمسكرات، ومصاحبة رفقاء السوء، وإثارة الشغب، والسرقة، ومعاكسة النساء، وانتحال صفة رجال الأمن، ودخول المنازل لأغراض سيئة، وحيازة أفلام جنس خليعة، ومحاولة الانتحار، وارتداء ملابس النساء، وإبلاغ السلطات ببلاغ كاذب، والإفطار في نهار رمضان، والاعتداء على الوالدين وعلى الأقارب، والقتل، واستخدام وسائل حديثة في ارتكاب الجريمة، وفي السنوات الأخيرة لوحظ اشتراك الفتيات القاصرات في ارتكاب الجرائم(١) وانخراط المراهقين في جماعات الإرهاب.

والحمد لله فإن هناك أفلاماً وأشرطة متنوعة موجهة إلى هذه الفئة تشرح للمراهق أو الطفل المقبل على مرحلة المراهقة وتقنعه كيف يتقي شر هذه المرحلة، وننصح بتقديمها للطفل وتشجيعه على سماعها، وهناك أشرطة لدعاة أفاضل، بالإضافة إلى أشرطة لمراهقين تابوا.

ويعجبني في هذا المجال أشرطة مثل: شريط الشاب عبدالله بانعمة، وشريط الشاب يوسف الصالح الذي بعنوان: (شباب وين رايح)، وغيرها، ونحذر كل التحذير من المبالغة من الخوف من هذه الأشرطة، فمن قال إن المطلوب منا أن نترك

---

(١) د. البشر – مكافحة الجريمة في المملكة العربية السعودية – ص ٣٢٨.

الطفل يستمع إليها قبل أن نستمع إليها نحن ونتأكد من أنها لا تحتوي على مواد تشجع على الإرهاب؟.

إننا نناشد وزارات التربية والتعليم في عالمنا العربي السماح بعرض هذه الأشرطة والأفلام الموثوق بها على الطلبة والطالبات لما لها من فوائد لا تتصور في توعية المراهق ووقايته بفضل الله سبحانه وتعالى، وإنني أقترح أن تصبح هذه الأشرطة ضمن المناهج غير الصفية حيث نطلب من الطالب أن يكتب عنها بحثاً أو تجرى مسابقة، توضع لها جوائز قيمة منذ الصف الخامس الابتدائي وحتى آخر المرحلة الثانوية.

وتذكر لنا الداعية الأخت نورة العبيد أنها ذات مرة أسمعت طالباتها أحد الأشرطة عن العفاف وكان مليئاً بقصص أولئك الفتيات اللاتي غرّر بهن بعض الشباب... وكان شريطاً ناجحاً بكل المقاييس، حيث انفعلت معه الطالبات إلى حد أن إحدى هؤلاء الطالبات لحقت بالمعلمة بعد الانتهاء من الشريط، وقالت لها وهي تبكي وتجزل آيات الثناء: لقد كنت أنوي الخروج اليوم بعد انتهاء الدوام المدرسي مع أحد الشباب، لم أكن أعرف أن الخطر الذي يتهددني بهذا الشكل حتى سمعت هذا الشريط، فيا لفائدة هذا الشريط فجزاك الله خيراً وجزى الله الشيخ وكل من ساهم فيه خير الجزاء.



إعجاز القرآن الكريم في مجال الإعداد لمرحلة المراهقة:

سبحان الحكيم العليم الذي هداني بفضله العظيم ورحمته إلى الانتباه إلى سورة الكهف العظيمة، حيث عثرت فيها على تلك البنود التسعة التي ذكرت في هذا الجزء مجتمعة، وكأن سورة الكهف موجهة للمراهقين بشكل خاص والله أعلم، والدليل على ذلك أنها احتوت على الحقائق التالية:

أ) ذكر تبارك وتعالى في بدايتها قصة الفتية الذين آمنوا بربهم، والذين يُراد بهم أن يكونوا قدوة صالحة لكل الفتية، ثم ذكر قصة الخضر مع موسى عليهما

السلام، وكل الوقائع التي دارت معهما إنما دارت حول المراهقين فمن قصة المساكين الذين خرق لأجلهم السفينة إلى قصة الغلام الذي قتله مروراً بقصة الغلامين الذين بنى من أجلهما الجدار.

ب) هناك اهتمام واضح بقضايا المراهقة مثل:

• بيان الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ و﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ فهاتان الآيتان الكريمتان – ويا لبلاغتهما – تدلان على أن طالب العلم يجب أن يتصف بخمسة خصال هي: التواضع، والأدب، والجدية، والصبر، والطاعة فكلمة (اتبعك) تدل على أن الطالب يجب أن يكون متواضعاً عند معلمه لدرجة أن يكون تابع له، أما عبارة (مما أوتيت) فتدل على أنه يجب أن يتصف بالأدب في الحديث مع المعلم إذ أن مؤدى معناها: اسمح لي أن آخذ شيئاً من علمك، وليس كل علمك وهذا من باب الأدب. وطلبه للعلم بنفسه واستعداده لئن يتبعه واستعداده للصبر على العلم يعني الاتصاف بالجدية، وكذلك الآية الثانية واضحة في أنها تدل على وجوب اتصاف طالب العلم بالصبر وطاعة المعلم.

• هناك بيان للصفات التي يجب أن يتصف بها المعلم المثالي، وهذا يتضح من قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] أي يجب أن يتصف المعلم بالرحمة ثم العلم. ويجب ملاحظة أنه سبحانه قدم الرحمة على العلم.

• فيها علاج لصفة التهور أو التسرع التي هي من خصائص مرحلة المراهقة وتوجيهه إلى أن يقرن كل شيء يفعله بالمشيئة ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف: ٢٣ – ٢٤] كل السورة فيها هذا التوجيه المهم وهو (رد الأمور إلى الله).

• فيها علاج للمراء الذي يدل على الاعتداد بالنفس أو الغرور الذي هو من خصائص المراهقة أيضاً، يتضح في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ

فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف: ٢٢] لا تكثر الجدل حول أمرٍ ثمرته قليلة مثل عدد أصحاب الكهف.

• هناك بيان متقدم جداً لكيفية اختيار الأصدقاء ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الكهف: ٢٨].

• فيها توجيه لكيفية التعامل مع التساؤلات التي أُمر بعدم البحث فيها مثل: بعض المسائل الدينية التي أُمرنا أن نقف عند حدودنا إذا واجهتنا، والتي تواجه المراهقين عادةً مثل (من خلق الله)، والتساؤلات التي تخطر في ذهنه قبل أن يحين الموعد المناسب لمعرفته الإجابة عليها مثل التساؤلات الجنسية، فنجد أن في قوله تعالى على لسان الخضر ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الكهف: ٧٠] توجيه مناسب تماماً للرد على تساؤلاته هذه، وقد تحدثت بإسهاب عن هذا الموضوع في الفصل الرابع تحت عنوان التربية الجنسية.

ودعونا نعود للبنود التسعة السابقة التي ذكرناها تحت عنوان (شرح مرحلة المراهقة للمراهق قبل دخولها) ثم نقابلها على سورة الكهف لنتأكد فعلاً إذا ما كانت هذه السورة العظيمة موجهة لتربية المراهقين خاصة أم لا:

١. شرح الهدف من خلق الإنسان وهو عبادة الله سبحانه، ولذا فابتلائه سنة من سنن حياته ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾ [الكهف: ٧].

٢. بيان دورة حياة الإنسان خاصة والكون عامة، وأن الحياة تصير إلى ضعف وفناء من بعد زينة وازدهار، وهذه الحقيقة اضطلعت سورة الكهف ببيانها من بداية السورة وحتى نهايتها قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ ﴾ [الكهف: ٧ – ٨]، وقال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٥ – ٤٩]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

بهذه الآيات العظيمات يعين المعين سبحانه وتعالى المراهق وبشكل كبير على وزن الواقع، راجع إن شئت ما كتبته عن هذه الحقيقة في كتابي سالف الذكر (تأملات في الإعجاز النفسي والاجتماعي في القرآن والسنة).

٣. ذكر الفتن التي يجب أن ينتبه منها المراهق. تحدثت سورة الكهف العظيمة عن عدد من الفتن مثل: فتنة الملك، فتنة إبليس، فتنة المال، فتنة المجتمع الكافر، فتنة البنين، فتنة السلطان، فتنة التسليط، فتنة العلم حيث عاتب الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام لأنه لم يرد العلم إلى الله تبارك وتعالى.

ويجب أن يفهم المراهق من شرحها أنها جاءت لتؤكد حقيقة مهمة جداً تتعلق بالفتن، مفادها أن حقيقة الحوادث التي تحدث لنا سواء كانت خيراً أم شراً قد تكون مختلفة عما يظهر لنا، فها هي قصة صاحب الجنتين: يبدو من الظاهر أن الجنتين خير لهذا الإنسان – فهو غني – كما يرى كثير من الناس وهذا يكفي، ولكن الحقيقة أن الجنتين كانتا شراً لهذا الإنسان. وبالعكس في قصة الغلام الذي قتله الخضر حيث يبدو ذلك شرٌ، ولكن في الحقيقة هو خير، وهكذا نقيس باقي القصص، بل وكل الحوادث التي تحدث لنا في هذه الحياة، فكل ما يحدث للمؤمن هو خير له.

إذاً سورة الكهف تخصصت بالفتن والدليل الحديث التالي: عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عُصم من الدجال**» وفي رواية: «**من آخر سورة الكهف**» رواهما مسلم. وهذا يجب أن يُفهم منه: أنها إذا كانت تقي من فتنة الدجال وهي أعظم وأخطر فتنة

يتعرض لها المؤمن، فمن باب أولى أنها ستقي من باقي الفتن التي هي أقل خطراً منها.

٤. أن نعلّمه كيف يستطيع أن يكسب احترام الناس له باحترام نفسه، وليس بمحاولة لفت الأنظار بفعل الحركات الغريبة الفجة وإصدار الأصوات والألفاظ المزعجة وهذه الفكرة تتضح في قوله تعالى (وليتلطف)، أيضاً نجدها في قوله عزوجل: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

٥. أن نشرح له كيف عليه ألا يعتد برأيه، لأن جميع أفراد الأسرة مأمورون من قبل الله تعالى بنصح بعضهم بعضاً وأخذ مشورة بعضهم بعضاً، ويمكن استنتاجها من الآية السابقة أيضاً، فلا يجب أن يتبع هواه، بل يجب أن يتبع الحق عند اتخاذ القرار، ومن الحق أن يتشاور مع أهله حول الموضوع، لقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

٦. أن نرجوه قبل الدخول في هذه المرحلة: أن يحاول قدر استطاعته ضبط انفعالاته وهذه الفكرة أيضاً يمكن أن نستفيدها من الآية السابقة: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾، ويمكن كذلك استنتاجها من آيات أخرى كثيرة من هذه السورة.

٧. تعليمه كيف يختار أصدقاءه: وقد ورد توضيح ذلك من خلال الآية السابقة ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ...﴾.

٨. ولابد من: أن نشرح للطفل أخطاء المراهقين الشائعة: وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذا الأسلوب في الآية السابقة نفسها: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ فهو سبحانه وتعالى يذم أصدقاء السوء ويحذّر من مصاحبتهم ويصفهم بأنهم معرضون عن ذكر الله ومتبعون لهواهم ومفرّطون في أمر دنياهم وآخرتهم.

٩. سورة الكهف لا يفوتها أن تشيع الأمل في نفس المراهق إن هو أطاع ربه، كما هو نهج القرآن الكريم عادةً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧ – ١٠٨].

إذاً سورة الكهف خاطبت المراهق بطريقة غير مباشرة – وهناك سورة أخرى خاطبته بطريقة مباشرة سترد لاحقاً – وأجزم أنك ستجد في سورة الكهف بحول الله وقوته فوائد أكثر بكثير مما ذكرت سواء عن طريق قراءة التفسير، أو عن طريق تأملها بنفسك، وأرى ضرورة العناية بتحفيظها للأبناء أطفالاً ومراهقين، وكذلك تفسيرها لهم، ودعوتهم إلى تلاوتها كل جمعة لتقيهم من الفتن وتنير لهم إلى الجمعة الأخرى.

هناك سور أخرى تخص المراهقين والشباب أكثر من غيرهم مثل سورة يوسف وسورة هود عليهما السلام، لأنهما تناقشان أهم الفتن التي يمكن أن يتعرض لها المراهق والمراهقة ألا وهي فتنة الجنس كالزنا واللواط، أيضاً يجب تعليمهم سورة النور لحث عمر بن الخطاب وعائشة رضي الله عنهما على ذلك. وهكذا فعليك بالتمسك بهذه القاعدة في إيجاد حلول المشكلات التي تواجهك مع أبنائك وهي اللجوء للقرآن والسنة. ولذا ننصح بتحفيظ الأبناء رياض الصالحين للنووي أو على الأقل الأربعين النووية.

وتلاحظون أنني أركز وبشدة على موضوع الفتن، لأنها هي الخطر الحقيقي الذي يترصد أبناءنا، وعلينا تهيئتهم له بهدف حمايتهم، إلى أن يستطيعوا الاعتماد على أنفسهم وحماية أنفسهم بأنفسهم بعون الله تعالى.

فيجب أن يعرف المراهق أن في الحياة مشكلات ومصائب وفتن، ولابد أن يعرف هذه السنة الكونية التي تلخصها آيات من سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٢ – ٤٥].

هذا هو الوجه لقبيح للحياة أما وجهها السعيد فهو: أن للحياة ربٌ عظيم قادر على أن يبدّل الحزن سروراً وقادر على أن يجعل المحنة منحة ولكن بشروط وهي أن يتمسك بعقيدته كل التمسك ويثبت على الحق كل الثبات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقال ﷺ للصحابة: «**إن من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهن بما أنتم عليه أجر خمسين منكم قالوا: يا نبي الله أو منهم؟ قال: بل منكم**» أخرجه ابن نصر في السنة، وصححه الألباني بشواهد، حتى أن أبا هريرة رضي الله عنه روى عن رسول الله ﷺ قوله: «**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه**» رواه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ[1]. نعم فلقد أخبرتنا الآثار بأنه سيأتي على الناس زمن يكون القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر، وعندها يتمنى كل مؤمن أن ينقذه الله وهو لا يزال على إيمانه خشية الفتنة وخوفاً من الخاتمة السيئة والعياذ بالله تعالى، إذ لا يجوز في الحياة السليمة من الفتن أن يتمنى الإنسان الموت لأنه إما أن يكون مسيئاً فيرجو طول العمر ليتوب فيعوض ما فاته في زمن غفلته أو يكون محسنًا فيزداد إحساناً، جعلنا الله من المحسنين، ووقانا تلك الفتن التي يتمنى المؤمن الخلاص منها بالموت[2].

وباختصار لابد أن يتعلم كيف يتعرف على الفتنة وهي: كل ما يضعف الإيمان مما يلهي عن طاعة الله أو يستجلب معصيته أو يستدعي سخطه على قضاء ربه، أو ينبت أمراض النفوس التي سبق ذكرها كالكبر والحسد والبغضاء والنفاق وما ينبته كالغناء والمعازف، وعليه أن يعرف أشد هذه الفتن خطورة وهي فتنة النساء بالنسبة للرجل وفتنة الرجال بالنسبة للمرأة، والشيء الذي يجمع هذه الفتن كلها في عصرنا الحاضر (القنوات الفضائية المنحلة) عندها نعلم كم هي خطرة هذه الفضائيات.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أُشربها نُكت فيه نكتةً سوداء، وأي قلبٍ أنكرها نُكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنةٌ ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مُجَخِّياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر**

---

(١) عبدالله حجاج – علامات القيامة الكبرى.

(٢) عبدالله حجاج – مرجع سابق.

منكراً إلا ما أُشرب من هواه» متفقٌ عليه، ومعنى مرباداً أي شدة البياض في سواد، وأما الكوز مُجَخّيًا أي منكوساً.

فعلينا أن ننبه الطفل إلى أن الكثير من المراهقين يصبحون صعاب المراس لا لشيء إلا لأنهم لا يشعرون بالثقة في أنفسهم، وأن عليه هو أن يثق بنفسه ولا يصبح مثلهم، ونبدأ في طمأنته إلى أننا نحبه كما هو بصفاته التي حباه الله بها، ونثق بأنه سيصبح عما قريب رجلاً – فتاةً – بكل ما في كلمة رجل – فتاة – من معنى، وأننا سنحبه أكثر بطبيعة الحال لأننا سنكون سعداء بحصولنا على رجل حقيقي أو فتاة مثالية، ولكن كونه أصبح رجلاً لا يعني عدم أخذ مشورة والديه، كما لا يعني عدم طاعتهما، فهما على استعداد لسماع أي نصيحة منه وأي اقتراح كذلك.



ثالثاً: استغلال استعدادات معينة عند المراهق:

كالحماس الديني لدى المراهق، والحاجة إلى الأمن، والحاجة إلى الحب والتقدير، والقابلية للاستهواء، ونمو الذكاء.

١. كيف نستغل الحماس الديني لدى المراهق:

مع طفرة النمو في هذه المرحلة يحدث تغير وتطور ونمو في الشعور الديني لدى المراهق حيث تتفجر لديه شحنة روحية صافية، ومن أبرز ملامح هذا الشعور الديني[1]: قد يميل المراهقون إلى التأمل، والنشاط الديني العملي، وقد يتكون لديهم شعور ديني مركب ومزدوج، يحتوي عناصر متناقضة، فقد يوجد الإيمان بالموت إلى جانب كرهه كنهاية لا مفر منها. قد يلاحظ عليهم الحماس الديني المتلون على حسب الشخصية، ويعد انطلاق هذه الشخصية الروحية الهائلة لدى المراهقين فرصة ذهبية للوالدين لكي يعيدوا تشكيلها على وضعها الصحيح إن كان ذلك قد فاتهم في الطفولة لسبب من الأسباب، أو يثبتوا كيانهم في صورته السليمة إن كان قد سار في طريقه السليم من قبل فيعمقوا كل القيم والمبادئ السابقة، ويزيدوها رسوخاً.

(١) حنان عطية الجهني – الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المراهقة، ص ١٧.



ونظراً للنمو العقلي للمراهق فيجب التركيز على ما في الإسلام من إعجاز علمي، وخاصة في جوانب الإعجاز البدهي التي لا تقبل المجادلة والمناقشة ليستطيع الدفاع عن دينه دفاعاً قوياً، ويشعر من خلاله بالاعتزاز بإيمانه الكامل الراسخ بالله وبالإسلام، ويجب استغلال حماسه لتحفيظه القرآن العظيم، وتعويده على تلاوته يومياً، وتشجيعه بالتدريج على اتباع السنة، وعلى حفظ السيرة النبوية، وسيرة الأنبياء عليهم السلام وقصص الصحابة رضي الله عنهم، وهذه أعظم طريقة تعيننا على حفظ المراهق وكسبه بحول الله وقوته.

ومن الأهمية بمكان استغلال الحماس الديني في تعويد المراهق على الصلاة جماعة مع أفراد الأسرة، أو التأمين خلف دعائنا من آن لآخر خاصة في ساعات الإجابة أو أثناء جلسة هادئة وحميمة مع أفراد الأسرة، إذ إن لهذا السلوك أثراً فاعلاً إلى حد كبير في تقوية الروابط بين أفراد الأسرة ككل. فما ظنكم بأثر الدعاء التالي على الابن: «اللهم اجعلني وأبنائي وذريتهم والمؤمنين السابقين إلى كل خير... وأذهب عنا كل شر برحمتك ومنك وفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين».

كذلك يمكن استغلال الحماس الديني في تشجيعه على الاستعانة بالدعاء لشحذ همته وعزيمته، فيمكنك أن تقول لابنك إذا قصّر في الصلاة مثلاً: إذا قال لك الله سبحانه وتعالى يوم القيامة: لماذا لم تصلِّ فماذا ستقول له؟ هل ستقول: الصلاة صعبة علي؟، وماذا لو سألك سبحانه: وهل كان الدعاء صعباً عليك كذلك؟

ثم قل له: عليك أن تستعين بالدعاء كلما صعب عليك أمر من الأمور. فهذا الدعاء من أكبر الدلائل على رحمته سبحانه وتعالى بعباده.

٢. حاجة المراهق إلى الأمان:

هناك نظرية نفسية تقول: كلما شعر المرء بالأمان كلما كان نضجه الانفعالي أكبر، ولقد أثبتت كثير من الدراسات أن العزلة الاجتماعية وانعدام الشعور بالأمان مع الإحساس بالوحدة واليأس المصاحب؛ لذلك هي أسباب حدوث نسبة كبيرة من حالات الاكتئاب المزمن وغيره من الأمراض النفسية[1].

---

(١) جيمس ويليس – جون ماركس – ترجمة طارق الحبيب (الطب النفسي المبسط) – جامعة الملك سعود.

والأمان النفسي هو إشباع الحاجة إلى الحب والعطف والتقدير بالإضافة إلى الأمان المادي والاجتماعي، وسيأتي شرح هذه الجوانب في الفقرات اللاحقة.

وقبل شرح هذه الفقرة لابد من تشديد التأكيد مرة أخرى على الآباء والأمهات بأن يرعوا استقرار الأسرة، ويهتموا اهتماماً جاداً بالقضاء على المشكلات الزوجية ليشعر الأبناء بالأمان الكافي الذي يساعدهم على تهذيب انفعالاتهم والسيطرة عليها وتوجيهها حتى تنضج فهي – أي الانفعالات الناضجة – من أول العوامل لتكوين الخلق القويم.

- **الأمان النفسي:**

وهو أحوج ما يكون إليه المراهق، ويعني ثقته بأنه محبوب ومُتقبل ويحظى باحترام الآخرين وتقديرهم خاصة الوالدين وبقية أفراد الأسرة وبالذات الأصدقاء أو الأقران، ولإشباع هذا العامل أثر كبير على شخصية المراهق وعلى سلوكه، ويمتد هذا الأثر حتى في مرحلة الرشد، ففي دراسة قام بها (جيمس بريسكوت) وجد أنه كلما زادت جرعة الحنان والدفء في حياة الأطفال كلما كانت مرحلة البلوغ لديهم أكثر أماناً وحباً (فالمتطفلون الجنسيون والمغتصبون الآخرون غالباً ما يكون لديهم تاريخ طويل من الإهمال، والاضطراب، والإقامة في مؤسسات اجتماعية في طفولتهم) فمعاملة الأطفال بحرارة ومودة مع التربية الدينية السليمة، يمنعهم فيما بعد من مجرد الرغبة في إيذاء الآخرين[1]، ولم أشأ أن أتكلم أكثر عن هذه الفكرة في هذه الفقرة لأن معظم أجزاء الكتاب تتحدث عنها.

- **الأمان المادي:**

هو توفير المأكل والمشرب والملبس والمأوى والمسكن المناسب وكل الاحتياجات المادية التي تتناسب مع الطبقة التي يعيش الأبناء ضمنها. وإذا كانت الطبقة التي ينتمي إليها الأبناء مبذرة، فلا يجب أن نترك الأبناء يبذرون كهؤلاء، بل يجب توجيههم وإقناعهم بتحريم التبذير وتجنبه حتى لو كان الذين يحيطون بنا

(١) ستيف بيدولف – مرجع سابق – ص١٣٩.

مبذرين، وسيكون من السهل إقناعهم عن طريق الآية التالية، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٧]، وقوله ﷺ: «**لا تسرف ولو كنت على نهرٍ جار**».

ولابد من التعريج على الحقيقة المؤسفة التالية: وهي أنه كثيراً ما يكون هناك ضغط من قبل الأبناء بسبب رغبتهم في تقليد أقرانهم من الأقارب أو الأصدقاء، هذا الضغط كثيراً ما يوقعنا في إشكالية مع أبنائنا تنتهي غالباً بانتصارهم واستحواذهم على ما يريدون حتى لو كان فيه خطر كبير عليهم، لا لشيء إلا لأن (فلاناً) يمتلك سيارة، أو أن (علاناً) اشترى جوال آخر موديل، أو أن (زيداً وعمراً) سافرا إلى المكان الفلاني أو (اشتركا في الرالي العلاني)، أو تقول الفتاة: (إن فلانة يُسمح لها بالذهاب مع صديقاتها إلى السوق وأنا أريد مثلها)، أو (لم لا أعطى الحرية الكاملة لاستخدام الإنترنت كصديقاتي ومشاهدة القنوات الفلانية أو السفر للدراسة مثلهن أو إقامة حفلة دي جي وغيرها مثل فلانة وغيرها)... أو...أو... إلخ.

○ أبناؤنا يضغطون وكلنا نقع في الفخ:

وأخيراً أحدث خبر مثير من عالم المراهقين وأنا أضع اللمسات الأخيرة على هذا الكتاب (**لعبة ميسر بين أيدي الأولاد**)، فقد قال لي قريبي ابن الثانية عشرة: «إنها لعبة مثيرة وممتعة جداً، تعرفت عليها عن طريق زملائي في المدرسة إنها عبارة عن بطاقات، لقد أنفقت عليها ٣٠٠ ريال لألعب ٣٠ مرة».

والسؤال الآن: أين مدير المدرسة وأساتذتها عما يجري بين الطلاب؟! وأين أهل هذا الولد؟! أليس شيئاً أغرب من الغرابة ذاتها أن يصرف الولد ثلاثمائة ريال لا يعرف والداه بماذا صرفها؟، وأقول كما يقول الشاعر:

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

كما قال لي هذا الولد أن هناك بطاقة مميزة نادراً ما تظهر بين البطاقات سعرها مرتفع جداً ويحاول الأولاد شراؤها من بعضهم بعضاً بأي ثمن، حتى أنه قال لي: لقد حصلت على هذه البطاقة، وحاول أحد الأولاد شراءها مني ولكني

رفضت، وفاوضني حتى رفع السعر إلى ٢٠٠٠ ريال، ولكني رفضت بالرغم من هذا.

إنها الضغوطات الاجتماعية التي يشعر بها الأبناء ومن ثم يضغطون بدورهم على آبائهم كي يمدوهم بكل ما يريدون حتى لو وصل الثمن إلى مئات بل وإلى آلاف الريالات كل على حسب قدرته، (فحكمة) الآباء دائماً: «إننا لا نريد أن يشعر أبناؤنا بالنقص إذا قارنوا أنفسهم بأقرانهم» دون أن يحسب هؤلاء الآباء الميسورين حساباً لمشاعر أبناء الآخرين من غير الميسورين، إنها أنانية من هؤلاء لا مزيد عليها، هذه الأنانية التي لا تضر بأبناء الآخرين وحسب، بل وتضر بأبنائهم هم أنفسهم، لأنها ضارة على كل الأصعدة. فأبناؤنا يضغطون والكل يقع في الفخ.

إذاً إن الضغوطات الاجتماعية بالإضافة إلى كل أشكال الإغراء التي يتعرض لها أولادنا، تشكل بالفعل إشكالاً كبيراً يقابل الوالدين منذ الطفولة المبكرة وحتى النضج، وإنني أقترح لعلاج هذه الإشكالات التي تواجه كل الآباء والأمهات من دون أي استثناء أن يكون هناك اتفاق جماعي فيما بيننا نحن الآباء على عدم الانسياق وراء هذه الضغوطات من خلال التزام الجميع الجاد بما يصلح أبناءنا وتجنب ما يضرهم مهما يكن، وإذا اتفقنا جميعاً فعندها لن يجد الأبناء قدوات فاسدة يقلدونها لأن الجميع اتفق على الالتزام بهذه الاتفاقية التاريخية، لذا علينا أن نشكل ما أطلقتُ عليه: (ضغط أبوي ناضج مضاد للضغط المادي الابني غير الناضج).

ولذا فإنني أهيب بالإخوة القراء الكرام بأن ينقلوا عني هذا الرأي قدر استطاعتهم عبر كل الوسائل الممكنة، وأن يجتمع القادرون من أجل الاتفاق ووضع الآليات لتنفيذ هذه الفكرة، التي أعتبرها أفضل جهاد في عصرنا هذا على الإطلاق، فيا محبي الجهاد إليكم فجاهدوا.

وبغير هذا الرأي العام المستنير لن يكون هناك أي علاج لهذا الزحف الهائل من المغريات التي تجرف أبناءنا، بل وتجرف في طريقها كل شيء.

وإنني أستغل هذه الفرصة الثمينة لأهيب بالجميع كذلك بأن يتعاونوا معاً لاستخدام الطريقة نفسها لعلاج جميع مشكلات الأسرة التي تهدد وجودها وتنذر بانتهاء صلاحيتها.

إنني أدعو جميع طوائف المجتمع العربي وليس السعودي فحسب.. أكرر: أدعو جميع الطوائف أياً كانت دياناتها إلى الوقوف صفاً واحداً، ومقاطعة كل الأسلحة المستخدمة في الحرب على الأبناء من أفلام وقصص وألعاب إلكترونية وغير إلكترونية وكل ما يظهر لاحقاً ويتبين للعاقل السوي ضرره على الناشئة، وهذه الدعوة أرجو أن تُفهم أنها على غرار الدعوة إلى مقاطعة المنتجات الإسرائيلية والأمريكية والدنماركية وغيرها.

وعلى الإعلاميين خاصة تحمل مسؤولياتهم التي تقلدوها، وسيسألهم عنها ربهم سبحانه وتعالى يوم القيامة، فالمجتمع يمور بالمشكلات موراً خاصةً مجتمع الأسرة بكل مقوماتها، وهم – معظمهم – للأسف ليس لهم إلا قضية واحدة وهي (كيف يجعلون المرأة تختلط بالرجال، وكيف يقنعونها بكشف وجهها والتخفف من الحجاب) متجاهلين حقيقة يعلمونها جيداً وهي أننا إذا أردنا وقاية الأسرة وعلاجها فإن علينا أن نقنع المرأة بالقرار في منزلها أطول فترة ممكنة، وأن ننصحها بالحفاظ على حشمتها، فأبناؤها المهددون وأسرتها المنهارة أو التي توشك على الانهيار أولى بها بكل تأكيد ممكن.

فحتى في الغرب – الذي ينظر إليه الناعقون بكل الانبهار – فإن الدعوات بدأت منذ زمن ليس بقصير لعودة المرأة إلى منزلها، فقد أبدى ٩٠٪ من الفتيات الفرنسيات من خلال دراسة تمت على مليونين ونصف منهن الرغبة في العودة إلى البيت، لتجنب التوتر الدائم في العمل، ولعدم استطاعتهن رؤية أزواجهن وأطفالهن إلا عند تناول العشاء.

وأثبتت دراسات أخرى أن ٨٧٪ من عينة مقدارها مليون امرأة من العاملات من نساء أوروبا وأمريكا واليابان وكندا يفضلن البقاء في المنزل. هذا ما وجدته في مقال لمحمد الهبدان في صحيفة الوطن العدد ٧١١٢، وأعتقد والله أعلم أنه لو كان

رسول الله ﷺ بيننا لمنع الأم من العمل إلا إذا تركت أبناءها عند قريبة لها شرط أن تكون أمينة كالجدة أو العمة أو الخالة.

وإذا كان هؤلاء الإعلاميون لا يعلمون فها نحن نعلمهم وننبههم من خلال هذا الكتاب، ونهيب بكل من يستطيع إعلامهم أن يعلمهم حتى لا تكون لهم حجة بعد الآن، (إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة).

○ أثر الرموز الإعلامية الفاعلة:

وبالمناسبة فإنني أستغل هذه الفرصة الذهبية والثمينة لكي أدعو الحكومات العربية من جهة، وأدعو الغيورين من محبي دينهم ووطنهم من جهة ثانية إلى أن يبادروا بتكريم الرموز الإعلامية الفاعلة وكل غيور على دينه قام بحماية دين الأمة وثقافتها، ليكون هذا التكريم رداً قاسياً على كل إعلامي وكل ناعق تسول له نفسه العبث بثوابت العقيدة الإسلامية وتراث الأمة العربية بالترويج للأفكار المضادة.

○ أثر العمالة وخاصة السائبة:

كما أضم صوتي لصوت وزير العمل البحريني ووزير العمل السعودي وغيرهما من الذين حذّروا من مخاطر العمالة الآسيوية خاصة والتي تخصصت بجلب بعض الأفلام والألعاب الإلكترونية والصور والقصص الجنسية والمخدرات والمسكرات ونشرها بين المراهقين وكذلك نشر الشذوذ والدعارة وما إليها.

• **الأمان الاجتماعي:**

ما زلنا في سياق موضوع (استغلال استعدادات معينة لدى المراهق) ومنها حاجته إلى الأمان الاجتماعي وهو: إحساس المراهق أنه حسن المكانة من الناحية الاجتماعية وأن طبقته لها قيمة في المجتمع – خاصة في مجتمعنا الذي يتسم بالطبقية – ولو استطاع الوالدان أن يغرسا في نفس المراهق أن قيمة المرء بما يتقن، وبما يعلم ويعمل وأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] لكان هذا هو الأكمل والأجدى.

وهو يكتسب الشعور بالأمان والثقة بنفسه من خلال حديث والديه عن تاريخ الأجداد – وليكن أجداده المسلمين – وعن ذكريات الوالدين وتجاربهم الخاصة وعلاقاتهم وصداقاتهم، ومهنة الوالد ومهنة الوالدة – إن وجدت – ومستواهم التعليمي، وإن مما يشعر المراهق بالأمان كذلك اشتراكه مع أفراد الأسرة الآخرين بالقيام بمشاريع مشتركة – بعد تنسيقها سوياً – مع أفراد الأسرة مثل الزيارات والنزهات والتسوق، لأن كل هذه النشاطات تقوي الروابط الأسرية وتشعر الجميع بأن كل فرد جزء مهم من هذه الأسرة الصغيرة والأسرة الأكبر من جهة ثانية.

ويرى مأمون مبيّض أن حديث الوالد مع ابنه عن الذكريات والتجارب الخاصة له فائدة مزدوجة، فبالإضافة إلى أنه يشعر المراهق بالأمان فإنه يزيد رابطة الثقة بين الوالد وابنه مما يساعد الوالد كثيراً في أن يكسب ابنه بكل سهولة وسرعة ويجعل إمكانية أن يصارح الولد والده بمشكلاته وكل ما يجري معه شيئاً بدهياً بالمقابل.

٣. الحاجة إلى الحب والتشبث بالمحبوب:

لدى المراهق عاطفة كبيرة، فكما قلنا إن لديه حدة وهشاشة في انفعالاته وغزارة كبيرة مع فراغ عاطفي، وهذا ما يفسر لنا توجه المراهق نحو حب بعض الشخصيات والمبالغة في إظهار هذا الحب، ومن هذا الحب العذري أو حب الجنس الآخر، ومع أننا يجب أن نوجهه إلى أن هذا الشعور طبيعي ولكنه يجب أن يتوجه إلى الزوج، وليس غيره فلم لا نستغل هذه الحاجة للحب ونجعل المراهق يوجه حبه لنا أي للوالدين والمربين لكي نكسبه، والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف؟

والجواب: عن طريق إشباع حاجته إلى القبول والتقدير، فكما قلنا إن لدى المراهق اعتداد كبير بذاته، وهو يتصور أنه وحده على صواب، وأنه الأفضل والأجمل، ومن هذه النقطة نبدأ: إذ علينا أن نشبع لديه هذه الحاجة عن طريق المدح، فلا يجب أن نترك فرصة تمر دون مدح المراهق إذا أجاد، خاصة وأن هناك فئة سريعة الملل بحاجة دائماً إلى التشجيع المستمر والمتابعة.

وحتى يكون هناك سبب مقنع للتقدير فعلينا تحميل المراهق بعض مسؤولياته التي كنا نقوم بها عنه، مثل اختيار حاجياته وملابسه بنفسه، وليس ذلك فحسب بل والاعتماد عليه في القيام ببعض الواجبات المنزلية، مثل متابعة الإخوة الصغار في الدراسة وسؤال المدرسة عنهم، ومساعدتنا في شراء بعض حاجيات المنزل، والقيام ببعض الأعمال فيه بالإضافة إلى القيام ببعض الواجبات الاجتماعية نحو الآخرين، والاعتماد عليه باتخاذ بعض القرارات ومشاورته في بعضها، وإعطائه الفرصة للحوار.

كل هذا حتى يشعر بقيمته خاصة بعد أن يلقى منا الشكر والتقدير على هذه الجهود، وعلينا ملاحظة أن مراهقينا يمتلكون الثقة بأنفسهم عندما يدركون أن لديهم مقومات النجاح، هذه المقومات هي التي يجب أن نمتدحها فيهم[1]، مع ضرورة الانتباه إلى ما يلي: إن إطلاق عبارات المديح التقليدية بشكل متكرر – على الرغم من أنها ضرورية – إلا أن هذه العبارات سرعان ما تصبح بلا معنى أو يكون لها تأثير غير مستحب، فمثلاً هناك فرق بين أن أقول له: (شكراً) في كل مرة يقوم فيها بشراء الحاجيات، وبين أن أقول: (شكراً... إن اختيارك لهذا المحل بالذات دليل على حسن تصرفك). أو أقول في مرة أخرى: (جودة الفاكهة التي اشتريتها يدل على أنك شخص يمكن الاعتماد عليه). وكثيراً ما يصاب المراهق بتصلب الرأي والاعتداد بالشخصية حتى يبدو عسيراً جداً إقناعه بخلاف رأيه أو خطأ فكره، وهنا يجب أن نحذر من الضرب لأنه قد يؤدي إلى هروب المراهق أو المراهقة من البيت، وعليه فيجب معاملة المراهق مرة كأخ ومرة كابن وإذا لم ينفع الإقناع والوعظ والإرشاد وتطهير المنزل من وسائل الإفساد فلابد من الاكتفاء بالتعامل الضروري الخالي من التبسط معه والذي يغلب عليه الطابع الرسمي إلى أن يقتنع من تلقاء نفسه.

وإذا ما كسبنا حب المراهق عن طريق تقبله وتقديره بالتشجيع والمدح أمكن توجيه عاطفة الحب هذه نحو حب الله ثم الرسول ﷺ، عن طريق الآيات القرآنية

---

(١) د دوروثي وراشيل – مرجع سابق ص٣٤٣.

والحديث الشريف والسيرة، ولكن علينا ملاحظة عدم المساس بذاته عند توجيهه لأن المراهق يكون في العادة معجباً بذاته، فلا نقول له مثلاً: أنت غبي أو أنت قذر أو قبيح... إلخ

كيف تعبر له عن حبك؟

إذ لا قيمة للحب المخفي، فالابن بحاجة إلى الحب كما ذكرنا منذ البداية، ولابد أن نعلمه أننا نحبه، ألم يقل رسول الله ﷺ: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنه أحبه**» فكيف بأبنائنا وذلك عن طريق تدريب النفس على الكلمة الطيبة عن طريق إعطاء الابن كل يوم ولو (لعقة عسل) واحدة كما اقترح أحدهم، ولو فعلنا هذا مرة واحدة كل يوم لوجدنا أنفسنا قد تدربنا على إظهار الحب، ومن ذلك الإكثار من تقبيله؛ إذ وُجد أن ضم الطفل ووضع رأسه إلى صدرنا مع المسح على شعره يشعره بالراحة والطمأنينة ويخفف عنه الكثير من المعاناة النفسية – كما ذكر الدكتور محمد الثويني – من تجربته – حيث وجد أن ١٠٠٪ من الناشئين الذين لديهم مشكلات نفسية ينفجرون باكين عند حدوث هذه الحركة لهم. وهذا ما يفسر لنا لماذا رغّب رسول الله ﷺ بالمسح على رأس اليتيم أضف إلى ذلك النظرة الحانية والابتسامة وملازمتهم أطول فترة ممكنة، ومشاركتهم اهتماماتهم والذي لم يعتد على هذا الشيء ويريد أن يعوّد نفسه، فلو حمل معه دائماً حقيبة حب وفتحها مرة واحدة في اليوم، وأخرج منها قبلة واحدة وابتسامة وضمة وكلمة حب واحدة (أحبك) (حبيبي) وكلمة تشجيع أو كلمة مديح واحدة يومياً لوجد نفسه يوم وراء يوم وقد أصبح إظهار الحب هو طبعه.

ومن إظهار الحب: القيام بصنع شيء يحبه أو يحتاجه حتى لو كان هناك من يقوم به غيرنا عادةً، مثل ترتيب حجرته بأنفسنا، ومفاجأته بوضع شيء من الشوكولاته أو الورد أو أي هدية يحبها إلى جانب سريره كأي خدمة فندقية مترفة، وتقديم شيء من الطعام أو الشراب له، والعبث بشعره، ومساعدته في تزرير ثوبه، ودعوة صديقه بأنفسنا... باختصار لمسات مفاجئة وجميلة، وهذه الأمور يجب أن لا تُفهم على أنها خاصة بالأم بل وبالأب أيضاً.

٤. الاستفادة من قابليته للاستهواء:

ما زلنا نذكر استعدادات المراهق، وكيف يمكننا استغلالها لأجل أن نكسبه والقابلية للاستهواء هي إحدى هذه الاستعدادات. فعلى الرغم من أن المراهق لديه اعتداد كبير بذاته إلا أن لديه قابلية شديدة للاستهواء أي الإعجاب بأشخاص آخرين يكونون بمثابة نماذج مثالية يقلدها ويجعلها مرجعاً لقيمه وسلوكه، وهذا ما يفسر لنا انبهار المراهقين بالمشاهير والفنانين وشخصيات التاريخ العظيمة.

ويعتمد نوع هذه الشخصيات التي تستهويه على نوع الثقافة التي يتعرض لها، فإذا كانت ثقافة أفراد المنزل سطحية، كأن يكون في المنزل قنوات فضائية سيئة، ووسائل اتصال غير مرشّدة، ورفقاء سوء، وإذا كان هذا المراهق لا يتعرض للتوجيه المناسب (ولو بطريقة غير مباشرة، مثل: توفير الكتب والقصص وغيرها من وسائل الثقافة الهادفة)، فإن هذا المراهق سوف تستهويه بطبيعة الحال الشخصيات السيئة كالممثلين والممثلات، أما إذا كان البيت موجهاً بشكل جيد ومحصّناً ضد وسائل الإعلام الرديئة، وفي الوقت نفسه هناك وسائل إعلام جيدة وكتب وقصص وأشرطة وأفلام مدروسة بحيث تحكي سيرة الأبطال الحقيقيين وليس أبطال الخيال العلمي أو غير العلمي.

إن قابلية المراهق للاستهواء إنما هي وسيلة لابد أن تُستغل أفضل استغلال من أجل الحفاظ على أخلاق المراهق، وتشكيل شخصيته تشكيلاً مثالياً، وهي من أهم الوسائل التي تعيننا على أن نكسبه.

٥. الاستفادة من ذكائه في توجيهه:

إن الإنسان البالغ مثل المراهق يفترض أنه أصبح ذكياً بما يكفي لكي يفهم أبسط البدهيات في الحياة، فما الذي يجعل هذا المراهق الذكي يرفض الكثير من المسلمات والبدهيات التي كثيراً ما يوافقنا عليها أصغر الأطفال، إن هذا السؤال كثيراً ما يفرض نفسه على الوالدين؟ وكثيراً ما يعود من دون إجابة، فلماذا؟ إن السبب في هذا هو حدة انفعالات المراهق وزيادتها فليس العقل وحده هو الذي يسيطر على حياة المراهق وسلوكه بل وعواطفه الجامحة أيضاً، لذا فإنه إذا ما استطعنا

السيطرة على هذه العواطف وتشذيبها بتخفيف حدتها وتوجيهها الوجهة السليمة أمكن لنا أن نرى عقله وقد تجلى وطغى على عواطفه بعد أن ضعفت إلى الحد المقبول.

وقد اهتديت بفضل الله إلى طريقة ناجحة لتشذيب هذه العواطف الجامحة عند أبنائي الثلاثة الذين يبدؤون المراهقة في الثانية عشرة والثالثة عشرة، فقلت لهم: أنتم أذكياء والذي يكتشف طريقة يستطيع أن يكسب بها حب إخوانه واحترامهم، وينجح في تنفيذ هذه الخطة، ثم يقدم ما اكتشفه ونجح فيه مكتوباً فسيحصل على جائزة قيمة، وسوف نكتب طريقته هذه ليستفيد منها الآخرون، وأعطيتهم مهلة زمنية مناسبة، ثم جاؤوني بأساليب وطرقٍ جيدة بالنسبة لهم، أصلحت علاقتهم ببعضهم بعضاً إلى حد أرضاني كثيراً وكل ما فعلوه أنهم تصالحوا وتعاهدوا على الاحترام والتعاون، وبدؤوا بالفعل يتفاعلون بشكل أفضل بكثير من السابق.

كل ما فعلته أنني تركتهم يفكرون بوضعهم المؤسف وفي الوقت نفسه كنت أدعو لهم، وأذكر لهم قصص الإخوان سواء كانت مشرفة أو مؤسفة، بل أدعهم يطّلعون عليها باستمرار، ولقد نجحوا بحمد الله وها أنا أكتب ما نجحوا فيه كما وعدتهم.

والسؤال المطروح الآن: ما الذي يعيننا على السيطرة على عواطف الابن الثائرة؟

الجواب: إنه عون الله ثم تطهير البيئة، والقضاء على موجبات تدفق العواطف وجموحها، مثل: منع دخول وسائل تهييج الجنس كوسائل الإعلام والفضائيات المنحلة وكرفقاء السوء.

بالإضافة إلى ضرورة إبدال هذه الوسائل الرديئة بوسائل صالحة مثل: الفضائيات الإسلامية، والكتب والمجلات الجيدة خاصة التي تروي سير العظماء وعلى رأسهم سيرة سيد البشرية نبينا محمد ﷺ.

ولا أدل على ضرورة تطهير البيئة من حديث رسول الله ﷺ عن الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم أراد التوبة فأُمر بالهجرة من قرية السوء إلى القرية الصالحة.

كيف نضمن له صديقاً صالحاً:

إن المراهق العادي يحتاج كما ذكرنا سابقاً إلى الأصدقاء... ولا يمكننا في الأحوال العادية حرمانه من هذه الحاجة الطبيعية مهما كانت المخاطر، ولكن يمكننا أن نشرف على اختياره لأصدقائه، ونراقب تعامله معهم حتى الخروج من هذه المرحلة بسلام.

إن الحديث الدائم مع المراهق حول أصدقائه وحياته خارج المنزل، هو أصلح السبل للبدء في البحث عن الرفيق الصالح، وعلى قدر حديثنا مع الابن عن أخبار البيئة خارج المنزل على قدر ما نكون قادرين على مساعدته على معرفة معادن الناس، والتمييز بين الأقران تمهيداً لاختيار الصالح والبعد عن قرين السوء.

فقد يصرح المراهق بشيء لم يخطر لنا على بال، مثل رؤيته لبعض زملائه وهم يدخنون، أو في أثناء تبادلهم حبوباً منشطة، أو صوراً محرمة... الخ، وقد يذكر لنا ما يسرنا مثل دعوة أحد زملائه له للذهاب إلى المسجد، أو نصحه له كي يتفرغ للمذاكرة، هذه الأخبار هي التي ستجعلنا قادرين على مساعدته على التمييز ومن ثم الاختيار بينهم، وعلينا أن نسأله عن رأيه بأصدقائه في الصف خاصة، وبالمدرسة بشكل عام وبطريقة مستمرة، وعندما نجد لأبنائنا الأصدقاء الصالحين، والقادمين من عائلات صالحة علينا أن نتمسك بهم حتى يثبت العكس، ونقوم بحثهم على دعوتهم إلى المنزل كلما كنا واثقين من سلوكهم، ولنبنِ علاقة صداقة جيدة مع عائلات أصدقائهم.



خلاصة الفصل الثالث

لكي نكسب المراهق..

١. علينا إعداد أنفسنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لنسعى لكي يحبنا الله فيحبنا الناس وبالذات أبناؤنا ولابد من التحلي بالصبر المستمد من أخلاق الإسلام.

٢. التفاعل معه كأخ وكصديق صدوق مرة وكابن مرة أخرى والتعبير له عن تقبلنا له كما هو بصفاته التي حباه الله إياها واحترامنا وثقتنا به عن طريق استخدام التعبيرات الشاملة مثل: أنت طيب، أنت رجل، أنت صالح.. في جو من الهدوء والراحة اللذين يوفران له مع البيئة الصالحة النمو الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي الصحيح.

٣. شرح مرحلة المراهقة للمراهق قبل دخولها والاستفادة من الإعجاز القرآني في هذا المجال.

٤. استغلال استعدادات معينة عنده.



كيف نضبط المراهق؟

إنه لمن البدهي أن نقول: علينا قبل أن نحاول ضبط المراهق التأكد من أننا ماضون قدماً في كسبه بالاستحواذ على عقله وقلبه، وهذا مهم جداً لنجاح عملية الضبط التي تعتمد بشكل كبير على التعليم والتوجيه... فلقد أثبتت الدراسات أن المعلومات لا تثبت بشكل كبير إلا إذا كانت مصحوبة بشحنة عاطفية كافية.

مع التأكيد على أن عمليات كسب المراهق وضبطه إنما هي عمليات مترابطة لا يمكن الفصل بينها إلا لأغراض الدراسة والعرض العلمي فقط، وملاحظة أن كسب المراهق شرط مهم جداً لنجاح عملية الضبط، فالمراهق لم يعد ذلك الطفل الذي تجدي معه وسائل الترغيب والترهيب التي كانت تُستخدم معه طوال فترة الطفولة مثل: (حبة حلوى أو فركة أذن)، ولا أظننا نحتاج لإعادة ما سبق وذكرناه عن طبيعة المراهق الصعبة التي تبدو غامضة لمعظمنا، وأرجو أن لا تعود غامضة لنا بعد الآن، بعد أن وصلنا إلى هذه المرحلة من هذا الكتاب.

ومن البدهي أن نؤكد على أن تربية المراهق لكسبه وضبطه وإعداده لزواج ناجح تحتاج إلى تعاون كامل من قبل الأبوين، حتى في حال انفصالهما، وإلا فشلت العملية، ولقد رأينا في قصة ريّان كيف عجزت أمه عن مقابلة عصابة الأشرار الذين فتنوه لأنها كانت تناضل وحدها.



الفصل الرابع:

كيف نضبط المراهق؟

تهيئته لمتطلبات مرحلة الرشد بالتخطيط:

إن مرحلة المراهقة ما هي إلا مدة قصيرة جداً من الزمن قياساً بعمره الذي يتوقع أن يعيشه في قابل أيامه، وفيها لابد من تهيئته للاستقلال التدريجي لإعداده بشكل نهائي لمرحلة الرشد، ويشترط لنجاح هذه العملية أن يُنظر للمراهق كناضج من جهة وكقريب عهد بالطفولة من جهة ثانية.

فبالنسبة للنظر إليه كناضج فهذا يعني: تحميله للمسؤوليات ومعاملته وتقديره كالراشدين، ولهذه الفكرة أصل في الإسلام على النحو التالي:

١. **كان رسول الله ﷺ يسمي المراهق بالرجل** لاحظ هذا الحديث: عن سالم عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ... كنت غلاماً شاباً عزباً. وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان كقرني البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، قال: فلقيهما ملك فقالا لي: لم ترع، فقصصتها على حفصة، فقصتها على رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ «**نعم الرجل عبدالله! لو كان يصلي من الليل**» رواه مسلم.

لاحظ قوله رضي الله عنه: «كنت غلاماً عزباً» أي مراهقاً، على حسب الاصطلاح الحديث، ثم لاحظ أنه مع هذا فرسول الله ﷺ قال عنه: «**نعم الرجل**» ولم يقل: (نعم الغلام)، ولك أن تتخيل وقع كلمة رجل على نفس عبد الله بن عمر رضي الله عنه، ذلك الغلام الذي كان بكل تأكيد يحاول أن يثبت رجولته كأي

مراهق، ثم لاحظ أثر هذه الكلمة على سلوكه فيما بقي من عمره كما يتضح من هذه الجملة: (قال سالم: فكان عبد الله، بعد ذلك، لا ينام من الليل إلا قليلاً).

٢. **كان ﷺ يكنّي الأطفال** فينادي أحدهم بأبي فلان وأم فلان... وهكذا، ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قوله: كان لي أخ صغير يكنى بأبي عُمير، فكان رسول الله ﷺ إذا لقيه يقول له: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**» والنغير: طائر صغير كان يربيه أخو أنس.

٣. **كان رسول الله ﷺ يتعامل مع المراهقين على حسب قدراتهم،** فلم يكن يقيم للسن وزناً كبيراً، وهناك أدلة كثيرة على ذلك، من ضمنها أنه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالنوم في فراشه ليلة هاجر من مكة إلى المدينة، على الرغم من أن المشركين كانوا يحيطون بالمنزل لقتله ﷺ، وكان علي حينها فتىً صغيراً، كما أنه سمح لمعاذ ومعوذ وهما لم يتجاوزا الخامسة عشر من عمريهما بالاشتراك في القتال في غزوة بدر، وأمّر أسامة بن زيد رضي الله عنه على الجيش الذي جهزه لقتال الروم قبل وفاته، وكان عمره حينئذ سبعة عشر عاماً، وكان كبار الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر الصديق من ضمن الجيش.

إن أهم سبب لمعاناتنا مع المراهق، وتبرمه من طلباتنا هو أننا لا نعامله كناضج، بل كمراهق – بكل ما يحمله مصطلح مراهق من سلبيات في مخيلتنا – ولذلك نجده يتجاوب مع هذه النظرة التي تؤدي إليها المعاملة المشوهة، التي تدعمها وبشكل كبير ما يشاهده من وسائل الأعلام وغيرها من المؤثرات الخارجية.

وسؤال يطرح نفسه: هل هذا يعني أن نعامل المراهق كناضج مئة بالمئة؟

الجواب: لا... فالمراهق يظل محتاجاً أكثر من الناضج إلى اللهو والعاطفة، وهذا ما كان رسول اله ﷺ يراعيه فيه، وهناك أدلة كثيرة منها: أنه كان يسمح لعائشة رضي الله عنها باللعب في العرائس مع أنها كانت متزوجة آنذاك، ولكن كانت صغيرة السن، كما أنه سمح لها رضي الله عنها بالنظر إلى لعب الحبشة يوم العيد حتى فرغت، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: «فاقدروا قدر الجارية الصغيرة السن الحريصة على اللهو».

إذاً بمقدورنا أن نوفق بين النظرة إليه كناضج، وتقديرنا لحاجته إلى الترويح عن نفسه والرفق به كقريب عهد بمرحلة الطفولة.



ومن الأهمية بمكان أن نضع خطة لإعداده لمرحلة الرشد الكامل على النحو التالي:

١) أن لا يفوتنا **تذكيره باستمرار بالهدف من خلقه**، وهو: (إخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى) قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولذلك من المهم أن لا نقول له – كما اعتاد بعضهم عند ردعه عن بعض السلوكيات الخاطئة –: (عيب! ماذا سيقول الناس عنك؟)، بل يجب أن نقول: (هل تعتقد أن الله راضٍ عنك بعد أن قمت بهذا السلوك؟).

٢) **تأسيسه على طاعة والديه**، إذ يعتمد مقدار نجاح الوالدين في عملية الضبط على مقدار هذه الطاعة.

٣) **تعويده على الجدية** في كل أمور حياته الدنيوية والأخروية، وتوجيهه إلى ضرورة أن يتصف بقوة الإرادة والعزيمة لأنهما من أهم أركان النجاح بعد الإيمان بالله والعبادة وطاعة الوالدين، ولفت نظره إلى إمكانية الاستفادة من أوقات الصلاة في تنظيم وقته والتخطيط لمواعيده، فمثلاً يمكن أن يوزع أعماله على الأوقات التي تعقب الصلوات، هذه التوجيهات يجب أن يُربى ويدرب عليها منذ بلوغه التاسعة من العمر.

٤) **تدريبه على الصبر**، وتوجيهه إلى ضرورة ضبط انفعالاته وسلوكه.

٥) **التخطيط لتكون له شخصية ناجحة ومحبوبة**، عن طريق تدريبه وتوجيهه إلى حسن الخلق، ويجب ألا يفوتنا تدوين سمات الشخصية النموذجية التي نتمنى أن يتدرب ابننا عليها.

إن معرفة هذه السمات ليس صعباً لأننا سنجدها في سيرة نبينا محمد ﷺ، الذي عُرف عنه حسن السمت والدل، والدل كما ما جاء في لسان العرب هو حسن

الحديث وحسن المزاح والهيئة، فعلينا أن نلفت انتباهه إلى سمت الرسول ﷺ وشخصيته قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته، إنما كان ضحكه التبسم، رواه البخاري.

عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة**» مسند ابن حنبل، وفي حديث آخر «**السمت الحسن والتوأدة والاقتصاد جزء من خمس وعشرين جزءاً من النبوة**».

ولذلك فعلينا إبعاده عن المواقف الهازلة مثل الأفلام الكوميدية، فكثرتها وعدم انتقائها ليس جيداً له، حتى وإن كانت تخلو من العنف والرعب والجنس، ولكن إذا كانت هادفة بقالب ترويحي فلا بأس، وليس الضحك لمجرد اللهو واللعب.



إعجاز القرآن الكريم في مجال ضبط المراهق:

سنجد في الآيات الكريمات الآتيات من سورة لقمان - التي ذُكرت خصيصاً لإعداد المراهق لمرحلة الرشد، ووجهت له الخطاب بشكل مباشر - تلخيصاً معجزاً لتلك البنود السابقة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ (١٩)﴾ [لقمان: ١٣ - ١٩].

إذاً يجب على الوالدين والمربين تحفيظ أبنائهم هذه الآيات منذ الصغر، كما يجب عليهم شرحها لهم، ومراجعتها معهم من آن لآخر، وملاحظة الأسلوب الحسن الرفيق الذي اتبعه لقمان في توجيه ابنه وذلك يتضح من تكرار قوله: (يا بني).

ويجب أن يحفّظ كذلك الأحاديث الجامعة مثل: (حديث آية المنافق): عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**» متفق عليه.

وهناك أحاديث خاصة بمرحلة المراهقة والشباب تساعد إلى حد بعيد على عملية توجيه المراهق وضبطه، يجب تحفيظها له مثل: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجلٌ دعته امرأة ذات حسنٍ وجمالٍ، فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تصدّق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه**» متفقٌ عليه.

وعن أبي برزة نضلة بن عبيد الأسلمي رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**» رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وهذه وصية خاصة بالصحابي الشاب معاذ بن جبل رضي الله عنه وبشباب المسلمين وفتياتهم عامة، فعنه رضي الله عنه، أن رسول ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا معاذ، والله إني لأحبك، ثم أوصيك يا معاذ: لا تدعنّ دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي.

أيضاً لاحظ هنا أسلوب رسول الله ﷺ عندما بدأ بالأخذ بيده ثم التعبير عن عاطفة الحب نحوه ليكون أدعى لإصغائه ومن ثم تقبله.



قائمة المسموح والمرفوض:

لابد من وضع قائمة واضحة ومحددة لما هو مسموح به وما هو مرفوض، أو قائمة الواجبات ومكافآتها وعقوبات تركها، بحيث يوقّع كل الأطراف عليها، المراهق والوالدان، ويكون لهذه القائمة نسخة عندنا ونسخة عنده، إن إشراكنا المراهق للتخطيط لحياته فيما أمكن إشراكه، أمر في غاية الأهمية، لأن هذا أدعى لتقبله هذه الواجبات، ولأن هذا سيعوّده على التخطيط لحياته والاهتمام بدقائقها كسبيل مهم لنجاحه، خاصة إذا اعتاد اصطحاب دفتر ملاحظات يومي يدوّن فيه برنامجه اليومي وانجازاته وإخفاقاته كل يوم.

ونقطة مهمة يجب أن نضعها نصب أعيننا وهي عدم اليأس إذا لم نلاحظ نتائج الجهد والاهتمام الذي نبذله، قال تعالى على لسان نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

فعملية التربية تحتاج إلى المثابرة والتكرار بحيث لا نتوقف عن هذه العملية إذا وجدنا عدم تجاوب من الابن، لأنه من المعروف أن النجاح لا يأتي إلا من تكرار الفشل، سمعت تصريحاً لأحد الذين تابوا عن إدمان المخدرات بعد إدمان استمر ستة عشر عاماً حيث ذكر أن أهم شيء أثر فيه هو أنه كان يسمع أمه تدعو له باستمرار بكل حرقة ودون يأس، فأثر هذا فيه وقرر ترك المخدرات رأفةً بأمه.

إذاً من المهم التخطيط لحياة المراهق مع ملاحظة عرض أكبر قدر ممكن من الخيارات سواء بالنسبة للأعمال المطلوبة أم بالنسبة للمكافآت والعقوبات التي يفضلها المراهق أم حتى بالنسبة لطريقة تنظيم الزمن الذي يفضله المراهق لتنفيذ هذه الواجبات.

أما إذا كان لدينا أكثر من مراهق، فسيكون لعنصر المنافسة أثر ذو جدوى على هذا المشروع، ونؤكد على أن الخطة الزمنية التي يُتفق عليها يجب أن تتضمن برنامج عمل موزع بطريقة مناسبة، بحيث لا يُجمع عليه واجبات كثيرة مرة واحدة، ولذا يجب أن توضع هذه الخطة تحت التجربة في البداية، ويمكن أن تُعدّل على حسب ما يُستجد.



ونذكّر بأن الخطة التي ذكرناها لا يُقصد بها أن تنفّذ بين يوم وليلة، بل خلال مرحلة المراهقة كلها منذ أن يبلغ التاسعة، وبالتدريج، وهذا يعني أن هذه الخطة ستبدأ بسيطة وستخضع للتطوير المستمر بحسب تطور المراهق ونموه الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي.

وقبل الاتفاق على قائمة الواجبات مع المراهق، لابد أن نذكر هذه الحقيقة: لابد أن نقف عند مقولة شهيرة للخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث قال: «لا تُخلّقوا أبناءكم بأخلاقكم فإنهم خُلقوا لزمانٍ غير زمانكم» لنحدد ما المقصود بهذه المقولة التي لا يُقصد منها بطبيعة الحال أن يتخلى المراهق عن ثوابت عقيدته الصحيحة المرتكزة على الكتاب والسنة، التي من المفروض أن يكون المراهق قد تشربها تماماً، بل وظهرت على سلوكه في أدائه للعبادات وفي أخلاقه، ولكن المقصود أن نترك للمراهق مساحة من الحرية في الأمور التي سكتت عنها الشريعة، مثل: موديلات الملابس، قصات الشعر، الهوايات، ولنضرب كرة القدم مثلاً للهوايات، حيث نجد إقبالاً كبيراً عليها من قبل المراهقين، فما هو موقفنا الصحيح منها؟ هل نمنعهم من هذه الهواية غير المحرمة؟وتحت أي ذريعة نمنعهم؟!

أم أن الأفضل أن نجلس ونشاهد معهم، ونمارس التقاليد التي يمارسونها في هذه الحالة على مرأى منهم، مثل أن نشجع الفريق الذي يشجعونه، ونفرح عندما يفوز، ونحتفل بهذا الفوز على طريقتهم، فنكون بهذا قد قضينا معهم وقتاً ممتعاً، بل واقتربنا منهم أكثر، وحصلنا على حب واحترام أكبر.

حقيقتان مهمتان لابد أن يعرفهما المراهق:

أولاً: أنه لم يعد طفلاً: فهو ينمو كل يوم، وهو يتطور سائراً إلى مرحلة النضج الكامل الذي يعني الاعتماد على نفسه في تدبير أموره بنسبة تزيد يوماً بعد يوم حتى يصل إلى مرحلة الاعتماد الكامل على نفسه.

فمثلاً بعد أن كان اعتماده ١٠٠٪ على والدته عند ولادته، إذا بهذه النسبة تخف شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى ٥٠٪ عند نهاية الطفولة المتأخرة، ثم ٣٠٪ عند نهاية المرحلة المتوسطة، ثم ها هي تصل إلى ٠٪ عند نهاية المرحلة الثانوية.

وعليه أن يعلم أن هذا التغير الطبيعي لا يعني انفصاله العاطفي عن والديه، ولا يعني أن والديه سيتوقفان عن توجيهه ونصحه إلى ما فيه صالحه، أو سيتوقفان عن الإحسان إليه سواء عاطفياً أم مادياً، ولكنه يعني أن على المراهق ملاحظة أن لوالديه حقوقاً عليه، فتغير هذه النسبة معناه أن الذي كان يأخذ بنسبة ١٠٠٪ لابد أن يكون على استعداد لأن يعطي في النهاية بنسبة ١٠٠٪ إذا اقتضى الأمر، فهذا أبسط مبادئ العدل فوالداه أصبحا الآن محتاجين إليه، وقد تكون حاجتهما إليه بالنسبة نفسها التي كان محتاجاً إليها عندما كان طفلاً، وبعبارة أخرى لابد أن يلاحظ تغيّر موازين القوى، بسبب النمو مثلما يتغير كل شيء في هذا الوجود، وهذا يجب أن يقابله بكل تأكيد تغير في الحقوق والواجبات.

وهنا لابد أن يُمد المراهق بكتب توضح هذه الحقيقة، وتُوصّل لبر الوالدين ولواجبات المرأة والرجل.

ثانياً: أن يؤمن بهذه المقولة: «أنا مسلم، إذاً يجب علي أن ألتزم»: فالمجتمع المسلم يختلف عن غير المسلم بأن ثمة شيئاً في الإسلام اسمه الحلال والحرام، ومن البدهي للمسلم أن يلتزم بهذا، وأن الله لا يرضى له أن يقلد أي شخص أو أي مجتمع لا يدين بالدين الإسلامي مهما يكن، وسوف نلتزم نحن بهذا، لذلك فليس هناك في الإسلام شيء اسمه (أنا حر) أو (بكيفي) أو ما شابه من العبارات التي ليست إلا أفكاراً قادمة من الثقافة الغربية بشكل أو بآخر.

(الذي يحبه الله نحبه والذي يبغضه الله نبغضه):

هذه عبارة لا تحتاج إلى أي شرح ولا إلى أي تعليق، فقط علينا تحفيظها لأبنائنا وتذكيرهم بها باستمرار وجعلها شعار حياتهم ومماتهم وبعثهم.

موقف الغربيين من قضايا المراهقة:

مما لا شك فيه أن مواقف الغربيين ليست مرجعيةً لنا البتة، على الرغم من أن هذا النهج يستهوي بعضاً منا، وقد يكون أبناؤنا تأثروا بهؤلاء، إذاً لا ضير في أن نقدم لأبنائنا تجربتهم والحال هذه، لهذا ولأننا نعمل بقوله ﷺ: «**الحكمة ضالة المؤمن**

أنى وجدها فهو أحق بها» نقول: إن الغربيين مثل كل سكان الأرض لديهم أنظمتهم التي يفرضون على أبنائهم الالتزام بها، فهم بشر على كل حال وليس كلهم شياطين أو بهائم، إنهم يحبون لأبنائهم الخير مثلما يحبه أي إنسان، وأبناؤهم مثل معظم الأبناء يتهمونهم بأنهم رجعيون ومتخلّفون جراء فرض هذه الأنظمة عليهم، ولقد ناقشت بعضاً من نسائهم ووجدت أنهن يعانين مثلما نعاني.

فالكاتبة الفرنسية (آن شابيرو – نييل) تقول عند حديثها عن المراهقين في بداية كتابها (في بيتنا مراهق): «سيعترضون على جميع قراراتنا، ويطالبون بهذا الحق أو ذاك، وسيعتبروننا بالطبع رجعيين مغفلين» وعند حديثها عن مشكلة مطالبة المراهق بالذهاب إلى الملهى الليلي تقول: «هذا موضع يسبب الكثير من الاستياء، وقد يجد الأهل صعوبة في الاستمرار بحظر بعض الأمور أمام حجج من نوع: (الجميع يذهبون إلى هناك، فلم لا أنا؟)، ولكن عليهم ألا يستسلموا للضغط لأسباب عدة»، ثم تمضي لذكر هذه الأسباب التي لا نحتاج إلى ذكرها جميعها بطبيعة الحال، ولكن من ضمنها: (الخشية على المراهقين من التغرير بهم من قبل الأشخاص الذين هم أكبر منهم سناً، ومن شرب الكحول ومن تعاطي المخدرات والخشية على البنات من التغرير بهن من قبل الرجال الأكبر سناً لإقامة علاقات عابرة معهن)، وحتى في حديثها عن أثر الموسيقى على المراهق ذكرت أن هناك أنواعاً من الموسيقى تولّد اضطرابات خطيرة عند محبيها بسبب الميول الفاسدة التي تتطلبها، وتقول إنه لهذا السبب لم يعش معظم مغني الروك في سبعينيات القرن العشرين طويلاً نتيجة الحياة المنحلة الماجنة التي عاشوها، ولقد سمعت بعدة حالات لمراهقين انتحروا بسبب أنواع معينة منها، ولهذا تؤكد على ما سبق وبدأت به كتابها إذ تقول: «افرضوا قواعد صارمة ولا تسمحوا لأولادكم القاصرين بارتياد الأماكن التي يمكن أن تقود إلى الكارثة بسبب صغر سنهم ولين عودهم، فهل يعتبركم عندها أولادكم (رجعيين أغبياء) لا يهم! أو يصبحون معزولين عن الآخرين؟ ليس بالضرورة!» وتتابع قائلة: «هنالك لحسن الحظ الكثير من الأهل الذين يتحكمون بتربية أولادهم ويضبطونهم ويعرفون كيف يجعلونهم يمتنعون عن كل ما هو ممنوع ومحظور».

وأتساءل بدوري أنه لو كانت آن شابيرو تعلم ما علمته عن طريق النت من أن إحدى المدارس الفرنسية تسمح في يومها المفتوح للطلبة والطالبات والأساتذة في المرحلة المتوسطة بالتعري الكامل والتجول في المدرسة عرايا، وممارسة الهوايات وخاصة السباحة بهذا الشكل ماذا كانت ستقول ليس عن هذه المدرسة فحسب، بل وعن الآباء الذين يسمحون لأبنائهم باستخدام النت هكذا بدون أي ضوابط؟.

أما أنا فأقول: لماذا ننتظر حتى يقول لنا المراهق: (الجميع يفعل كذلك، لماذا أنا لا؟) أو (أنا حر) و(أنتم رجعيون)، بأن نذّكره بأن الفاتحة التي يقرأها كل يوم سبعة عشر مرة تعلّمه بأنه أصلاً لا يجب أن يسلك مسلك غير المسلمين بحال من الأحوال فهو يقرأ فيها قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ في الصلاة كل يوم سبعة عشر مرة، فهل يُعقل أن يطلب الحق عند هؤلاء الضالين وهو يدعو الله سبعة عشر مرة في اليوم أن لا يجعله منهم؟!

وقد سبق القول أنه يجب تذكيره بالآيات التالية: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝١١٦ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣ ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقوله عز وجل: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ۝١٠٦ ﴾ [يوسف: ١٠٦]، كما يجب أن نحفّظه قول رسوله ﷺ في الصحيح: «**لتتبعن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى إذا دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: من يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟**»، **أي: من سواهم؟.**

وقال ﷺ: «**ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى**» أخرجه الترمذي، وقال ﷺ: «**لا تكونوا إمعة تقولون: إن أحسن الناس أحسنّا وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا**» أخرجه الترمذي.

وليعلم أن في ديننا الإسلام عبارة أساسية وأن كل شيء فيه مبني عليها وهي: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وعلينا الالتزام بها وبكل ما تقتضيه من سلوك مثل «أركان الإسلام والإيمان والإحسان».

هذه البدهيات من الضروري إيضاحها مرة أخرى للمراهق، وقد يحتاج إلى التذكير بها كثيراً كلما أوشك على تبني أحد الأفكار الغربية المتحررة، ولابد أن نذكره بعبارتين محددتين: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» و«الذي يحبه الله نحبه والذي يبغضه الله نبغضه».

شبهة لابد من الرد عليها:

ما سبق كان رداً شافياً على أولئك الذين ينادون بأن نترك المراهق يتعرض لكل المؤثرات الخارجية، مثل: القنوات الفضائية المنحلة، بأن نوفرها له في المنزل بدعوى أنه لابد وسيتعرض لها سواء عندنا أم عند غيرنا، ورداً على أولئك الذين يرون أن من الخطأ أن نحرمه بحجة أننا سنُفاجأ بأنه انكب عليها عند رؤيتها عند غيرنا، وهذا مثل الذي يقول: «بما أن ابني سيحترق فلماذا أتركه يحترق عند غيري؟! لم لا يحترق عندي أنا؟!»، وكأن لسان حاله يقول: «بيدي لا بيد عمرو» مع أننا نعلم جيداً أن بإمكاننا بكل تأكيد أن نحميه من هذا الحريق، وهذه شبهة لن نحكّم أحداً فيها سوى ربنا سبحانه وتعالى، ونرد عليها بأربعة أمور:

الأمر الأول: هناك ثوابت في الإسلام لا مجال لتغييرها أو التنازل عنها مهما كانت الظروف، فعلينا أن نؤدي واجبنا، ولا مفر من هذا سواء نحو أبنائنا أم نحو أفراد المجتمع الآخرين، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنها ستكون بعدي أثرةٌ وأمورٌ تنكرونها، قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**» متفق عليه، إذاً في كل الأحوال علينا أن نؤدي الذي علينا.

الأمر الثاني: ليس هناك ما يثبت، لا من الناحية الشرعية ولا من الناحية العقلية، صحة وجهة النظر القائلة أن علينا أن نترك المراهق يطّلع على وسائل الإعلام المنحلة أو يستخدم النت كما يحلو له من دون أي ضابط، سوى أن هذا مجرد اجتهاد تبرع به بعضهم، ولا نعلم بالضبط من هي الجهة المصدرة لهذا الاقتراح المشؤوم.

وعليه فإن علينا أن نقوم بتطهير بيئة المنزل من كل ما حرم الله، ونغرس في أبنائنا العقيدة الصحيحة منذ الطفولة المبكرة، وعلى من فاته هذا أن يتدارك الأمر في أسرع فرصة، والعودة إلى ما سبق إيضاحه في الشكلين (١) و(٢)، وعلينا أن نعلّمهم الحلال والحرام، ونلازمهم قدر الإمكان، ونتأكد من صلاحية الأماكن التي يرتادونها، وهذا ليس صعباً، وحتى لو كان صعباً في البداية، إلا أنه ككل طريق يسير فيه الإنسان، فكلما سرنا في هذا الطريق قليلاً كلما وجدنا أنه لم يبق إلا اليسير.

علينا أن ننصح أصحاب المنازل الأخرى التي يرتادها معنا أبناؤنا بتطهير منازلهم من كل ما حرم الله، خاصة ذلك الذي يمكن أن يضر أبناءنا، أما نتائج كل هذا فعلى الله، يقول تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وإن من نتائج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تتطهر بيئة أبنائنا بشكل تلقائي، وهذا من اعترافات الملتزمين بهذا الأصل من أصول الإسلام الكامل العظيم.

فعندما تنصح أخاك أو جارك بأن يطّهر منزله من القنوات السيئة، ثم يتجاوب معك هذا والثاني والثالث فإنك توفر لابنك أنت، بقصد أو من دون قصد، بيئة طاهرة ونظيفة؛ لذلك فإن من الشبهات التي تضر بأبنائنا بطريقة غير مباشرة الهجوم المستمر الذي لا هوادة فيه على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، واستخدام عبارات قاسية للرد على الواحد منهم مثل عبارة: (وانت وش دخلك؟) و(مهو شغلك) و«من تدّخل فيما لا يعنيه لقي ما لا يرضيه» وحتى شتمهم ومحاولة التعرض لهم بالإيذاء الجسدي.

ولنذكر حديث رسول الله ﷺ عن السفينة وعن الذين أرادوا أن يثقبوا في أسفلها ثقباً فحاول الذين في الأعلى منعهم لأنهم إن ثقبوها هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً، كما قال رسول الله ﷺ.

الأمر الثالث: يقول رسول الله ﷺ: «**الحلال بيّن والحرام بيّن...**» إن الله تعالى أمرنا بغض البصر عن كل ما حرم، وهذا هو ما يجب أن نربي عليه أبناءنا، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)﴾ [النور: ٣٠ – ٣١].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩)﴾ [غافر: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦)﴾ [الإسراء: ٣٦].

فكيف نطالبهم بأن يغضوا أبصارهم وبأن يحفظوا أسماعهم عن ما حرم الله ثم نضع هذه المحرمات أمام أعينهم متمثلةً في القنوات المنحلة وغيرها من وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة، ونكون كالمثل القائل:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له ... إيـاك إيـاك أن تبتـل بالمـاء

الأمر الرابع: وهو موجه للذين لديهم (عقدة) من شيء اسمه (التطرف)، وهذا بطبيعة الحال ليس في الإسلام، ولن أحتاج إلى إيضاح هذا لأن مجرد الذهاب إلى بعض دور تحفيظ القرآن الكريم، والاطلاع على نشاطاتها، والاطلاع على بعض القنوات الإسلامية الهادفة، والكثير من الكتب والقصص لكتّاب أفاضل يشعرون بمسؤوليتهم، ويقومون بدورهم بشكل صحيح سيتأكد أن هناك في الإسلام الكثير من الترفيه والسعادة واللهو البريء والمفيد أيضاً، إنها المعادلة الصعبة التي لم يستطع أحد غير الإسلام أن يحققها ولله الحمد والمنة إنها: الجمع بين المتعة والفائدة.

قائمة المرغوبات والممنوعات:

إذاً لا جدال في أن هناك قائمة من المرغوبات والممنوعات، وبمعنى آخر قائمة من الواجبات، مع ملاحظة أنها تختلف من بيئة لأخرى على حسب ظروف العائلة،

وعلى حسب طبيعة المراهق؛ إذ إن هناك فروقاً فردية بين المراهقين من الناحية العقلية والنفسية والصحية كما هو معروف، كما يجب التوضيح للمراهق أن المكافأة والعقاب الحقيقي هو عند الله على كل عمل، قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝ ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨].

ويجب الانتباه إلى أن العقوبة لابد أن تكون على قدر الذنب، فعقوبة ترك الصلاة لابد أن تكون هي أشد العقوبات، ولنضرب مثالاً على هذه القائمة التي نؤكد على أن يأخذ منها الوالد ما يراه مناسباً لابنه ولظروف الأسرة:

نموذج لقائمة الواجبات

الواجب	المكافأة	العقوبة
• المحافظة على الصلوات	يحدد المكافأة بنفسه	المقاطعة
• الالتزام بحسن الخلق	إهدائه كتاب جديد ومفيد	معاملة رسمية
• المذاكرة اليومية	النزهة	عدم الخروج
• عدم الغياب عن المدرسة	زيادة المصروف	إنقاص المصروف
• تنظيف حجرته وملابسه	اختيار المكافأة بنفسه	اختيار العقوبة بنفسه
• زيارة الأقارب	تنفيذ شيء يحبه	حرمانه من زيارة صديقه
• عدم التأخر خارج المنزل	إهدائه هدية محببة له	عدم الخروج لمدة (تُحدد)
• الاستخدام الأمثل للهاتف	اختيار طريقة قضاء الإجازة	منعه من استخدام الهاتف

تنبيهات على قائمة الواجبات:

١. **التزم أنت أولاً**: إن رؤية الأولاد لوالديهم وهم يحترمون القوانين ويلتزمون بالقواعد العامة يسهم إلى حد كبير في انصياع الأبناء للقواعد التي يضعونها لهم[1]، فقبل أن تطالب الأم ابنتها بتنظيم حجرتها يجب أن تكون هي أول من ينظّم حجرتها.

٢. **اقصر هذه القواعد على الضروري** قدر الإمكان، وفي البداية على وجه الخصوص.

(١) محمد ديماس – تشاجر الأشقاء – ٢٧.

٣. **دعه يشعر أنك تتوقع** منه الطاعة.

٤. **لا تعط أوامر كثيرة** مرة واحدة.

٥. **اذكر سبب طلبك**، لإقناعه، فهذا يساعده على التنفيذ.

٦. **ساعده بأن تطهّر بيئته**، ووفر بيئة المنزل الإسلامية بإيجاد القنوات الهادفة، سواء كانت مرئية أم مسموعة أم مقروءة.

٧. **وفّر له البدائل قدر الإمكان** قبل أن تحرمه من شيء اعتاد عليه، فإذا حرمته من الجوال، املأ الوقت الذي كان يقضيه باستخدامه في كاميرا جديدة أو مرسم أو إنشاء مكتبة خاصة به، وذلك على حسب ظروفك وطبيعة ابنك.

٨. **عوّده على الطاعة من الأمر الأول**: وعندما تتأكد أنه فهم طلبك وأنك تطلب الشيء المعقول في الوقت المناسب، كن واثقاً من نفسك، وأصرّ على الطاعة من الأمر الأول قائلاً له بكل وضوحٍ وجدية: لن أكرر هذا الطلب مرة أخرى، فما دمت رجلاً وتفهم كالرجال فعليك أن تكون عند وعدك كرجل كذلك، وإني أذكّرك باتفاقية (قائمة الواجبات) التي وقعّت عليها في حال رفضك وتذكر أن إخلاف الوعد من صفات المنافقين، ثم أعطه فرصة كافية للتنفيذ، فإذا لم ينفذ، فابدأ في تطبيق العقوبة التي اتفقتما عليها وأنت مرتاح الضمير، إن هذه الطريقة التربوية المثالية ليس لها مسمى آخر سوى (الحزم)، وإذا وجدت أن هذه العقوبة لم تجدِ أيضاً، فليس هناك حل سوى أن تتوقف عن التبسط معه، ولا تغدق عليه الحب حتى يعود إلى طاعتك، ولا تستخدم العنف أبداً فسحب الحب عند الأسوياء يكفي، أما غير الأسوياء فيُتركون للأيام، فسيربيهم ربهم سبحانه وتعالى عن طريقها، وما عليك إلا أن تحسن الظن به سبحانه، وتتوكل عليه وتدعوه.

٩. **ليس من الحكمة أن نسمح للمراهق باستخدام (الإنترنت)** حيث ثبت من الواقع أن المراهقين لا يستخدمون النت بشكل صحيح حيث يقضون وقتاً أطول من اللازم، كما يساعدهم على إقامة علاقات غير مسموح بها شرعاً، ولقد سبق ذكر هذه الحقيقة التي أثبتتها الدراسة التي قمت بها، وهي أن أكثر من نصف العينة

يستخدمن النت من (٤ – ٧) ساعات يومياً وأكثر، كما أن ٩٥٪ من هذه العينة ذكرن أنهن يعرفن فتيات لهن اتصالات بشباب عن طريق الإنترنت وأن ٢٣٪ من هؤلاء يخرجن معهم.

ضوابط استخدام الانترنت:

علاوة على المخاطر السابقة وبالإضافة إلى حوادث الاستدراج عن طريق النت التي سبق ذكرها في الفصل الثاني، فإن هناك ألعاباً خطرة تخطف المراهق من عالم الواقع... من والديه وأسرته وموطنه، وتجعله يعيش معظم إن لم يكن كل وقته في عوالم خيالية أخرى... إنه يحقق أحلامه وآماله من خلال هذا العالم الافتراضي الذي مكّنه من أن يكتفي به ويستغني بسببه عن الحياة الحقيقية، عن من يجب أن يسمع لهم ويحسن إليهم ويبرهم فهو يمارس الحب والزواج وبناء الأسرة التي يتمناها وممارسة كل ما في الحياة الواقعية من آمال وطموحات من خلال ألعاب أو وهم النت، حتى إنه يستطيع أن يكون ملكاً وأن يحارب من أجل توسيع مملكته... وأن يتحالف من أجل هذا الهدف مع أياً كان حتى لو كان عدوه اليهودي ضد أي كائن من كان حتى لو كان أخاه المسلم فيقاتله ويقتله مستخدماً أبشع وسائل القتل وأكثرها وحشية ويستولي على كل ما يملك، وعندما ينتصر يشعر بنشوة الانتصار الحقيقية.

هذه الألعاب الشديدة الخطورة حيّرت أكثر الناس تحرراً من القيود ومن الشرائع والأعراف... حيرت الأمريكان فها هم في برامجهم يناقشون مشكلات النت هذه بكل وجع وهلع، ولعل أشهرها برنامج الدكتور فل، الذي ناقش هذه المشكلة على ثلاث حلقات متوالية، وخرج بضرورة وضع ضوابط للمراهقين عند استخدامهم للنت لعلي أورد بعضاً منها.

وهذا هو الدكتور (Willard F. harley) المختص بالشؤون الأسرية والتربوية يناقش في كتابه (احتياجاته.. احتياجاتها..) هذه القضية أيضاً، ليقرر مجموعة من القواعد التي يجب أن يراعيها الوالدان عند سماحهم للابن باستخدام النت مرتكزاً



على فكرة أساسية وهي أن لا يثق الوالدان بالابن ثقة عمياء وأن الإشراف والمراقبة – أو باستخدام مصطلح أكثر لطفاً – (المتابعة) هو الركيزة الأساسية.

ويرى أنه عندما يتحاور الوالد مع المراهق ويشعر هذا المراهق أن آراءه محتقرة من قبل الوالد، فإنه مع الوقت سوف يتجنب مصارحته، وسوف ينسحب ملتجئاً إلى أولئك الأشخاص الذين يلتقي بهم من خلال النت ليتلقفوه فيبثهم همومه، وعندها ستنشأ علاقة وثيقة، وشيئاً فشيئاً سيمهد هذا لعلاقة حميمة وربما كاملة، فمن مخاطر هذا العالم أن المتصلون مع بعضهم بعضاً بإمكانهم أن يمارسوا الشذوذ والجنس من خلال النت وحده بطريقة خاصة هم أعلم بها.

هذا بالإضافة إلى أن المشاعر التي يشعر بها المتصلون مع بعضهم بعضاً عن طريق النت تعتبر مشاعر مريحة ومرضية إلى حد بعيد... حيث يحصل كل منهم على الشعور بقدر كبير من الرضا عن الذات لأنهم يحققون حاجات نفسية مهمة مثل: الحاجة إلى أن يحبوا ويُحَبوا ويُحترموا ويُقدروا، وهناك كمٌّ كبير جداً من عبارات الشكر والثناء والمديح التي يتلقاها كل واحد منهم من قبل الآخرين والمغلفة بكلمات رومانسية تدغدغ العواطف إلى حد كبير كذلك... بالإضافة إلى السيل الهادر من النصائح بمجرد أن يبث شكواه – وقد يكون المشتكى منه هما الوالدان المسكينان فقط لا غير – مع تعبيرهم له عن إعجابهم الكبير به مع أنهم لا يرونه ولا يعرفونه في الواقع ولا يعرفون حتى اسمه الحقيقي ولا أصله ولا فصله ولا أين هو... فيبدو الذكر كأنه ملاك منزل، والأنثى كأنها حورية من الجنة أو كأنها أميرة الأميرات، خاصةً إذا كان المعرّف يوحي بهذا، ألم نقل إنه عالم الخيالات والأحلام والأوهام؟!

إذاً لا مناص من احترام آراء المراهقين وتركهم يعبرون لنا عن ما يجول في خاطرهم، وتعبيرنا بعد ذلك عن ما يجول في خاطرنا بالأسلوب نفسه، وأرجو مراجعة ما سبق وشرحناه في فصل كيف نكسب المراهق؟ ولذا منعاً لشرٍ مستطير ووضع خطير جداً، أرى ضرورة مراعاة الضوابط التالية عند السماح للمراهقين باستخدام النت، مع ملاحظة أنني أفضل الدخول بالاسم الصريح كأعظم ضابط،

على أنني لن أفصّل في هذه الضوابط لأن بإمكان الوالدين الاطلاع عليها من المتخصصين إذا لزم الأمر:

١) توفير بطاقات الحجب الذاتي ليستخدمها المراهقون وهذه البطاقات تقتصر على المواقع الصالحة.

٢) أن يرافق الوالدان أبناءهم في العالم الافتراضي (عالم النت) مثلما يرافقونهم ويتواصلون معهم في العالم الواقعي عملاً بمبدأ (معك أينما حللت وارتحلت) فإذا لاحظت أن ابنك اختفى من منتداكما، فلابد أنه ذهب إلى مكان ما في هذا الشبكة وعليك البحث عنه.

٣) مراجعة الوالدين لسجل المحفوظات، الذي من خلاله يمكن الاطلاع على المواقع التي زاروها وعلى أدائهم فيها، مع ضرورة التأكيد على المراهقين بعدم مسح سجل المحفوظات.

٤) استخدام نظام المراقبة المركزي حيث تنضوي كل الأجهزة المستخدمة للنت تحت جهاز مركزي واحد يسمح بالاطلاع على كل ما يدور فيها.

٥) استخدام طريقة المراقبة عن طريق وضع الأجهزة في مكان واحد بحيث يسهل على الوالدين المراقبة بمجرد النظر إلى هذه الأجهزة، وهذه الطريقة جيدة إذ أنها تتيح فتح هذه الحجرة في وقت محدد وإغلاقها في وقت محدد كذلك، مما يعين على تنظيم العملية إلى حد كبير.

٦) هناك بطاقات ذات توقيت معين بحيث يتوقف الاتصال بعد عدد معين من الساعات.

٧) الاطلاع اليومي على بريد المراهق الإلكتروني إن وجد، ولابد من معرفة الرمز السري.

٨) مراقبة الماسنجر عن طريق اختراقه، أو مباغتة المراهق في أي وقت، وبشكل متكرر.

٩) للذين يرون عدم ضرورة استخدام المراهق للنت يمكن توفير مجموعة من أشرطة ال (CD) وال (DVD) التي تجمع أكبر كمية من العلوم، وهي متوافرة بحمد الله لاستخدام الكمبيوتر، وهي حل أفضل ومثالي: حمّل له (القرآن الكريم) و(جامع السنة) أو (الموسوعة الشاملة في الحديث الشريف) وكذلك (الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي) إنتاج شركة العريس للكمبيوتر والذي يحتوي على (١٧٨٧) كتاباً من هذا التراث العظيم وأي برامج علمية تناسب ميوله، وهذه الفكرة مثال آخر لما ذكرناه في البند رقم (٦).

١٠) إذا كنت لم تعط ابنك جوالاً بعد فاحمد الله، لأن هذا أكثر من رائع، فنحن لا ننصح بالجوال للمراهق، فما دام أنه لم يعرف كيف يستفيد من الإنترنت كما أثبتت الدراسة فسيستخدم الجوال بطريقة خاطئة حتماً، وفي أحسن الأحوال سيكلّف الوالدين من الناحية المادية، وسيضيّع وقته في كلام لا داعي له، وسيشغله عن المذاكرة، وفي حال أنك أعطيته وانقضى الأمر، فيجب أن يكون الاشتراك باسمك حتى يتسنى لك معرفة الأرقام التي له اتصال بها، كما يجب أن تعرف رقمه السري ولا تسمح له بحذف الرسائل، وهذا ليس رأيي وحدي فقد أوصى به الدكتور هارلي كذلك، وهذا يعني مراقبتك لطريقة استخدامه مع توعيته باستمرار باستخدامات الجوال الصحيحة والاتصال عليه من حين لآخر للتأكد من أنه لا يشغل الهاتف أكثر من اللازم لأن إشغاله للهاتف أكثر من اللازم قد يعني أنه يقوم بمحادثة غير مشروعة.

هذا وقد يُستخدم الجوال لاستدراج المراهق والمراهقة وكم من امرأة كبيرة في السن لم تسلم من المعاكسات فكيف بالفتيات، فعلى هذا يجب الانتباه، وإذا ثبت أن المراهق يستخدم الجوال بطريقة خاطئة، فيجب أن نكون حازمين وأن نمنعه عنه كما لا يجب السماح للمراهق باستخدام الجوال الذي يحتوي على بلوتوث لأضراره الكبيرة إلا إذا كنا قادرين على مراقبته والتأكد من استخدامه الصحيح له، وأعتقد أن فيما ذكرناه آنفاً ما يغني عن البسط في هذا الموضع أكثر.

هذا ويجب الحذر من الرسائل التي يرسل بها أشخاص يحاولون التغرير بالفتى أو الفتاة بأن ننصحه بعدم قراءتها أصلاً، لأنه إن استمر في قراءتها فقد يُفتتن بها يوماً ما، كما يجب عليه عدم الرد على هذه الرسائل بأي شكل من أشكال الرد حتى يقطع دابرها.

إذا حاولنا القيام بما علينا وتأكدنا أننا طهرنا بيئة المراهق، أكرر للتشديد على هذا: بعد أن نكون قد تأكدنا أننا طهرنا بيئة المراهق، فيجب علينا بعد ذلك ضبط النفس، والصبر على المراهق مع عدم القلق الزائد عن الحد الذي يؤدي إلى الشجار والاصطدام الدائم مع المراهق، والتدقيق والمحاسبة على كل صغيرة وكبيرة، بمعنى أنه يجب علينا أن نكون مرنين، والمرونة تعني أنه كلما لاحظنا أن المراهق بدأ يتضايق بالفعل وبشكل واضح من ملاحظاتنا التي لا تتوقف من دون داع فيجب هنا أن نتغاضى حتى إشعارٍ آخر ونعمل بالمثل القائل:

ليس الغبي بسيدٍ في قومه　　　　لكن سيد قومه المتغابي

لكن هذا التغابي بطبيعة الحال لا ينطبق على ما حرمه الله شرعاً، وكان معاوية بن أبي سفيان مشهوراً بالحلم وكان من كبار المتغافلين، وكان يقول: «العقل مكيال، ثلثاه تغافل، وثلث فطنة» وقيل لأحدهم: من العاقل؟ فقال هو: الفطن المتغافل، فالذي يكون كله فطنة تحترق أعصابه، ويحرق أعصاب الآخرين معه، والمراهق مثل كل الناس الذين ينسون ويخطئون، هكذا جُبل الناس على الخطأ، قال ﷺ: «**كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون**».

تنبيهات على العقاب:

أؤكد على أن الوالد الذي يهتم بتربية ابنه خالصاً لوجه الله تعالى، ويحاول أن يصلح من نفسه قبل أن يصلح من ابنه، أؤكد على أنه لن يحتاج إلى العقاب إلا فيما ندر، وسيكون هذا العقاب بصورة مقبولة وتربوية إلى حد كبير، وهناك العديد من الطرق للعقاب، وكلها تعتمد على طبيعة السلوك المطلوب وصفات الولد الذاتية، وطبيعة الأبوين، والظروف الأسرية المحيطة.



ففي بعض الحالات، قد يفيد مجرد الحديث مع الولد للخروج من المأزق، فقد يكون هناك أسباب منطقية لخطئه، أو أسباب خارجة عن إرادته، مثل تلك العائدة إلى أسباب جسمية فسيولوجية، أو نفسية بحتة، وفي أحيان أخرى قد يتطلب الأمر تخصيص وقت لتدريبه على تحمل المسؤولية.

أما أكثر الطرق فعالية عند بعض المراهقين – على بساطتها – فهو العقاب النفسي بنظرة الوالدين الغاضبة (التقطيب) وإظهار عدم الرضا عن السلوك من خلال تعابير وجه الوالد والوالدة التي تتسم بالعبوس، ولذا عليك أن تعوّد ابنك منذ الصغر على فهمك من تعابير وجهك إذا ما كنت راضياً عنه أو ساخطاً على سلوكه، وتُعد هذه الطريقة هي أبسط أشكال العقاب مثلما تعد أبسط طرق المكافأة، وإذا لم تجدِ تبدأ تنتقل إلى أشكال أشد من العقاب على حسب مدى تجاوب الولد مع مراعاة الصبر عليه في بعض الأحيان وإعطائه الفرصة، وتقبّل أعذاره في أحيان أخرى، أي لابد من المرونة واستخدام الحنكة والحكمة، كي لا نضطر إلى الانتقال من أسلوب عقابي إلى أسلوب آخر بطريقة فيها من الظلم والتعسف الشيء الكثير.

وعلينا أن ندرك كل الإدراك المشكلة التي لا ينتبه إليها أكثرنا وهي أننا نجد أنفسنا مدفوعين بسبب ضيق الوقت وإيقاع الحياة السريع وكثرة الأعمال إلى اتخاذ قرارات عشوائية، وإيقاع عقوبات مجحفة وغير مدروسة دون أن نفكر بآثار سلوكنا المتهور على علاقتنا بأبنائنا وبالتالي على شخصيتهم التي سيعيشون بها فيما بقي.

إننا إذا ما أعطينا الابن الوقت الكافي كي يعتاد على التأثر والتجاوب مع تعابير وجهنا ونظرتنا الغاضبة سنكون قد وفّرنا على أنفسنا الكثير من أساليب العقاب الأقسى والأقل جدوى والأسوأ أثراً على علاقة المحبة والاحترام التي نحتاج إليها كي نكسبه ونضبطه.

وفي هذا المقام يتبادر إلى ذهني سؤال في غاية الأهمية:

ماذا تفعل لو اكتشفت فجأة أن ابنك يتعاطى المخدرات؟ أو أنه رئيس عصابة؟ أو أن ابنتك تعرفت على أحد الشباب؟ ماذا تفعل لو اكتشفت أن أي منهما ارتكب (مصيبة) كهذه في نظرك ونظر المجتمع؟

الأغلب أنك لن تتمالك أعصابك... وقد تقوم أنت أيضاً بمصيبة، ولكن اسأل نفسك هل المصيبة التي ستقوم بها ستعالج ما اكتشفته؟! هل ما ستفعله سيداوي جراحك؟

الجواب: لا.. طبعاً.

إذاً أدعوك من الآن إلى أن تفكر معي ماذا ستفعل في هذه الحالة وغيرها كحل جذري وأمثل.

هناك خطوات لابد من اتباعها عند معالجتنا لأي مشكلة مهما كانت، وقبل إيقاع العقاب لابد من مراعاة التالي:

١) دعه يتعرف على نوعية السلوك الخاطئ الذي قام به، مثلاً إذا كان هذا السلوك هو الكذب دعه يتعرف على الأجزاء غير الدقيقة من كلامه.

٢) عدم معاقبته بتعيير شكله أو شخصيته: مثل أنت مجرم أو قبيح أو (دب)... الخ، فلا يجب أن نتعرض للشخصية بالوصف السيئ، وإذا اُضطررنا فيمكن وصف السلوك بأنه سيء وليس سمات الشخصية، فمثلاً من الخطأ أن نقول: (أنت سيء) والصواب أن نقول: «سلوكك هذا سيئ».

٣) أن لا يكون الهدف من العقاب هو الانتقام لأنفسنا أو للتخلص من الإحراج بل يكون من أجل مصلحة المراهق أولاً وأخيراً.

٤) عدم معاقبته بمقارنته بغيره مثل قولنا: فلان أفضل منك حتى لو كان أخوه، والصواب أن نقارنه بنفسه مثل أن نقول: ممتاز لقد تقدم مستواك الدراسي أو لقد كانت تصرفاتك أكثر حكمة، ماذا جرى لك؟

٥) أن لا نعاقبه بتدمير علاقة الوالدية بيننا وبينه بقولنا: (أنا لا أحبك)، (أنا أكرهك)، (ليتني لم ألدك)، أو نلعن الساعة التي جاء فيها إلى الدنيا... إلخ.



٦) تجنب العنف في العقاب، وقد يُعترض على هذه المقولة بقول: كيف يكون عقاب بلا عنف؟، وأرد أن هذا ممكن، وقد ذكرنا أمثلة لهذا النوع الراقي من العقاب عند ذكرنا لقائمة الواجبات، فالعقاب شيء والقسوة شيء آخر، العقاب له صور عديدة مقبولة ومجدية، أما القسوة فليس لها إلا نتيجة واحدة وإن كان لها صور عديدة فإنها تتصف جميعها بالعنف الذي لا يؤدي إلا إلى العنف.

فالعقاب بالصراخ عليه، أو ضربه، أو حبسه، أو شتمه، أو طرده، أو إهانته أمام الآخرين، أو تشويه سمعته أمام الغير والشكوى المستمرة منه، أو مقاطعته، كل صور العقوبة هذه تندرج تحت بند العدوان على المراهق، وليس العقاب.

ولأضرب مثلاً لأثبت هذا الرأي: الكل – غالباً – قد اطلع على ما أوردته الصحف ذات يوم عن الجريمة البشعة جداً، التي قام بها طالب الثانوية العامة في الأردن الذي قتل أفراد أسرته السبعة جميعهم بمن فيهم والديه وإخوته وبعض أقاربه، ولفّهم في سجاد تاركاً إياهم في المنزل إلى أن اكتشف جيرانهم وأقاربهم هذه الجريمة النكراء، وعندما حققت الشرطة في هذه القضية، اعترف المراهق بأنه فعل هذا نتيجة للمعاملة القاسية التي كان يلقاها من ذويه لدفعه إلى الجد والاجتهاد في المذاكرة ليحصل على نسبة عالية جداً ليتأهل لدخول الجامعة، مما دفعه إلى التخلص منهم على هذا النحو المؤسف.

ومن نتائج العدوان على الأبناء، ما قام به أحد الوالدين في المنطقة الشرقية من السعودية، عندما انهال بالضرب على ابنه المراهق تأديباً له لأنه يريده أن يسلك مسلك الرجال، فإذا به يصبح جثة هامدة، حيث فارق الحياة من شدة الضرب.

إن هذه الدرجة من العنف تؤدي إلى نتائج خطيرة جداً إذا إنها تهدد حتى وجوده على هذه البسيطة، مثل قيام المراهق أو المراهقة بالانتحار، ومنهم من يبلغ به الألم القيام بالدعاء على والديه، كما سمعت أكثر من مرة مراهقات يدعين على آبائهن، وهذا ليس بحاجة إلى إثبات بكل أسف، وهذا في حد ذاته جريمة، لأن معناه كبيرة من الكبائر ارتكبها المراهق وهي عقوق الوالدين الذي سببه الوالدان نفساهما، وقد قال ﷺ: «**طوبى لوالدٍ أعان ولده على بره**».

ولا أدل على أن الوالدين وخاصة الأب أصبح هو مصدر العنف في أحيان كثيرة مما صرحت به الدكتورة الجوهرة العنقري العضو المؤسس في جمعية حقوق الإنسان التي ذكرت أن ٤٥٪ من أطفالنا يتعرضون للعنف بأشكاله المختلفة الجسدية واللفظية وهذا ما قرأناه في صحيفة الوطن من خلال مقال كتبته أمل زاهد في العدد (٢٧١١)، بالإضافة إلى ما تطالعنا به الصحف من آن لآخر من تعذيب وقتل لفلذات الأكباد على أيدي آبائهم، وغالباً ما يكون سببه الانفصال بين الزوجين، مما حدا بالقضاة في السعودية إلى تغيير الحكم القاضي بإعطاء البنت إلى أبيها في حال الانفصال، والحكم بإعطائها لأمها، حتى في حالة زواج الأم والله أعلم.

وقد صرّح مدير الشؤون الاجتماعية في الرياض الدكتور عبد الرحمن الناصر لصحيفة الحياة العدد (١٦٠٦٦)، صرح أن هناك ٤٥٠ حالة عنف أسري سُجلت خلال شهرين في عام ١٤٢٨هـ، وأن مديرية الشؤون الاجتماعية في منطقة الرياض استقبلت نحو ٦٥٠ شكوى عنف أسري بمتوسط ٥ بلاغات يومياً خلال ستة أشهر من العام نفسه وأعود لأذكر الوالدين بما قاله ﷺ... تلك النصيحة التي بها سر سعادة الدنيا والآخرة، وفيها سر الطمأنينة وسر النجاة، ألا وهي: «لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب».

ومؤدى هذا أنه يجب أن يكون لدى الوالدين (ترمومتر) يقيسان به نتائج العقاب حتى لو كان نموذجياً لاختلاف حساسية الأبناء لهذه العقوبات، خاصة إذا أضفنا الضغوطات التي تواجه المراهقين من كل جهة بما فيها الضغوطات الخارجية مثل: المدرسة والأصدقاء والقلق على المستقبل التي سبق ذكرها بشيء من التفصيل.

٧) لا يجب أن يكون العقاب بالدعاء عليه، ولا أن يكون بذكر أمور من شأنها أن تدخل اليأس إلى نفسه، وإعادة سرد أخطائه الماضية كلما ارتكب خطأً جديداً – أي أسلوب فتح الملفات – (مثل أنت غبي)، (أنت ستظل هكذا)، أو (طول عمرك فاشل وستظل فاشلاً).



قبل أن توقع العقاب على المراهق تخيل وقوعه لك ما مدى إمكانية احتمالك له، تخيل أنك أخطأت خطأه نفسه، اعترف بخطئك ثم ما هي ردة الفعل المثالية التي تتمنى أن تصدر عن والديك؟ وبعد أن تنتهي من عملية التخيل هذه اتخذ قرارك بشأن العقاب الذي تراه مناسباً، بعد تخيلك للعقاب الذي تتمناه فيما لو كنت مكانه، فعليك استخدام تقنية عدم الحديث معه وترك التبسط معه في أي معاملة مثل تقليل المصروف وليس قطعه قطعاً تاماً إلا إذا كان المراهق معرضاً للاصطياد من قبل أهل الشر فيجب تجنب هذه الطريقة في الوقت الذي نتبسط مع إخوانه أكثر منه إذا كانوا ملتزمين بما هو مطلوب.

٨) في حال أن الموضوع الذي نعاقب من أجله هو رفضه القيام بالواجبات الدينية، وفي حال قيامنا بخطوات العقاب السابقة بالترتيب السابق نفسه دون جدوى، فإنه يستحسن توضيح آية الولاء والبراء له، أي أننا نحب بالله ونكره بالله كما أمرنا ربنا عز وجل، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ [المجادلة: ٢٢].

وبعد تلاوة هذه الآية الكريمة نبلغه أنه إن استمر على ما هو عليه فسيجد أننا نبغضه في الله وعليه ألا يلوم إلا نفسه، ولا يأتي ذات يوم ليلومنا قائلاً: أنتم لا تحبونني أنتم تحبون أخي فلاناً أكثر مني، وإذا كنا صادقين فيما نقول، ونشعر بأننا أدّينا واجبنا الذي علينا، فلن نشعر بتأنيب الضمير ونحن نبلغه هذه الحقيقة بل سنشعر بالثقة في أنفسنا وسيكون لهذا التصريح الواثق وقعاً مؤثراً على نفسه، وسينهار ملتزماً بما نريد بإذن الله إذا كان الله قد كتب له الهداية.

ولضرب مثالاً على الخطوات السابقة: وردني سؤال من امرأة رفضت ابنة لها تبلغ العاشرة ارتداء الحجاب فأجبت بالتالي:

– وضحي لها حكم الحجاب في الإسلام أكثر من مرة بالأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، مع شرح إيجابيات الحجاب وفائدته لكي تقتنع.

- تأكدي أنها فهمت هذا الحكم.

- اسأليها عن موقفها من هذا الحكم.

- في حال لم تقتنع، ناقشيها واسأليها عن أسباب رفضها.

- إذا أصرت على الرفض أخبريها أن الحجاب مفروض عليها من الله وهو من الأمور التي لا خيار لها فيها، ولذا فإنك لن تسمحي لها بالسفور، وأن عليها الالتزام بارتداء الحجاب فوراً.

- اشتري لها أحجبة مرتبة، وتابعيها لتتأكدي من التزامها، وكلما التزمت كافئيها وشجعيها بالكلمات المناسبة، قرّبيها وداعبيها وأكثري من تقبيلها، وما دام أنها صغيرة فيستحسن التغاضي عن تساهلها فيه في بعض الأحيان، لأنه من الصعب عليها الالتزام به مرة واحدة في البداية حتى لو كانت تريد ذلك، وهذا ما واجهناه بأنفسنا.

- إذا مضت مدة ليست بالقصيرة وهي تتمادى في عدم الالتزام وإذا كانت لا تلتزم به إلا أمامك، فغيري خطتك، وهي مواجهتها بالحقيقة وهي أنها باتباعها لهذا المسلك فإنها تمشي في طريق النفاق، واشرحي لها معنى النفاق الذي تقوم به وعقوبته في الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥]، ثم اذكري لها آية الولاء والبراء السابقة وأن عليها أن لا تلوم إلا نفسها إذا وجدت منك جفاءً، لأنك ستبغضينها بالله كونك مسلمة، وعليك بعد ذلك أن تكوني حازمة وصادقة فيما تقولين إن هي أصرت على تهاونها بألا تتبسطي معها في الحديث، وتكوني رسمية إلى حد كبير معها حتى تعود إلى الحق، ولابد أن تتأكدي وأنت تقومين بهذه الخطوات أنك وفّرت لها الجو الإسلامي الصحيح في المنزل على الأقل وتأكدت من أن صديقاتها صالحات وملتزمات بالحجاب، وتأكدي أنك أعنتِها مع هذا بكثرة الاستغفار والدعاء المستمر لها وعدم اليأس من هدايتها، والله الموفق.

إذا كانت المشكلة سلوكاً يحتاج إلى مصحة كإدمان المخدرات فيجب مع اتباع الأساليب السابقة علاجه من هذا الإدمان فوراً، والتفرغ له وإعطائه وقتاً أكثر بكثير من السابق، وتغيير بيئته المدرسية، وتغيير أصدقائه إذا ثبت أنهم مصدر هذه المشكلة، وتغيير نمط حياته، وربما الحي الذي يقطن فيه إذا لزم الأمر، ومحاولة معرفة مصدر هذه المخدرات لحل المشكلة بشكل جذري... وعدم الخوف من الإبلاغ عن أي معلومات يمكن أن تساعد رجال مكافحة المخدرات، لأنه بدعاء الله سبحانه والتوكل عليه فلن يحدث أي ضرر لذوي النوايا الحسنة.

وبالنسبة لنقطة تغيير أصدقائه أضيف: إذا كان الأب قد اتبع النصائح التي ذكرناها في فصل (كيف نحمي المراهق؟) وعند حديثنا عن (كيف تضمن له رفيقاً صالحاً؟) فإنه من الصعب أن يكون هناك ضرر سببه الأصدقاء، لأن الأب أو الأم اللذان يرافقان أبنائهم أو يشرفان عليهم بشكل جيد في أثناء تواجدهم مع أصدقائهم سوف لن يقابلا مشكلات بسبب الصداقة في الغالب.

وعلي أن أذكر بما سبق واقترحته من ضرورة الكشف على المراهق والمراهقة منذ بلوغهم العاشرة بشكل دوري للتأكد من عدم تعاطيهما المخدرات نظراً لاستفحال هذا الخطر، فالأمر تعدى طريقة: (مؤشرات تعاطي الشباب للمخدرات).

وهكذا نستطيع الإجابة على سؤال: (ماذا تفعل لو اكتشفت أن ابنك يتعاطى المخدرات؟ أو أنه رئيس عصابة؟) أما فيما يتعلق بالإجابة على سؤال: ماذا تفعل لو اكتشفت أن ابنتك على علاقة أو على اتصال بأحد الشباب؟ فأرى بالإضافة إلى الإجراءات السلمية التي ذكرتها آنفاً أرى إخراج القنوات الفضائية السيئة من المنزل واستبدالها فوراً بقنوات إسلامية بالإضافة إلى إحداث تعديلات جذرية في البيئة على غرار التغييرات التي يجب أن نحدثها لبيئة مدمن المخدرات، ومن المهم في هذه الحالة مصادرة الهاتف الجوال إن وُجد ومراقبة الهاتف الثابت، وعدم السماح بالإنترنت، أو بمراقبة استخدامها له كما سبق ذكره وبطبيعة الحال لابد من مرافقة المراهقة عند الخروج.



مؤشرات العلاقة الناجحة مع المراهق:

كلما لاحظنا أن المراهق والمراهقة يحافظان على أداء الفروض وشيء من النوافل وما عودناهما عليه من أعمال البر والخير منذ الطفولة اطمأننا إلى أنهما في خير وعافية، وإذا التزم المراهق بأوامر والديه حتى في غيابهما، وكلما كانا هما أول من يلجأ إليه المراهق عند حدوث مشكلة، وهما أول من يبلّغهما بأخباره، وهما أكثر من يتحدث إليه، دل هذا على أن الوالدان نجحا في مسعاهما لكي يكسباه ويضبطاه، وقد يكون هناك تفاوت بين الوالدين في قوة ارتباط المراهق بهما.

وإذا لم ينجحا على هذا النحو فيجب أن لا ييأسا، ولا يتوقفا عما يجب عليهما من توجيه ودعاء واحتواء، قال تعالى في سورة يوسف عليه السلام على لسان عبده يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

وفي حال كون الأسرة منهارة فأنصح برأب الصدع فوراً، والتضحية من أجل الأبناء، لأن هذا الانهيار سبب رئيس لهذه الانحرافات الخطيرة، وفي حال الأم المعيلة فقد تحتاج إلى الاستعانة برجل أمين من أقاربها المقربين أو من أقارب أبنائها إذا لم يتجاوب معها ابنها أو ابنتها مع أن هذا يجب أن لا يُلجأ إليه إلا في أحرج الظروف، وتبقى طريقة العواقب من الطرق المؤثرة الفاعلة في مجال العقاب وفيما يلي شرح لهذه الطريقة:

التعلم من العواقب (نتائج الأعمال)[1]:

إن الشكل الطبيعي للتأديب عند معظم الآباء هو العقاب أو المكافأة، إلا أن الأفضل هو أن نجعلهم يتحملون تبعة أعمالهم، بدل أن يتطلعوا دائماً إلى الآباء من أجل العقاب أو المكافأة – في حالة الأخطاء غير الخطيرة – إن إجبار الأولاد على القيام بعمل ما يجعلهم يحاولون التهرب من هذا العمل في أول فرصة تسنح

---

(١) مأمون مبيض – مرجع سابق ص٢٦٢.

لهم، بينما يُفضل أن يُعطى الأولاد بعض الخيارات في تنفيذ هذا العمل، ويجعلهم الخيار المعطى لهم أكثر قدرة على تحمل المسؤولية، حيث يعيشون مع عواقب اختيارهم وأعمالهم، فإذا اختار الولد مثلاً أن لا يأكل، فعليه أن يشعر بالجوع حتى يأتي وقت وجبة الطعام التالية، وإذا رفض لبس معطفه، فسوف يشعر بالبرد ويتعلم من هذه التجربة أن الجوع والبرد في هذين المثالين هما النتائج الطبيعية لاختيار الولد، وإذا ما اختار التأخر عن المدرسة فسوف يتعلم أن لا يكرر هذا لمجرد أن الأستاذ عاقبه.

العواقب غير العقاب:

عندما يحاول الأهل تربية الولد من خلال تركه لنتائج اختياراته، فالمفروض في هذه النتائج أن تكون نتائج طبيعية منطقية لهذه الاختيارات، فإذا كسر (هيثم) زجاج الغرفة بسبب اللعب بالكرة، فالنتيجة الطبيعية أن يدفع ثمن زجاج جديد، بخصمه من مصروفه، ولكن أن يحرم من مصروفه لأنه لم يرتب غرفته فهذا خطأ لأنه لا علاقة بين الاثنين.



أساليب استخدام الخيارات:

١) **استخدام الشرط:** نعم يمكنك فعل كذا إذا انتهيت من كذا، فإذا كان يصر على الذهاب إلى مكان معين، نقول له نعم يمكنك الذهاب إذا أنهيت المذاكرة، وهنا يصبح عقابه بحرمانه من الذهاب إذا لم يذاكر منطقياً.

٢) **أسلوب إبداء الخيارات بدل إصدار الأوامر:** بدل أن تقول: «لا تقطع الخبز بالسكين هكذا على خشب الطاولة» تقول: «إذا أردت أن تقطع الخبز فعليك فعل ذلك على قطعة الخشب المخصصة لذلك».

٣) **عدم استحسان السلوك:** وهي عبارة عن سحب أو أخذ عدم الرضى أو عدم الموافقة من الولد على السلوك غير المفضل، مثل أن نقول له هل قضاؤك ساعة كاملة في مكالمة لا داعي لها صحيح؟

٤) **أهمية إشعار المراهق بالثقة،** والتأكيد له أننا نحبه كما هو بصفاته التي حباه الله إياها، لأن هذا من شأنه أن يوفر عليه الكثير والكثير من المجهودات التي يشعر بضرورة القيام بها في المستقبل لكي يثبت لنا وللآخرين أنه إنسان مهم، ويجعله لا يقوم بأي وسيلة محرّمة لا لشيء إلا لكي يثبت أهميته، وإذا ما أكدنا له أننا نحبه بشكل طبيعي، ولكن قيمته عندنا ستزداد بلا شك إذا أدى الواجبات الدينية وتمسك بالقيم الأصيلة، وكلما كنا صادقين في هذا القول بحيث نطبقه حقيقةً كلما استطعنا أن نضبط شخصيته ونوفر له قدراً كبيراً من الثبات الانفعالي والاستقامة في المستقبل.

إن الكثيرين من أصحاب الشخصيات المنحرفة كالذين يسرقون ويزوّرون ويرتشون... إلخ وجد أنهم تلقوا الكثير من التجريح وسوء المعاملة في الصغر أو في المراهقة مما عودهم على أن يبحثوا عن شتى السبل لكي يعوضوا هذا الشعور بالنقص، ويثبتوا للمجتمع أنهم أقوياء ومهمون وقادرون بشتى السبل والوسائل حتى لو كانت منحرفة.

كما أن الطالب متواضع القدرات الذي لم تمكنه قدراته الضعيفة من التفوق كما يريد الوالدان، ويفشل في كل مرة، ويتلقى سيلاً من الشتائم والتعيير على هذا الفشل، ويواجهه الوالدان مواجهة قاسية عن طريق مقارنته بزملائه المتفوقين سوف يولّد هذا عنده قدراً كبيراً جداً من الإحباط، وفي أحسن نتائجه سوف يجعل منه شخصاً يفكر ليل نهار بأي وسيلة يثبت فيها للوالدين أنه إنسان قادر وناجح، وعندما لا تسعفه قدراته العادية سوف يلجأ إلى قدرات غير عادية حتى لو كانت غير مشروعة؛ لذا فإننا نحذّر الوالدين من الضغط المتزايد على الولد لكي يتفوق.

وباختصار علينا الالتزام بما يلي من أجل تربية ورعاية نموذجية في جو من الهدوء:

(الاستغفار، الدعاء، التوكل على الله، الشكر، الاستغفار – الدعاء، إعطاء الحب، الاستغفار – الدعاء الاحترام، الاستغفار، الدعاء، التوجيه – الاستغفار، الدعاء، الصبر

- الاستغفار، الدعاء، التسامح - الاستغفار، الدعاء، العطاء المادي - الاستغفار، الدعاء).

وأذكّر مرة أخرى: يجب أن يتم كل ذلك بكل هدوء..



نظريتي في التربية الجنسية:

ينادي كثير من التربويين بضرورة التربية الجنسية للمراهق من أجل أن نضبط غريزته الجنسية ونحافظ عليه من جهة، ومن أجل أن نعدّه لما سيواجهه في مستقبل حياته الزوجية من جهة ثانية، بينما يرفض الكثيرون مثل هذا التوجه بدعوى أن هذا حرام أو عيب.

إن الحقيقة التي لا مراء فيها ولا جدال أن الشرع المطهر كان صريحاً وواضحاً ومحدداً في بيان الكثير من الأحكام الفقهية المتعلقة بالقضايا الجنسية بين الزوجين.

وكان أي شخص يريد أن يسأل من حقه أن يسأل تحت مظلة قوله ﷺ: «**لا حياء في الدين**» وهناك كتب كاملة وأبواب فقهية مستندة إلى آيات القرآن الكريم والحديث الصحيح لبيان هذه القضايا وشرحها، والمجال مفتوح أمام أي شخص يريد أن يتفقه ويتعلم هذه الأمور، وليس هناك كتب إسلامية مباحة لفئة معينة من الناس ومحرمة على غيرهم، وعليه فإني أرى أن تتم التربية الجنسية على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى:

وتكون في نهاية الطفولة المتأخرة أي ما بين التاسعة والعاشرة من العمر - على حسب نضج الطفل العقلي - فلابد أن نبدأ أولاً بشرح الميل الفطري لدى الإنسان نحو الجنس الآخر، وأن الله فطر الذكر والأنثى على الأنس ببعضهما بعضاً ورغبة كل جنس في ملامسة الجنس الآخر... وأن هذه الرغبة طبيعية، ولذلك سن الله الزواج، وأنه عن طريق الزواج فقط يستطيع الإنسان أن يحقق هذه الرغبة الطبيعية التي جعلها الله سبحانه وتعالى من أجل إنجاب الأبناء

وتكوين أسرة سعيدة، يحب بعضها بعضاً ويرحم بعضها بعضاً حتى يتعاونوا على عبادة الله سبحانه وتعالى.

فهذا هو الهدف من ميل الذكر والأنثى إلى بعضهما، وعليه فإن أية محاولة لإشباع هذه الرغبة بغير طريق الزواج فإن هذا من شأنه أن يجلب غضب الله سبحانه وعلينا أن نعلّمه الفرق بين الرغبة والإعجاب وبين الحب، فالرغبة والإعجاب مشاعر عابرة يجب أن يعالجها بضبط نفسه، وبغض البصر عن كل ما يمكن أن يثير هذه المشاعر، أما الحب فهو شعور أكثر ثباتاً وصدقاً وهو الذي من المفروض أن ينتج من الزواج، والزواج هو القناة المشروعة الوحيدة المسموح بممارسة الرغبة والإعجاب من خلالها، قال تعالى في سورة الروم: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

كما يجب أن نشرح له أن هناك أشخاصاً فاسقون يحاولون تحقيق الرغبة أو الغريزة الفطرية بأي طريق آخر مثل: ممارسة الشذوذ مع الجنس نفسه، أو إقامة علاقة محرمة مع الجنس الآخر خارج نطاق الزواج، وأن هذا هو ما يفعله غير المسلمين خاصة، وأن إعلامهم يشهد بحقيقتهم هذه، وأن هؤلاء ليسوا مسلمين ولا يطبقون تعاليم الإسلام ولا يعبئون بأوامر الله عز وجل، فلا يجب علينا أن نقلدهم لا ذكورنا ولا إناثنا، وأن من الواجب علينا عدم الاقتراب من وسائل الإعلام التي تعرض هذه الأشياء كالقنوات الفضائية والصحف والمجلات والأفلام والشبكة العنكبوتية وغيرها – فهذه هي حدود التربية الجنسية التي يجب أن نربي الطفل عليها، وما تعدى هذا القدر من التربية الجنسية مرفوض في هذه المرحلة.

المرحلة الثانية:

في بداية البلوغ وقبل الدخول في مرحلة المراهقة أي ما بين الحادية عشرة والثانية عشرة تقريباً: لابد من شرح وظيفة الجهاز التناسلي لكل منهما بصورة شبه كاملة فالجهاز التناسلي للفتاة سيفرز مقداراً من الدم كل شهر، والجهاز التناسلي للفتى سيفرز المني كذلك، كما أرى ضرورة أن نقول له أنه لابد أن يكون هناك

علاقة تلاصق جسدي بين الزوجين لكي تحمل المرأة بطفل دون الاستطراد أكثر، ونكتفي في هذه المرحلة بشرح كيفية الطهارة والاستعداد للصلاة بعد حصول هذه الأشياء.

المرحلة الثالثة:

وهي عند نهاية مرحلة المراهقة، ويستحب شرح العلاقة الجنسية بين الزوجين بشكل كامل، وهذه العملية لن يستطيع أن يقوم بها أحد... لا الوالدين ولا غيرهما، لذا فينصح بإحالة المراهق إلى كتب الفقه المتخصصة بإعطائه أحد هذه الكتب الذي يشرح العملية الجنسية من خلال الأحكام الفقهية الخاصة بها، وأحذّر من اللجوء إلى كتب أو برامج غير إسلامية.

وفي الحقيقة هداني ربي سبحانه وتغالى إلى هذه الطريقة بعد سماعي للقصة التالية:

قالت إحدى الأمهات: «تزوجت أختي وهي لا تعلم عن العلاقة الجنسية أي شيء، ففوجئت بالحقيقة من قبل سلوك زوجها الذي أجبرها على الجماع بطريقة وحشية من أول ليلة، مما كان له أسوأ الأثر عليها حتى أنها أبغضته، ولكن عندما علمت أن هذا شيء من الطبيعي أن يحدث بين الأزواج وجدت على أهلها الذين لم يعلّموها قبل ليلة الزفاف» حيث لا تزال تتكر تصرف زوجها الوحشي.

وتابعت: «أما أنا فعندما كبرت بناتي احترت كيف أخبرهن بالحقيقة خشيةً من أن يلقين مصير أختي نفسه، فبناتي يعشن في بيئة منزلية طاهرة وأعلم أنهن لا يعرفن عن هذا الموضوع شيئاً، ولم يدر في خلدي يوماً أن هذه البيئة ذاتها هي التي تكفلت بتوعيتهن التوعية التي عجزتُ عنها».

وتابعت: «ذات يوم كانت إحداهن تقرأ في أحد الكتب الفقهية، وإذا بها تقرأ عن أحكام الجماع، وطبعاً بما فيها (الأحكام المتعلقة بدخول المرود في المكحلة) فنادت إحدى أخواتها لتخبرها بما قرأت وهي مندهشة، أما أنا فآثرت الصمت لأنني اطمأننت إلى أن ابنتيَّ علمتا الحقيقة بأحسن طريقة، وتركتهما تكملان قراءة الكتاب بشكل عادي لأنني اطمأننت إلى أن المعلومات التي في الكتاب لن تفسد

ابنتيّ؟، بل ستجعلهما أكثر نضجاً لأنه كتاب علمي موجه لتغذية العقل، وليس موجهاً لإثارة الغرائز، كما أنهما تقرآن في السن المناسبة لقراءة مثل هذا الشيء».

وبعد... وبهذه الطريقة توصلت إلى نظريتي في التربية الجنسية وهذا هو ما أراه والله أعلم.

سؤال مطروح:

للأسف يتبادل المراهقون وحتى قبل مرحلة المراهقة معلومات عن الغريزة الجنسية سواء بالأقوال أو بالصور أو الأفلام، ومن ثم لا ينتظرون حتى نقوم بتثقيفهم بشكل تدريجي، وقد يسأل بعضهم إذا كان ابني قد توصل إلى الحقيقة الأخيرة في هذه النظرية في سن مبكرة، وسألني عن هذه الحقيقة فماذا أفعل؟

الجواب: قل له إن هناك أمور لا تهمنا، لأنها ليست مطلوبة منا، وسنعرفها بالطريقة المناسبة عندما تُطلب منا إذا حان وقتها، هكذا أمرنا ربنا سبحانه وتعالى وأقترح أن تذكر له قصة موسى عليه السلام مع الخضر لبيان عواقب السؤال عن بعض الأمور التي نُهينا أن نسأل عنها قبل أن يحين وقتها، قال تعالى على لسان الخضر: ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠ ﴾ [الكهف: ٧٠].

العادة السرية:

هي سلوك فردي قد يلجأ إليه المراهق بعد تعرضه لما يثير في نفسه الدافع الجنسي بالقراءة والقصص الهابطة أو النظر لصورة خليعة، أو بعد محادثة لفتاة، فلا يجد سبيلاً لخفض حدة التوتر لاستخراج المني إلا بواسطة دلك الأعضاء التناسلية، إذ بعد الإنزال تنخفض حدة التوتر، وهذا النوع من التصريف للدافع الجنسي منحرف عن طبيعة الفطرة، ولهذا يحرّمه التشريع الإسلامي لما يترتب عليه من ضرر نفسي في الحاضر، واجتماعي في المستقبل، ولأن الله سبحانه قد أمر بحفظ الفرج إلا على الزوجة والأمَة، قال تعالى: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ

﴿لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون: ١ – ٧]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣]، فهذه الآيات الكريمات تدل على أن التصريف في غير هذين الموضعين (الزواج وملك اليمين) تصريف فوضوي لا يتناسب مع إنسانية الإنسان.

وقد جزم الأئمة الثلاثة بتحريمه وهو أحد الأقوال في مذهب الإمام أحمد، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه إباحته لمن خشي العنت، وهو بذلك يكون من قبيل ارتكاب أخف الضررين إن لم يكن بد من ارتكاب ضرر.

قال الإمام ابن تيمية: والاستمناء: لا يباح عند أكثر العلماء سلفاً وخلفاً سواء خشي العنت أو لم يخش ذلك، وكلام ابن عباس وما روي عن أحمد فيه إنما هو لمن خشي (العنت) وهو الزنا واللواط خشية شديدة، فإذا خاف على نفسه من الوقوع في ذلك فأبيح له ذلك لتكسير شدة عنته وشهوته.

وأرى والله أعلم أنه يباح أيضاً بدل الاندفاع للزواج من أجل كسر حدة الشهوة فقط مثل زواج الفرند والمصياف والزواج بنية الطلاق لأن أنواع الزواج هذه مهما قيل عن جوازها فإن الخشية من إنجاب الأطفال الذين سُيظلمون يجعل اللجوء إلى العادة السرية أولى بدل اللجوء إلى أنواع من الزواج مآله عادةً إلى الطلاق.

وأما من فعل ذلك تلذذاً أو تذكراً أو عادة، بأن يتذكر في حال استمنائه صورة كأنه يجامعها، فهذا كله محرم لا يقول به أحمد ولا غيره، وقد أوجب فيه بعضهم الحد، والصبر عن هذا من الواجبات لا من المستحسنات[1].

وإباحتها في حالة الضرورة القصوى على حد قول ابن عباس والإمام أحمد لا يعني خلوها عن الإثم أو خروجها من باب المعصية.

ولا يلتفت إلى ما يقوله كثير من علماء النفس من أن العادة السرية لا يُخشى ضررها إذا استحكمت في سلوك المراهق وغدت توجهه إلى عملية الاستمناء

---

(١) مجموع الفتاوى ص٥٧٤ج١٠ الإمام ابن تيمية.

المتواصل بمعناه المفرط، فإن الاستمناء على أي حال سلوك جنسي منحرف يحرّمه التشريع ويبين ضرره بعض علماء التربية وبعض الأطباء[1].

أما في حال إذا رأى الوالدان المراهق وهو يمارس العادة السرية، فعليهما أن يظهرا وكأنهما لم يشاهدا شيئاً، فلا يجب أن يوبخاه، حيث لا جدوى من التوبيخ، بل عليهما وضع خطة لتوعيته على حسب ما اقترحناه بخصوص التربية الجنسية، كما يجب توجيهه إلى الصوم كما أمر بذلك رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**».

ويُقال أن تناول شراب خلاصة الكافور – بوصفة من الطبيب – وتناول كأس ماء بارد قبل النوم يهدأ هذه الثورة بإذن الله.

وينصح المراهق والمراهقة[2] بتقليل تناول المواد الغذائية التي تزيد من حدة الشهوة مثل: اللحوم والسمك، والابتعاد عن الفلافل والبهارات، والإكثار من تناول اللبن الرائب، والخس والتفاح.

كما يُنصحان بعدم قراءة القصص والأفلام الغرامية أو مشاهدتها، والغض من الطرف وعدم النظر إلى ما حرم الله تعالى، والإكثار من تلاوة القرآن الكريم والكتب المفيدة.

وفي ختام هذه الفقرة أنصح بأن يقرأ الوالدان كتاب (الثقافة الجنسية) لحسن مرعي – الذي اقتبست منه بعض ما جاء في هذا الموضوع – أو ما يقوم مقامه، وأن يقرأه المراهق إذا رأى الوالدان حاجته لهذا..

وعلى الوالدين أن يبيّنا له أثر العلاقات الجنسية المحرمة على الفرد وعلى الأسرة والمجتمع... سواء من الناحية الصحية كظهور الأمراض الجنسية القاتلة كالإيدز والزهري والسيلان، أم من الناحية النفسية كأثر العادة السرية، أم من كل النواحي النفسية والصحية والاجتماعية كعلاقات الزنا التي ينتج عن اللقطاء

---

(١) محمد السيد الزعبلاوي – مرجع سابق ص (٤٤٩).

(٢) محمود الاستنابولي – مرجع سابق – ص ٣١٩.

الذين يحرمون من الحياة الأسرية الطبيعية، والعلاقات المثلية التي تقوض بنيان المجتمع، وتؤدي إلى انقراضه.

كما يجب عليهما أن يبيّنا له عقوبة كل سلوك جنسي محرم.



خلاصة الفصل الرابع

لضبط المراهق..

علينا أن نهتم به منذ طفولته وعلينا:

١. أن نضبط أنفسنا أولاً لأن الملاحظة هي أقوى وسيلة للتعلم.

٢. أن نضع خطة خاصة بمرحلة المراهقة منذ بلوغه التاسعة، ونهتم بها تطويراً وتنفيذاً، ونؤسسها على تذكيره بالهدف من خلقه، وتعويده على اتباع السنة والبدء في تحفيظه آيات (وصية لقمان لابنه) وبعض الأحاديث الخاصة بمرحلة المراهقة والشباب.

٤. أن نعوّدهم على قائمة المسموح والمرفوض.

٥. أن نعتمد سياسة الخيارات قدر الإمكان.

٦. أفضل طريقة للعقاب هي التعلم من نتائج الأعمال، ثم التوقف عن التبسط معه.

٧. الابتعاد كلياً عن استخدام العنف بكل صوره واستبداله بالدعاء والتوكل على الله وعدم اليأس.

٨. استخدام أسلوب التكرار وتنويع الأساليب.



كيف نعد المراهق لزواج ناجح؟

إن تزايد عدد حالات الطلاق في العالم أجمع، وفي العالم العربي خاصة طبقاً لعدد كبير من الدراسات – حيث يشير أحدها إلى أن مصر تأتي الأولى عربياً في ارتفاع معدلات الطلاق ثم الأردن وبينت إحصاءات عام ٢٠٠٥م في دول الخليج أن الإمارات الأعلى من حيث نسبة الطلاق حيث تبلغ النسبة ٤٦٪، قطر ٣٨٪، الكويت والبحرين وعمان والسعودية تتقارب النسب حول ٣٥٪ بمعدل حالة طلاق واحدة كل عشر دقائق. وتقرر دراسات أخرى أن النسبة أكثر بكثير حيث تصل إلى أكثر من ٥٠٪ في بعض المناطق.

وهناك دراسات في السعودية تثبت أن ٨٠٪ من حالات الطلاق تقع في السنة الأولى من الزواج، ويتزامن مع ارتفاع حالات الطلاق ارتفاع معدلات الطلاق العاطفي والعنف الأسري والتفكك العائلي، ويترتب على هذا تزايد عدد الأطفال المؤهلين للانحراف والجريمة، وفي أحسن الأحوال المؤهلين لتأسيس أسر ستفشل بالتأكيد ثانيةً أو ستكون غير صالحة وغير سعيدة.

الفصل الخامس:

كيف نعد المراهق لزواج ناجح؟

إذاً المعطيات التي لدينا تجعل توقعاتنا لاستفحال المشكلة تزداد بشكل كبير، وهذا ما يجب أن يدفعنا للعمل على التصدي لهذا الخطر المحدق بمصير أبنائنا المقبلين على الزواج، وقد حاولت أن أقدم مساعدة من خلال هذه الدراسة باتباع الخطوات التالية:

أولاً: استعراض أهم أسباب المشكلات الزوجية.

ثانياً: بيان الخطوات الواجب علينا اتباعها لإعداد الأبناء للزواج:

أ) كيف نساعده في اختيار شريك الحياة؟

ب) ما الذي يجب تدريبه عليه بعد اختيار الشريك؟

ج) نصائح الساعات الأخيرة.

د) هل يجب أن نتابع أبناءنا بعد الزواج؟

ثالثاً: متى يحتاج الأبناء إلى عرضهم على أخصائي نفسي ليساعد في إنجاح الزواج؟

رابعاً: ما مدى فاعلية مراكز إصلاح ذات البين والإرشاد الأسري؟

خامساً: ما مدى فاعلية اللجوء إلى القضاء عند استفحال المشكلات؟

أولاً: أسباب المشكلات الزوجية:

يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: عندما تحدث مشكلة بين زوجين لا يكون الحق ١٠٠٪ على أحد الزوجين دون الآخر، بل هناك نسبة معينة على كل منهما.

وأقول هذا صحيح إلى حدٍ ما، ولكن في الغالب تكون النسبة موزعة بين الزوج وزوجته وأهله وأهلها، كل فيما يخصه، أما تفصيل ذلك فسنجده في هذا الفصل:

مشكلات ذات أسباب من داخل الأسرة:

قبل استعراض هذه المشكلات لابد أن نوضح دور الشيطان الرئيس والخفي في استغلال الكثير من الأسباب لتضخيم الاختلافات وإشعالها بشكل لا يهدأ ولا يكل ولا يمل. قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣].

هذا بالنسبة لشيطان الجن (إبليس)، وهناك من شياطين الإنس أيضاً من يتسلطون على الزوجين، وقد يتسلط أحدهما على الآخر كنوع من الابتلاء قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الفرقان: ٢٠]، وإذا أثبت صبره وحسن لجوئه إلى باريه فسوف يفرّج الله عنه ويحل مشكلته في وقت يختاره سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: ٥ – ٦]، ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وسنبدأ باستعراض الخلافات ذات الأسباب الداخلية، أي التي يكون سببها أحد الزوجين أو كلاهما:

١. **فشل الزوجين أو أحدهما في فهم الأهداف الواقعية للزواج**، فهناك من ينظر إليه نظرة مادية بحتة دون النظر إلى الأهداف العاطفية، والعكس صحيح، وهناك من ينظر إليه على أنه مجرد وسيلة لإنجاب الأطفال والحصول على الإشباع الاجتماعي، والحقيقة أن أهداف الزواج يجب أن تكون اتباعاً للسنة، وتقرباً إلى الله سبحانه وتعالى قبل أي أهداف أخرى سواء كانت مادية أم عاطفية، وإذا فشل أحدهما في تحديد نيته وهدفه من الزواج بشكل صحيح فسيكون لهذا الفشل عواقب وخيمة، فمثلاً الزوجة التي يقوم زوجها بواجباته المادية تجاه الأسرة ولكنه يقصّر في الجوانب العاطفية سوف تفشل إذا كان هدفها من الزواج عاطفياً فقط لا غير دون أن تنظر إلى مصلحة الأطفال والجوانب المادية التي يوفرها، والعكس صحيح.

والزوج الذي ينظر إلى زوجته على أنها يجب أن تكون نسخة مثالية عن أمه أو عن فتاة أحلامه سوف يفشل هو أيضاً.

ولنا في قصة امرأة عمران مثال ممتاز لأهداف الزواج الصحيحة، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٥ – ٣٨]، فتأملوا النية الصالحة والخطة المباركة لامرأة عمران حين جعلت نيتها عظيمة وهي أن تفرغ مولودها لخدمة بيت الله، فتوكلت على الله، ودعته ثم أحسنت به الظن حين قالت: إنك أنت السميع العليم، فهل كان الله سبحانه وتعالى عند ظنها؟ ماذا رزقها؟ ثم فلنتأمل دعاء زكريا عليه السلام، ثم حسن ظنه بربه كذلك حين قال: إنك سميع الدعاء، وهكذا.. عندما أحسن كل منهما الظن بربه كان الله عند ظنه.

٢. **عدم التكافؤ أي عدم التشابه بين الزوجين** سواء من الناحية الدينية أم الفكرية أم العمرية أم المادية أم المكانة الاجتماعية أم الشكلية أم الهوايات... الخ وقد يؤدي ذلك إلى الكراهية بينهما أو يؤدي إلى الفجوة بسبب عدم قناعة أو عدم تقبل أحدهما للآخر، وغالباً يكون السبب في هذا الزواج غير منطقي، مثل: الوصول لمركز اجتماعي، أو الوصول لأهداف مادية ما، أو بسبب العجلة أو المجاملة أو الخوف من العنوسة أو بسبب الإجبار من قبل الأهل أو الغش الذي يكون عن طريق الخاطبة أو الإنترنت.

ولابد من التنبه إلى أنه إذا كان الزواج يفتقد إلى نوع من أنواع التكافؤ أياً كان، ولكن بالرغم من هذا اتفقا عن طريق التضحية والتنازل لبعضهما بعضاً أو تنازل أحدهما للآخر فإنه لن يكون لعدم التكافؤ ضرر كبير بحيث يهدد استمرار الزواج، ويحدث هذا خاصة عندما تطيع المرأة زوجها مضحيةً برغباتها،

فهنا لن يكون لعدم التكافؤ أثر يذكر، ومن هنا جاء أمر الإسلام للمرأة بالطاعة المطلقة لزوجها في غير معصية الله سبحانه وتعالى.

ومن مؤشرات عدم التكافؤ (عدم الانسجام) مثل ما يحدث عند بعضهم حين تخرج العائلة للنزهة فتلاحظ الزوجات أن الزوج كثيراً ما يكرر مصطلحات مثل (سآخذكم للنزهة) بدل أن يقول سنذهب للنزهة، و(سأسفركم) بدل قوله: (سنسافر) وهكذا... مما يدل على أنه لا يشعر بالمتعة مع زوجته وأبنائه، لأسباب ربما تكون منطقية، وربما لا في بعض الحالات، والرجال أعرف بهذا.

وكذلك من مؤشرات عدم التكافؤ التي تؤدي إلى عدم التقبل: عدم الحديث مع بعض بشكل كاف – أي كما هو متعارف عليه عموماً – وبمعنى آخر غياب الحوار وغياب المشاركة الوجدانية – وهي الفرح لفرح الشريك والحزن لحزنه – وعدم الجلوس في البيت بشكل كاف، وعدم وجود الثقة بين الزوجين وما يدل على هذا إخفاء كل منهما بعض الأسرار عن الآخر، وكثرة الخلافات لأتفه الأسباب دون حل أكثرها، واضطرار أحدهما إلى تكرار الكلام نفسه أو الطلب نفسه دون أن يتجاوب معه الآخر بالرغم من كثرة هذا التكرار، أو كما يُقال: (إذنٌ من طين وإذن من عجين).

٣. **مشكلات سلوكية ناتجة عن سوء خلق أحدهما أو كليهما**، مثل الكذب، والبخل، والكبر – وما يؤدي إليه من ظلم – الطمع، الأنانية، الغيبة، التجسس، الفسق المؤدي إلى القذف والخوض في الأعراض، وتعاطي الخمر أو المخدرات أو الزنا، واتباع شهوات النفس على حساب حق أفراد الأسرة، وعدم غض البصر وما يؤدي إليه من كسل وإهمال الواجبات الأسرية نتيجة الزهد بالآخر، والاندماج بالحياة مع الآخرين خارج الأسرة سواء يومياً، أم في الإجازات (السفر لوحده) ويُطلق بعضهم على هذه الحالة (الاستهتار).

ومعظم هذه السلوكيات الخاطئة ناتجة عن سوء التربية التي تلقّاها الزوج أو الزوجة بحيث لم يُربَّ على ضبط شهواته وتنظيم وقته واحترام حقوق الآخر، أو بسبب عدم التقوى، ولهذا أعود لأذكّر بأهمية تعليم وتربية الأطفال والناشئة بحسب ما جاءت به شريعتنا الإسلامية السمحة.



٤. مشكلات ذات أسباب انفعالية ومزاجية ناتجة عن عجز أحد الزوجين عن التكيف والتفاعل السوي، وغالباً تكون أسباب هذا مرضاً عقلياً أو نفسياً، مثل: (الاكتئاب أو الفصام) أو اضطراباً في الشخصية، مثل: (الشخصية المسيطرة والحدية والاستعراضية والوسواسية والهستيرية... الخ) عند أحدهما أو كليهما، ولذا ننادي بضرورة إجراء اختبار نفسي للخطيبين قبل الإقدام على الزواج إلى جانب اختبار الأمراض الوراثية والمعدية الذي يفرض على المقبلين على الزواج.

ويجدر بي أن أحذّر من أن الزوج الذي قدم من أسرة منهارة كثيراً ما يأتي إلى أسرته الجديدة بعقدة تتعلق بالخوف من انهيار زواجه هو بلا مبرر، وهذا يؤدي إلى عدم ثقته بالطرف الآخر، فمثلاً: طلاق أم الفتاة المقبلة على الزواج غير المبرر، أو زواج أبيها على أمها مع عدم العدل بينها وبين زوجته الأخرى، كل هذا يولّد عقدة خطيرة عند الزوجة تكون سبباً في كثير من الخلافات المستمرة بينها وبين زوجها، نتيجة لعدم شعورها بالأمن معه.

وتزيد حدة المشكلة عندما يفشل هذا الزوج في إشعارها بالأمن والأمان، وحينما لا يفكر في طمأنتها بأنه لن يتخلى عنها مهما يكن ولن يفضّل عليها أحداً أبداً، ولو من باب الكذب الذي أباحه رسول الله ﷺ بين الزوجين.

وأعتقد أن الشاب يمكن كذلك أن يتعرض لهذه العقدة، مثلاً إذا تعرضت أمه للانفصال عن زوجها، أو إذا توفي عنها زوجها وأشعرت أبناءها أنها بحاجة ماسة لهم لدرجة أن تقارن نفسها بزوجاتهم وتحاسبهم على إحسانهم لهن، ففي هذه الحالة لن يهنأ للولد بال، ولن يقر له قرار، وسيستكثر على زوجته أي شيء يقدمه لها، طالما أن أمه محرومة كما أفهمته، وبسبب إشعارها إياه بالذنب، وإذا لم تدرك الزوجة أسباب سلوك زوجها غير السوي، وتعرف كيف تتعامل مع هذه الأسباب بالرفق واللين – مثل أن تقابل إساءة حماتها بالإحسان – فسوف لن يتفقا.

ومن المهم إحالة كل واحد أو واحدة لديه عقدة إلى المختص النفسي مع شريكه قبل بناء الأسرة، ونشدد على أن الأسرة التي تتصف بسوء العلاقات بين الوالدين خاصة وبين باقي أفراد الأسرة عامة ستكون أبعد ما تكون عن جو مثالي

يؤسس لنشوء أفراد صالحين وأسوياء بحيث يكوّنون بدورهم أُسَراً ناجحة فيما بعد، لأن الوالدين في هذه الحالة سيكونان قدوة سيئة تقود علاقات مشوهة ومضللة في طريق مظلم لمستقبل مجهول لأبنائهم، فمثلاً: الطفل الذي لم يعتد أن يرى أباه يعتذر لأمه عندما يخطأ في حقها، هل سيعرف كيف سيعتذر لزوجته فيما بعد؟ والطفلة التي لم تعتد أن ترى أمها تستخدم أسلوباً لائقاً في طلب احتياجاتها من أبيها هل ستعرف كيف ستعيد هذا المشهد مع زوجها؟

وفي كتاب (المراهقون يتعلمون ما يعايشونه)[1] قرأت ما يأتي عن قصة كارلي البالغة ثلاثة عشر عاماً:

«تم تشخيص حالة والدتها المرضية وتبين أنها مصابة بسرطان الثدي، حيث خضعت لعملية جراحية ثم قضت ستة أشهر في العلاج الكيميائي، كانت الأم ضعيفة ومريضة لمعظم الوقت، وقد كرس والد (كارلي) نفسه للعناية بها، فكان الأب يعد لها حساءً خاصاً عندما فقدت شهيتها ووزنها بشكل كبير، وكان يفاجئها بقبعات جديدة كل شهر عندما يسقط شعرها، وكان يقضي الوقت بصحبتها، ويقوم بتسليتها عن طريق لعب الورق ومشاهدة التلفاز معها والقراءة لها بصوت عال.

وعندما كانت (كارلي) تدخل حجرة نوم أبويها، غالباً ما كانت تجد والديها متشابكي الأيدي، أو جالسين معاً بهدوء، أحياناً كانت تنضم إليهما وتجلس على الفراش بجانب الأم، وكانت (كارلي) تحب قضاء تلك الأوقات مع والديها على الرغم من قلقها على الأم.

وبعد شفاء الأم من السرطان، وانتهاء العلاج الكيميائي تحدثت مع ابنتها عن تلك التجربة وسألتها: هل تعرفين ما الذي أحدث الفرق الكبير بالنسبة لي في أثناء أسوأ اللحظات؟.

قالت كارلي وهي سعيدة لأن كل ذلك كان في الماضي: ماذا؟

(١) د. دوروثي لو نولتي ود. راشيل هاريس – مرجع سابق – ص٣٩٢.

قالت الأم: اعتناؤكما وحبكما لي أنت وأبوك.

احتضنت (كارلي) أمها وهي سعيدة وتشعر بالراحة لأن أسوأ جزء من المشكلة قد انتهى.

أضافت الأم قائلة: أتمنى أن تجدي في يوم من الأيام شخصاً يعتني بك بحب مثلما اعتنى بي والدك في أثناء ذلك الوقت.

وافقت (كارلي) على ذلك بكل جوارحها وقالت: أتمنى ذلك أيضاً.

ومن المحتمل أن تكبر (كارلي) وهي تتوقع أنه سيتم معاملتها بحب، مثلما عامل أبوها أمها».

ومرة أخرى نقول: إن هذا لا يعني أن الشخصية الخالية من الأمراض والعقد النفسية – كالشخصية المثالية – أنها هي الشخصية المؤهلة للنجاح في الحياة الزوجية فقط فحتى هذه الشخصية ستفشل إن عجزت عن التكيف مع الآخر إذا رفض الموافقة على بعض المبادئ المثالية، فالمطلوب هو قدر كبير من الواقعية ليؤدي إلى قدر ضروري من التكيف والتقارب بين الاثنين دون التضحية بثوابت العقيدة الصحيحة التي ينطبق عليها قوله ﷺ: «**لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق**»، ولهذا جُعل للزوج الحق في منع زوجته من أداء النوافل، مثل حقه في أن لا تصوم التطوع وهو حاضر إلا بإذنه الذي أثبته الحديث الصحيح، فليس هناك أحد يقبل أن يعيش معه شرطي يسجل عليه كل مخالفة ليل نهار قائلاً: هذا حرام وهذا لا يجوز، بل يجب أن يتغافل عن بعض الأمور.

يقول المثل: «لكل مقامٍ مقال»، فإن كان لابد من ذكر رأي في أمر من الأمور فلا بأس في هذا ولكن يجب أن يختار له أنسب وقت وأنسب طريقة، وبهذا تكون الحكمة.

٥. **عدم المحافظة على الأوراد وأذكار الحفظ**، وعدم المحافظة على تلاوة القرآن الكريم عامة، وسورة البقرة خاصة، وعدم التصبح بسبع تمرات عجوة، وعدم الصدقة للمستطيع، لأن هناك مخاطر تكتنف حياة الزوجين مثل العين والحسد

والسحر ووسوسة الشيطان، هذه المخاطر لن يستطيع الزوجان النجاة منها من دون حفظ الله الذي يتوصل إليه عن طريق آيات القرآن الكريم والأوراد المخصصة للحفظ... قال رسول الله ﷺ فيما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه: «**إن لكل شيء سناماً وإن سنام القرآن البقرة وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال**» رواه الطبراني وابن حبان وابن مردويه، وعن أبي أمامة الباهلي قال: قال ﷺ: «**عليكم بالبقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**» رواه أحمد ومسلم، البطلة: أي السحرة، وقال رسول الله ﷺ: «**من تَصَبَّح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر**» رواه البخاري.

وكما هو معروف فإن التهاون في العبادة الجادة، والانكباب على مصادر اللهو والترفيه أكثر يولّد شخصية هزلية سخيفة، مما يجعل هذه الشخصية عاجزة عن اكتساب احترام الآخر، وقد بات معروفاً أن المسلمين عندما تركوا التمسك الصحيح بالإسلام تخلّفوا وتورطوا إن على مستوى الفرد أو على مستوى الأسرة أو المجتمع.

وأرجو الانتباه بهذا الخصوص إلى ما يلي:

ضرورة التوقف عن السهر الذي يجور على الوقت الذي يجب أن يُخصص لتلاوة البقرة لأن تلاوة سورة البقرة بحاجة إلى وقت، فتلاوتها بهدوء وتأمل دون الخوض في شؤون الحياة الدنيا مع أحد له أكبر الأثر على حياة الشخص، وبالنظر إلى كثرة مشاغل الناس فإنهم إن لم يقرؤوها ليلاً أو بعد صلاة الفجر فلن يستطيعوا قراءتها على الوجه الذي يؤدي إلى استفادتهم، ولقد وجدت أن تلاوتها تؤدي إلى النضج الانفعالي، وللاطلاع أكثر على هذه المعلومة انظر كتابي (الإعجاز النفسي والاجتماعي في القرآن والسنة)، وإليك هذه الفائدة المهمة جداً: فلنقرأ البقرة مهما كان حتى في يوم وفاة أعز أعزائنا، ولنعوّد أبناءنا على قراءتها مع الأذكار حتى في أصعب الأيام كيوم الاختبارات، ولنلزمهم بقراءتها حتى في صبيحة يوم الزفاف.

٦. **التفاوت في نظرة الزوجة لنفسها ونظرة الزوج لها**، ففي الوقت الذي تؤمن فيه المرأة بأنها إنسانة كاملة الإنسانية واضحة الاحتياجات (وذات قضية عادلة)، لا

يزال الرجل ينظر إليها على أنها أدنى منزلة منه بكثير، وأنها ناقصة عقل ودين وأنها خُلقت من ضلع أعوج جاهلاً أو متجاهلاً أن هذا الضلع الأعوج هو ضلعه هو.

أي أن الرجل العربي لا يزال يرزح تحت وطأة النظرة الدونية للمرأة التي يكرّسها الموروث القديم القائل: (شاوروهن وخالفوهن) وبالتالي يبرر لنفسه عدم الإنصات لها وعدم استشارتها والأخذ برأيها فيما يتعلق بالأمور المصيرية وحتى العادية في الأسرة، حتى أن بعضهم يجردها من معظم حقوقها إن لم يكن جميعها سواء عن قصد أم عن غير قصد.

والأدهى والأمر أن الرجل العربي لا يرى أي غضاضة في اشتراطه الكمال في المرأة عند خطبتها وكذلك طوال فترة الزواج منها، مع أنه يعلم أنه مليء بالعيوب (فقد يكون فقيراً قبيحاً ومع هذا يبحث عن زوجة موظفة وملكة جمال) وهذا ليس له تفسير سوى هذه النظرة الدونية التي تشرّبها منذ الطفولة.

٧. **التفاوت في سرعة التطور بين شخصيتيهما**، وهي على شكلين:

أ) بينما يحافظ معظم الرجال على المظهر الخارجي – فالرجل لا يهرم بسرعة كالمرأة – وبينما يأخذ الرجل فرصة أكثر من المرأة لاكتساب الثروة والمنصب والمكانة الاجتماعية والخروج والسفر كما يشاء، نجد المرأة على الطرف الآخر تنشغل بتربية الأولاد وأمور المنزل بالإضافة إلى استغراق بعضهن في العمل خارج المنزل دون أن تعلم شيئاً عن الذي يجري مع الطرف الآخر الذي ربما وصل به الأمر إلى التفكير في غيرها خاصةً إذا أثرى.

مع ملاحظة أن المرأة بشكل عام لا يخطر على بالها أن تغيّر زوجها لمجرد تطور شخصيتها وتحسّن ظروفها المادية والاجتماعية، والعبء في حل هذه المشكلة يقع على المرأة لأنها الخاسر الأول إن لم يكن الأكبر لذا يجب عليها أن تكون على علم بوسائل الحفاظ على الزوج مثل التجدد الدائم في المظهر والمخبر، واللمسة الحانية، والابتسامة وإعطاء الهدية.

وأنصح بالعودة إلى ما سبق وذكرناه في الفصل الثاني (كيف نكسب المراهق؟) عند حديثنا عن شروط الكلمة الطيبة فهي تصلح كذلك لكي نكسب

الزوج بل وأي شخص وليس المراهق فقط، مع العلم أنني لا أنصح المرأة فقط بهذا بل والرجل كذلك لأننا لابد أن نصحح نظرتنا إلى العلاقة الزوجية المؤسسة على أن العبء في إنجاحها يقع على المرأة فقط، بل لنقل أن إنجاح هذه العلاقة المقدسة يقع على الأعقل منهما، فهل المرأة في عصرنا المادي المذهل أصبحت هي الأعقل؟! كيف وبعض النساء يتندرن بهذه المقولة: (كل عقل الرجل لا يساوي عاطفة من عواطف المرأة).

إن إدراك أحد الزوجين لحقيقة أن شريكه ينتقد عدم كماله وملاحظة ذلك عند التحاور معه على شكل احتقار لآرائه، يجعله يشعر بالنقص والارتباك بمزيج من القلق وعدم الأمان وكثيراً ما يظهر في سلوكه على شكل استعراض مستمر ليؤكد على كمال شخصيته وإنجازاته ومكانة أهله وإنجازاتهم، فيبدو وكأنه إنسان مغرور وقد لا يكون، كما قد يجعله هذا يلجأ إلى آخرين من خارج الأسرة فيغيب روحاً وربما جسداً عنها كذلك.

ب) بينما تزداد الزوجة بشكل عام تعلّقاً بزوجها من الناحية العاطفية مع مرور الزمن قد تصل إلى الرغبة بعدم مفارقته لحظة، نجد الرجل يزداد بعداً إن لم يبق في أحسن الأحوال كما هو، لكن يظل راغباً بالجنس، بمعنى آخر تزداد المرأة رغبة في عاطفة الزوج أكثر من رغبتها في المعاشرة الجنسية بينما هو يزداد رغبة في الجنس أكثر من العاطفة، وهذا الفرق بينهما في رغبة كل منهما بالآخر يؤدي بطبيعة الحال إلى الكثير من التصادم إذا لم يدركا وجود هذا التفاوت.

٨. **الغيرة**: وهي نوعان:

أ) غيرة بين الزوجين، بسبب نجاح أحدهما وغالباً ما يقع هذا من الرجل، فبعض الرجال يثير غيرته نجاح زوجته وتفوقها عليه مما يؤدي إلى حدوث المشكلات خاصةً إذا شعر أن هذا النجاح أدى إلى غرور زوجته أو انشغالها عنه.

ب) غيرة أحدهما على الآخر: والغيرة غير المبررة غالباً تؤدي إلى الطلاق إذا لم تُعالج لأنها تُشعر الضحية كما لو كان متهماً مع أنه بريء، وعليه دائماً أن يثبت براءته بلا جدوى مما يؤدي إلى شعوره بالاختناق.

وقد أثبتت دراسة قمت بها أن ٣٥٪ من الزوجات والأزواج أعادوا أسباب الخلافات الزوجية إلى غيرة الطرف الآخر.

وعلينا الاعتراف بأن استخدام الإنترنت ومشاهدة القنوات الفضائية المنحلة من دون حدود قد يثير غيرة الطرف الآخر، ويتسبب بالكثير من المشكلات، فلقد سبق أن ذكرنا أن هناك نسبة غير قليلة من المراهقات – مستخدمات النت – لا يجدن غضاضة في التواصل مع الشباب عبر النت بلا داعٍ، ولذا أنصح المرأة حديثة العهد بالزواج بالاستئذان من زوجها ليسمح لها باستخدام النت، كما أنصح الأهل بتوجيه بناتهم بعدم استخدام النت إلا إذا سمح الزوج بهذا، ومن هنا أوجه ندائي إلى العلماء كي يفتوا للناس فيما يتعلق بهذه المعضلة... حيث أتوقع توجه الرأي العام لإبداء الرأي حول هذه القضية، ولكن أتساءل ماذا بشأن الأزواج الذين يتواصلون مع النساء الأجنبيات عبر الإنترنت من دون داع، أوجه ندائي لهم بوضع الزوجة والأبناء على قائمة أولياتهم قبل أن يفكروا بالمضي بهذا السلوك قُدماً.

٩. **الاستغراق في العمل خارج المنزل** سواء كان عملاً اعتيادياً أم طوعياً على حساب الوقت الذي يجب أن يخصص للأسرة، ويدخل في هذا استغراق أحد الزوجين في أداء حقوق أفراد من خارج الأسرة على حساب أفراد الأسرة مثل الأهل والأصدقاء وغيرهم، وكذلك الاستغراق في ممارسة هواية من الهوايات مثل العمل على الإنترنت ومشاهدة التلفزيون... إلخ.

١٠. **وجود أحكام مسبقة وخاطئة لدى أحد الزوجين عن الزوج الآخر،** نتيجة التربية التي يتعرض لها، مثل: التربية التي يتعرض لها الذكر في مجتمعنا التي تُغذي باستمرار الفكرة القائلة بأن الرجل الحقيقي هو الذي لا تستطيع المرأة أن (تسيّره على كيفها) أو (لا تستطيع أن تركبه) أو (تسيطر عليه)، وأن (المرأة لا يمكن تقويمها إلا بضربها)... إلى آخر ما هنالك من مفاهيم تُملى عليه من قبل والديه أو غيرهم منذ وقت مبّكر ناسين أو متناسين وصية رسول الله ﷺ بالإحسان للمرأة: «**إني أحرّج عليكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة**»، وحديث: «**المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإن أُنيخ استناخ**» رواه الترمذي وذكر الألباني في المشكاة أنه حسنٌ لغيره، وقريب من هذه الفكرة الفكرة الآتية:

١١. **نظرة المرأة للرجل** التي تراكمت عبر الأجيال، وكرّست لدى المرأة فكرة أن الرجل عديم الوفاء، فهي تشعر أنه قد يخونها وقد يتزوج عليها وقد يطلقها لا لشيء إلا للهوى، مما يؤدي إلى قلقها وتوترها الذي يبدو في سلوكها على شكل قسوة وعدم احترام، خاصةً إذا كانت أمها أو إحدى قريباتها ضحيةً لمثل هذه الخيانة غير المبررة، وأحياناً يشعر الرجل أنه لم يقصر في شيء ومع هذا لا يجد حناناً أو احتراماً، وهنا قد يكون ما ذكرناه في هذه الفقرة هو السبب، وهنا على الرجل تقع مسؤولية اكتساب ثقتها بمصارحتها بأن هناك عبر تاريخ البشرية رجالاً صالحين لا يخونون ولا ينكرون العشرة، وإلا فكيف ظهر الأنبياء والأولياء، ثم عليه الصبر عليها وإثبات وفائه عملياً، وسنذكر طرق ذلك عند حديثنا عن أسس الزواج الناجح.

١٢. **فشل الزوجين أو أحدهما في التكيف مع التغيرات** التي تطرأ على حياة الأسرة مثل زيادة عدد الأطفال، أو مرض أو إعاقة أحدهم، أو انضمام أحد أقارب الزوجين للأسرة، أو تدني مستوى الدخل أو زيادته بشكل ملحوظ، أو زواج الرجل بأخرى... إلخ.

١٣. **جهل أحد الزوجين أو كليهما بالأسس الصحيحة لإدارة شؤون الأسرة** القائمة على حسن النية والجدية والإنصات للآخر وحواره في جو من الصراحة والهدوء.

١٤. **فشل أحد الزوجين أو كليهما في التعبير عن غضبه** أو عدم رضاه عن الآخر مثل قيام الزوج بالتهديد بالطلاق، أو بالزواج بأخرى، أو بهجر المنزل، أو بالسفر، أو بشتم زوجته أو طردها، أو ضربها، أو قيام المرأة بتجاهل طلبات زوجها، أو بفتح ملف هذه المشكلة وتكرار تلاوة كل الأخطاء فيها مرة أخرى كلما ارتكب الزوج خطأً جديداً، أو هجر منزل الزوجية، أو الشكوى للآخرين لأسباب لا تستحق هذا، وهذا بطبيعة الحال لا يحل المشكلات بل يزيدها، ويجعل الأسرة وكل من فيها ضحية للكبرياء والكرامة الزائفة وأعتقد في هذه الحالة ضرورة معالجة حالة الكبر التي تسمى الكرامة عند الزوج المضطرب، ومرة أخرى العودة إلى تلاوة القرآن الكريم وسورة البقرة والمحافظة على الأوراد.

١٥. **الفشل في إدراك مفهوم الصبر عند الكثيرين**، ذلك الصبر الذي نجد الكثير من الناس ينصحون به الزوجة خاصة دون أن يشرحوا لها معناه الصحيح، فالصبر ليس معناه الرضا والسكوت على المشكلة التي يجب أن تُحل وتحسم في مهدها، بل الصبر الذي يعني إتباع الطريقة العلمية الصحيحة في حلها، والتحلي بالحكمة واستخدام العقل وليس العاطفة دون يأس أو كلل أو ملل ودون الإساءة إلى الشريك أو إلى أفراد أسرته سواء بطريقة مباشرة أم غير مباشرة، مما يؤدي إلى استفحال المشكلة، لأن عدم حل المشكلات أولاً بأول يعمّق الفجوة بينهما، لذلك يجب أن يتعلم الزوجان أن لكل من التسامح والصبر استخدام مختلف، وهناك فرق بين التسامح وبين الصبر، فهناك أمور يحبذ التسامح فيها، وهناك أمور لابد من مواجهتها بخطوات مرتبة موضحة في كتاب الله الكريم وفي سنة نبيه ﷺ، وسوف أوردها في نهاية هذا الفصل بإذن الله، ولكن باختصار يجب أن نستخرج مفهوم الصبر من قوله ﷺ: «**أدوا ما عليكم واسألوا الله الذي لكم**».

١٦. **تزايد شعور الرجل بأهميته** بسبب (أن الطلب عليه كبير) نتيجة زيادة معدلات الطلاق والعنوسة بالذات، وبالتالي هذا ما يجعله يتساهل في القيام بواجباته نحو الزوجة بسبب انشغاله بآماله وأحلامه و(أطماعه التوسعية).

١٧. **فشل أحد الزوجين أو كليهما في التراجع عن الخطأ** والاعتراف به والاعتذار عنه في اليوم نفسه، فلقد صرح الكثيرون من ذوي الزواج الناجح أن أحد أهم أسباب نجاح زواجهم هو أنهم لا يبيتون إلا وقد تراضوا وزال ما في قلوبهم على بعضهم بعضاً، مع العلم أن بعضهم يرى أن المبيت على وجود الخلاف لا يفسد للود قضية، ما داما سيختاران وقتاً أنسب لمناقشة المشكلة.

إن عدم قدرة الزوجين على الاعتذار لبعضهما بعضاً سببه عدم التدرب على هذا من قبل الوالدين، وعدم معرفة تقنيات الاعتذار مثل: الاعتذار الصريح (آسف سامحني، لم أقصد...) الخ ومثل القيام بتنفيذ شيء يحبه الشريك المعتذر له كالنزهة، أو إهدائه هدية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**تهادوا تحابوا، فإن الهدية تذهب وحر الصدور**» رواه البخاري في الأدب المفرد وحسنه الألباني.

ويجدر بنا أن ننبه إلى أنه لا يجوز أن يعتمد أحد الشريكين على الاعتذار كوسيلة من وسائل الخداع والحيلة للتغطية على أخطائه عند التمادي المتعمد فيها لإعطائها الشرعية المطلوبة، بل المقصود الاعتذار الصادق المصحوب بالندم الواضح، ولا ضير من تكرار الاعتذار ما دام أن الخطأ – غير المتعمد – من طبيعة ابن آدم وهو مكتوب عليه.

١٨. **عدم صبر الزوجين على بعضهما** حتى يتعوّد كل منهما على متطلبات الحياة الزوجية الجديدة، والنسبة الكبيرة في هذا الخطأ تعود إلى والديهما اللذين لم يعوّدا أبناءهم على الصبر والتحمل والتسامح، أو لم يشرحا لأبنائهم بشكل كاف متطلبات حياتهم الزوجية وأعباءها، أو أنهما كانا قدوة سيئة لأبنائهم في هذا المجال، وكمثال على هذه الفكرة: عندما يتحسن أحد الزوجين فإنه إذا لم يلحظ أن الآخر لمس تحسنه فإنه قد يثور ولا يصبر إلى حين يلاحظ شريكه تحسنه ويعامله بالمثل، وفي هذه الحالة يعود الاثنان إلى نقطة الصفر ويُقضى على كل تحسن، وما دام الصبر نافذاً دائماً فالمشكلة ستظل أبداً قائمة.

١٩. **جهل الزوجين بطبيعة الحياة الزوجية** التي من طبيعتها أنها تقوم على الخلافات وأن الاختلاف بينهما بمقدار معين يعد أمراً طبيعياً – بعضهم يقول: إنها ملح الحياة الزوجية – فالذي يحدث أن الزوجة مثلاً تغتر بإقبال زوجها عليها وحبه لها في بداية الزواج، ثم إذا انشغل عنها أو خاصمها تُفاجأ وتصدم بهذا التغير وتنفر منه، حيث تكون ردة فعل بعضهن عنيفة وغير مناسبة، مما يجعل الزوج بدوره يصدم بها فينفر والعكس صحيح، وهذا ما يفسر فشل زواج الكثيرين في بداياته الأولى.

٢٠. **عدم توعية وتهيئة الشاب والفتاة لنظام الزواج المتعدد** الذي حُلل في الشريعة الإسلامية، فالشاب لا يعرف أسباب تحليل التعدد، ويجهل أن التعدد ليس هو الأساس في الإسلام كما يظن بعضهم – وإلا لماذا خلق الله سبحانه وتعالى لآدم حواء واحدة؟ – كما أن رسول الله ﷺ لم يتزوج على خديجة رضي الله عنها حتى ماتت وهو يجهل كذلك أن التعدد ليس هو السبيل الطبيعي إلى التفوق الاجتماعي،

أضف إلى ذلك أنه لا يفقه مفهوم العدل بين الزوجات، فالعدل لا يعني المساواة – بل يظل للمرأة الكبيرة والأولى بعض الامتيازات لاعتبارات عديدة مثل كبر سنها وزيادة عدد أبنائها فهل من العدل أن يساوي الزوج – من ناحية قضاء الوقت – بين زوجة معها ثمانية أبناء وبين زوجة ليس معها أحد أو معها اثنان فقط؟

٢١. **جهل الزوجين بآثار استمرار المشكلات التي لا يحلانها على بقاء الأسرة**، وعدم وعيهما بأثرها على جميع نواحي حياة الأطفال من نفسية وصحية واجتماعية ودراسية، ولهذا نجد غياب مفهوم التضحية في زماننا هذا عند الرجال والنساء على السواء.

٢٢. **الصعوبة التي يجدها الزوجان في التعبير عن إعجابهما أو حبهما لبعضهما بعضاً** بشكل مستمر لأسباب نفسية، فإذا كان الأب أو الأم يجدان صعوبة في قول كلمة أحبك بشكل دائم لأبنائهم فما بالك بما سيجدانه عند قولها لبعضهما.



مشكلات ذات أسباب خارجية:

من خلال دراسة طبقتها على الأزواج السعوديين والسعوديات للتعرف على أسباب الخلافات الزوجية، وجدت أن ٦٥٪ من الزوجات ترى أن تدّخل الغير في الحياة الزوجية هو من أهم أسباب الخلافات، كما أن ما نسبته ٤٥٪ من الأزواج يرون أن تدخل الغير في حياتهما هو من أهم أسباب تلك الخلافات.

وعند تحليل هذه الأسباب سنجد الآتي:

١. **جهل الزوجين وجهل أهلهما بأهداف الزواج السامية**، الذي يتمثل في عدم تقدير كل طرف لأدوار الأطراف الأخرى حق التقدير، مثل عدم تقدير دور زوجة الابن حق التقدير من قبل أهل الزوج خاصة، نتيجة لموروث قديم يكرّس النظرة الدونية للمرأة (يؤمن بأن زوجة الابن ما هي إلا خادمة لجميع أفراد الأسرة) بينما تكافح كثير من النساء لتغيير هذه النظرة، وإقناع أهل الزوج بأن هناك فرقاً بين اعتبارها ابنةً لهم وبين اعتبارها خادمةً أو أمةً.

ومن جهة ثانية يجهل بعض الأزواج دور أهل الطرف الآخر وقيمتهم بالنسبة لشريكه وبالنسبة للأسرة، فأحياناً لا تدرك الزوجة قيمة أم زوجها ولا تستطيع أن تتصور طبيعة الرابطة التي لا تنتهي بين الأم وبين ولدها، فكيف تنتهي لمجرد زواجه واستقلاله في بيت خاص؟! وعندما يعجز الزوج عن إعطاء كل ذي حقٍ حقه وإذا أهمل أو عجز كذلك عن فض الاشتباكات بينهما بشكل نهائي وعادل فإنه في النهاية لابد من سقوط ضحايا يختلفون من أسرة إلى أخرى.

أيضاً هناك صور أخرى لمشكلة عدم تقدير أدوار الآخرين، مثل عدم تقدير الزوج لدور أهل زوجته ومنع بعض الأزواج زوجته من إقامة علاقة طبيعية مع أهلها كزيارتهم واستقبالهم، وصورة أخرى: عدم تقدير أسرتي الزوجين لأهمية تدعيم العلاقة بين بعضهم بعضاً، أو بينهم وبين شريك حياة ابنهم لضمان استمرار حياة الابن والابنة بشكل ناجح، بل إن بعضهم لا يتورع عن اختلاق المشكلات مع الأسرة الأخرى وإقحام الزوجين فيها غير مكترثين بالزوجين وما سيجنيه سوء التفاهم عليهما وعلى أطفالهما، جاهلين أو متجاهلين أن العلاقة الزوجية هي علاقة بين أسرتين وليس فقط بين فردين، وعليهم احترام هذه العلاقة لأجل أسرة هذين الزوجين المقدسة، وفي هذه الحالة يُنصح الزوجان بأن ينأيا بنفسيهما قدر الإمكان عن هذه المشكلات التي لا ناقة لهما فيها ولا جمل.

٢. **مشكلات بسبب النصائح الخاطئة والمستمرة من قبل الآخرين** للزوج والزوجة، خاصة من قبل أولئك الذين ليس لديهم خبرة أو خبرتهم قليلة في الزواج من الأصدقاء الشباب الذين فشلوا في حياتهم الزوجية، مثل العبارة الشهيرة التي تنصح بها النساء عادةً: (عوّديه على كذا وكذا وكذا...) أو (ولدك على ما ربيتيه وزوجك على ما عودتيه)، ونذكر على سبيل الطرفة[١]: أن امرأة سُئلت عن الزوجة المثالية فقالت (هي التي تعرف متى يريد زوجها أن تجبره على عمل شيء رغم إرادته)... فما هي هذه المثالية الخبيثة؟! وهذا عكس ما قاله الحكيم: (المرأة الذكية تثير اهتمام الرجل، والجميلة تأسره ولكن المرأة الرفيقة العطوف هي التي تحصل عليه) وأقول:

---

(١) محمود الإستنابولي – تحفة العروس.

إنها هي الودود التي قال عنها ﷺ: «**تزوجوا الولود الودود فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة**»، والودود هي المحبة لزوجها المتحببة له، كما جاء في لسان العرب لابن منظور، وهي كذلك المرأة الطيبة التي قال عنها سبحانه وتعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦].

وللأسف كذلك يتلقى معظم رجالنا، نصائح (خائبة) من قبيل: (عوّدها على كيت وكيت...) و(لا تعطيها وجه) (لا تجسرها) أو (لا تطمع بك) أو (كلمتك لازم هي اللي تمشي) وكلنا يعرف النصيحة العربية التي يؤمن بها بعضهم وهي: (أن الرجل الذي يريد أن يربي زوجته من البداية يجب أن يقطع رأس القط من أول ليلة في إشارة إلى حث الرجل على استخدام القسوة في معاملة الزوجة).

وبين النصائح المقدمة لهؤلاء وأولئك تصبح الحياة الزوجية بمثابة معركة ضروس الكل يريد أن ينتصر فيها، ميدانها عش الزوجية، وضحاياها هم الأطفال والمتفرجون بقية الناس.

٣. **قيام المجتمع على القبلية المقيتة،** مما يجعل الحراك الاجتماعي – أي التنقل من طبقة إلى أخرى – صعباً ومن ثم يتمسك كل من الزوجين بمكانته ويدافع عنها وكأن لها قيمة أكبر من قيمة شريك حياته وأكبر من مصلحة أبنائه، فيتعالى على الآخر، وربما تعالى الاثنان على بعضهم بعضاً فيأذن هذا بحدوث فجوة بينهما، لذلك ننادي وبقوة بأن يؤمن الجميع بقوله ﷺ: «**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**» و«**أشراف أمتي حملة القرآن**».

٤. **مشكلات يتسبب فيها الحاسدون والحاقدون** الذين لا يخشون الله، وبعضهم يصل فيه الأمر إلى تدبير المكائد، واستخدام السحر، والسعي بين الزوجين بالنميمة لتقويض أمن الأسرة بل والتسلط عليها حتى هدمها.

٥. **مشكلات يتسبب فيها أحد الزوجين عند شكواه للأهل** من الطرف الآخر لأتفه الأسباب.

٦. **مشكلات يسببها شكوى أهل أحد الزوجين لابنهم من الطرف الآخر** سواء بنية حسنة أو غير ذلك، والذي يطلق عليه (التحريش).

٧. **مشكلات بسبب تباين عادات وتقاليد الأسر،** فمثلاً قد لا تعرف الزوجة ماذا يريد أهل الزوج منها، وحينما لا يتم توضيح الأمر لها من قبل الزوج أو أهله، قد يتم افتراض سوء النية لبعض تصرفاتها البريئة، ليأذن هذا بابتداء المشكلات، وبعض عادات وتقاليد أهل الزوج تكون فوق طاقة الزوجة خاصة حين تختلف عن عادات وتقاليد بيئتها.

صاحبة الحق الأعظم:

يجب أن توجه الفتاة المقبلة على الزواج إلى أن عليها أن تعتبر أم زوجها أماً ثانية لها وأن أهله جميعاً هم أهلها هي كذلك.

وعليها أن تعرف جيداً قيمتهم بالنسبة لزوجها، جاء رجل فقال: يا رسول الله: من أبر قال: «**أمك وأباك، وأختك وأخاك، ومولاك الذي يلي ذاك حقاً واجباً، ورحماً موصولة**» رواه أبو داود في السنن.

والوالدان بالذات لهما أعظم الحق، وفي الحديث التالي يتبين عظم هذا الحق:

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: كانت تحتي امرأة، وكنت أحبها، وكان عمر يكرهها فقال لي: طلقها، فأبيت، فأتى عمر رضي الله عنه النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «طلقها» رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح.

فإذا كان رسول الله ﷺ يأمر الابن بأن يطيع أباه حتى لو طلب منه طلاق زوجته، فكيف بصاحبة الحق الأعظم؟! على أن هذا لا يعني أننا نستهين بموقف أب أو أم الزوج إذا ناصبت العداء لكنتها من دون مبرر إلى الحد الذي يجعلها تطلب طلاقها، فمن المؤكد أن عمر رضي الله عنه لم يكن ظالماً لزوجة ابنه.

إن معرفة هذه الحقوق سوف يجعل الفتاة تتحمل الأذى من أهل الزوج وخاصة أمه كما تتحمله من أهلها، وفي الحديث قال ﷺ: «**الذي يخالط الناس ويتحمل أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يتحمل أذاهم**».

فما أجمل أن يتودد كل من الزوجين لأهل الآخر بالدعوات والهدايا والثناء والصلة.

بل وما أجمل أن يتودد أهل الزوج إلى أهل الزوجة في المناسبات على الأقل، وتقديم الهدايا لبعضهم، فإن هذه العلاقة الطيبة سينعكس أثرها على علاقة الزوجين ببعضهما فتزداد العلاقة بينهما قوة ومتانة، وسيجعلهما يحسبان حساباً لبعضهما بعضاً فالزوج مثلاً سيستحي من أهل زوجته وسيحترمها، وهكذا بالنسبة للزوجة.

٨. **مشكلات يسببها أصدقاء السوء** الذين يحاولون الاستهزاء بالرجل الذي يراعي حقوق أهله ويحترم وقت الأسرة ونظامها، خاصة أولئك الذين (يتحدّون) الزوج بأن يتزوج بأخرى أو يسهر للصباح أو يسافر تاركاً الأسرة في الإجازة... الخ.

٩. **مشكلات يسببها التعرض للمؤثرات الخارجية** مثل وسائل الاتصال الهادفة ولكن الهادفة إلى ماذا؟ الهادفة إلى إتعاس المجتمع المسلم السعيد، والتي تؤثر على استقرار الأسرة كنساء الفضائيات السافرات والأفلام السيئة الخبيثة.

١٠. **مشكلات يسببها نظام الحياة المتسارع** الذي لا يكف عن التطور وما يسببه من كثرة أعباء الزوجين وكثرة طلبات الطرفين لبعضهم بعضاً.



دائماً وأبداً: الحل عند الإسلام

قد يتبادر إلى ذهن القارئ سؤال يعقب ما أوردناه عن أسباب الخلافات الزوجية وهو: أَوَ كل هذه المشكلات التي استعرضناها تنتظر أبناءنا عند زواجهم؟!

الجواب: نعم كل تلك المشكلات تنتظرهم إذا ما أهملنا إعدادهم، بل وربما أكثر منها وقد لا تحدث كلها مرة واحدة عند بعضهم، ولكن على كل حال قد يحدث الكثير منها.

إن القضاء على هذه المشكلات والله المستعان يحتاج إلى معادلة صعبة بلا شك، ولا أحد يستطيع تقديم هذه المعادلة غير واحد... إنه الإسلام (صاحب المعادلات الصعبة) وقاهر الصعوبات ومذلل العقبات، فالصعب على غيره أيسر ما يكون عليه.

إن الإسلام ضمن لمن يتمسك بالقرآن الكريم قولاً وعملاً حياة سعيدة ومريحة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧ - ٥٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة: ١٥١].

القرآن العظيم هو خُلق أعظم رجل على الأرض نبينا محمد ﷺ سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خُلقه القرآن»، ولذا فإن الوالدين الذين يحفظّان أبناءهما القرآن الكريم وما يلزم من الحديث الشريف منذ وقت مبكر من حياتهم يعملون خيراً عظيماً لأجل إعدادهم لزواج ناجح؛ بل لحياة ناجحة موفقة في كل شيء، ولو أعدنا استعراض أسباب الخلافات الزوجية لتبين لنا أن هناك قاسماً مشتركاً أعظم بين كل تلك الخلافات وهو: عدم تقوى أحد الزوجين أو كليهما، وهذا عائد عند الكثيرين إلى قصور في التربية التي تلقياها منذ الطفولة، فإقبالهما على لذائذ الحياة الدنيا بكل أنانية مع تناسي كل منهما لحقوق الطرف الآخر دليل على هذا.

فلو اتقى كل واحد منهما ربه حق التقوى لأمكن القضاء بسهولة على هذه الأسباب ولو توكلا على الله حق التوكل بدل قضاء الوقت بإلقاء الاتهامات على بعضهم بعضاً ليل نهار ولو لجآ إلى الله بالدعاء الصادق لنفسيهما ولبعضهم بعضاً ولأسرتيهما بدل الدعاء على بعضهم بعضاً عند أدنى تقصير كما يحدث كثيراً في هذه الأيام، مع أن رسول الله ﷺ نهى عن هذا حيث قال: «**لا تدعوا على أنفسكم ولا على أبنائكم**» لكيلا تكون ساعة إجابة فيستجيب الله سبحانه وتعالى.

إن الكثير من الصفات الخُلقية السيئة ما كانت لتوجد عند الزوجين لو كانا مؤمنين فمتى اجتمع بخلٌ وإيمان في قلب عبدٍ يوماً؟ وهل يمكن أن يتبع المؤمن نزوات عينيه وفرجه كيفما اتفق؟ وهل يُعقل أن يشاهد المؤمن زوجته تعاني الأمرين

من حمل ينوء به كاهلها ثم يدخل إلى المنزل ويخرج كأن الأمر لا يعنيه ومع هذا لا يتورع عن طلبها للفراش بكل صفاقة وإذا ما اشتكت له قال لها (ستلعنك الملائكة حتى تصبحين) متناسياً مساعدتها والتخفيف عنها ولو بأدائه واجباته.

والعكس صحيح فهناك رجال يكدّون ويكدحون من أجل صالح الأسرة بينما نجد الزوجة مرتاحة ونائمة ولا تقوم إلا قبيل حضور زوجها لتستلمه بالطلبات والشكاوي ثم تطلب منه الخروج للتمشية غير عابئة بأنينه وآهاته وحاجاته.

إن المؤمن لا يغتاب ولا يكذب ولا يخون الأمانة، فهو يتقي الله في رعيته، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله ومسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها ومسؤولةٌ عن رعيتها، والخادمُ راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته فكلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته**» متفق عليه.

كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته... المؤمن يؤمن بقوله ﷺ: «**إن لربك عليك حقاً وإن لنفسك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً فآت كل ذي حقٍ حقه**»، المؤمن الذي يعرف أن المرأة لن تستقيم معه على طريقة كما أخبر بهذا الصادق المصدوق ﷺ، لذا فعليه أن يعاملها بالتي هي أحسن وأن يصبر عليها ويسامحها، وأن لا يلجأ لهدم الأسرة لأسباب لا تستحق.

والزوجة المؤمنة لا تتجسس على زوجها لسببين لأن الله حرم التجسس ولأن في هذا إغضاب لزوجها، وسبحان الذي قال: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [البقرة: ١٠١].

والاثنان يؤمنان بقوله ﷺ لعلي وفاطمة عند زواجهما: «**يا فاطمة أكرمي علياً ويا علي لا تغضب**»، وإكرام الزوج أن تدخل السرور عليه، فلا يرى ولا يسمع إلا ما يحب، وعدم الغضب على الزوجة معناه الصبر عليها.

فيجب تربية الأبناء على الهدي النبوي وتثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفسه بحيث يتشربها عظمه ولحمه وعصبه ودمه حتى تنطق بها جوارحه متدفقةً من عقله وقلبه.



دور المدرسة في إعداد الطلاب لأدوار الأسرة في المستقبل:

إن ما يجعلنا نتساءل عن جدوى دور المدرسة في إعداد الطلاب للزواج هو ارتفاع معدلات الطلاق مع ارتفاع نسبة التعليم، حتى أن هناك من ينادي بعدم تعليم البنت وهناك من لا يريد الزوجة المتعلمة.

فهل يُعقل أن يكون التعليم مفسدة للبنات، أم ما هو السر؟

أرى والله أعلم أن هناك قصوراً حاداً وكبيراً جداً في نوع التعليم الخاص بتهيئة البنت والولد للزواج، بل ليس هناك في المناهج مادة تدّرس هذا النوع من التعليم أي: (الإعداد للزواج) أو (التربية الزواجية) أو (التربية الأسرية)... وسمها ما شئت.

فعلى المدرسة مسؤولية كبيرة في تلقين وتدريب النشء على مكارم الأخلاق، وتوجيه كل منهما وتأهيله للدور الذي سيقوم به في المستقبل، فالمدرسة حملت على عاتقها القيام بدورها التقليدي في تلقين التلاميذ القيم التقليدية كالصدق والإخلاص والتضحية بالروح وبالغالي والنفيس من أجل المبادئ والشجاعة والأمانة والصدع بالحق، وهذه المبادئ توجه إلى الفتيان والفتيات بالدرجة نفسها وبالطريقة نفسها، وبغض النظر عن مدى استفادة فلذات الأكباد من هذه القيم، ومدى انعكاسها على سلوكهم، إلا أنها تُقدم للفتى وللفتاة بالطريقة نفسها، وهذا ما يؤهل الفتاة في نظري للوقوف في وجه من شاءت كالزوج في المستقبل لتطالبه بتحقيق هذه القيم بكل شجاعة، فتبدو وكأنها تعانده وتفرض رأيها عليه بالقوة، خاصةً وأنها قد تعلمت أن الإنسان من حقه أن يدافع عن حقوقه بكل شجاعة وقوة، وأشك في أنها قد تعلمت بما يكفي لأن تقوم بواجباتها أولاً وتنتظر حقوقها بكل حلم ورحابة صدر وإيمان بعد ذلك.

لماذا نغرس قيم الشجاعة في نفس الفتاة ثم...

عندما تغرس قيم القوة والشجاعة والصدع بالحق في نفس الفتاة فإنك تهيؤها لكي تفعل ذلك في وجه والدها وإخوتها وزوجها وأهله، فلماذا نغرس فيها هذه القيم دون أن نعلمها فنون استخدامها؟ فهل سيتقبل كل هؤلاء أنثى قوية وصارمة بهذا الشكل، تقف في وجوههم وتلقي انتقاداتها وتوجيهاتها من آن لآخر لأنها تدربت وتشربت هذه الطريقة في المعاملة فأصبحت دافعاً لا شعورياً لسلوكها.



لقد فات مناهجنا أن تدرك أن هناك قيماً خاصة بالفتاة كان يجب التنبه لها وغرسها في نفوس الفتيات بخلاف (وصية أعرابية لابنتها ليلة زفافها)...! فالفتاة المسكينة بحاجة إلى نصيحة حقيقية توجه دوافع سلوكها وتشمل جميع مناشط حياتها ومواقفها، وتلمس التحديات والمصاعب التي ستواجهها حتماً في بيت المستقبل، مع زوج المستقبل وأطفال المستقبل، بل وبيئة المستقبل برمتها.

فهل دُرّست طبيعة الرجل العربي أو سيكولوجيته إذا أردنا استخدام المصطلح النفسي؟

وهل غُرس في نفسها مفاهيم الضبط الانفعالي التي لابد من معرفتها لمقابلة نفسية الرجل العربي – الصعبة – كالصبر والتسامح والاعتذار؟ وهل دُربت عليها بشكل كاف؟

فمتى حُفّظت الطالبة هذا الحديث: «**ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: امرأة ودود ولود إذا غضبت أو أُسيء إليها، أو غضب زوجها، قالت هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمض (أي لا أنام) حتى ترضى**» أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك.

وهل شُرّبت الفتاة أسرار عملية (الاحتواء)؟!

من إيثار وحب وعطاء وفنون كل ذلك؟ وهل عُلّمت الأسلوب الأمثل (للحوار) مثل: متى تتكلم وكيف، ومتى تصمت، ومتى تقترب من الآخر، ومتى يُفضل أن تتركه كما يشاء؟.

وهل دُربت على الأسلوب الصحيح للحصول على ما تريد غير أسلوب (عوّديه) و(طنشيه) و(لا تعطينه وجه) وغيرها من الأساليب المعاصرة والمتجددة التي تتيه مئات الفتيات المسكينات فيها دون جدوى، وقد تفقد إحداهن حياتها؟ وهل صورحت بالفنون الكثيرة التي يمكن أن تختار منها ما يناسب شخصية زوجها بالدرجة الأولى وليس ما يناسبها هي فقط، من أجل أن تكسبه وتشده إلى بيته وأطفاله بدل أن تبعده بأساليبها العشوائية؟

وهل شُرح للفتيان نفسية المرأة ولو لمرة واحدة؟

فمناهجنا تخلو تماماً من هذا الهدف، فمتى درس الفتى سيكولوجية أو نفسية المرأة، وأنها خُلقت من ضلعٍ أعوج؟ متى حُفّظ هذا الحديث: قال رسول الله ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خُلقت من ضلعٍ أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً وكسرها طلاقها**» رواه البخاري، وفي رواية جابر: «**فدارها تعش بها**».

وهل علّم في نفس الوقت أن المرأة أذكى وأقوى مما يتخيل؟!

وهل علّموا كيف يكونون أزواجاً مثاليين، وآباءً صالحين؟!

وهل حُفّظ كليهما مع الشرح والتفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾؟!.

هل شرح لهم أحد يوماً ما (مفهوم المساواة)، وأن المساواة ليس معناها أن يقوم كل منهما بالمهام ذاتها، ولهذا فالمساواة ليست هي المطلوبة، بل المطلوب هو العدل وهو أن يقوم كل منهما بما أوجبه الله عليه نحو الآخر بما يلاءم طبيعته التي جبله الله هو عليها وليس التي جبل عليها الآخر.

هل حُفظّوا في المدرسة يوماً ما قول نبي الهدى ﷺ الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه: «**إنها ستكون بعدي أثرةٌ وأمورٌ تنكرونها؟ قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**» متفق عليه، بحيث يفهم كل من الفتى والفتاة أن كل ما عليه هو أن يؤدي الذي عليه ويسأل الله الذي له في حال وجد عدم تفهم من الطرف الآخر.

إن الأمر ليس بغاية الصعوبة على المسؤولين عن المناهج، لأن شريعتنا الإسلامية الفذة لم تغفل هذا الجانب كما أغفلته مناهجنا التعليمية، فكل ما عليهم هو: أن يبحثوا بها ليجدوا فيها كل ما يجب عليهم أن يفعلوه إزاء هذه المشكلة الكبيرة.

وقد يجد بعضهم أن إطلاع الطلاب على هذه الأمور شيء محرج أو غير جائز أصلاً وأنه إن جاز إطلاع الصغار على هذا فالمدرسة ليست هي المكان المناسب



لذلك كما قيل لي إلا إنني أرى هناك وسائلاً عديدة جداً غير مباشرة يمكن غرس هذه المفاهيم والقيم الأهم في النفوس عن طريقها، مثل التمثيليات التي يمكن أن يقوم بها الطلاب والتي تؤدي إلى تشرب هذه المفاهيم، ويمكن تكليف مؤسسات الإنتاج الفني إنتاج بعض الأفلام سواء الوثائقية أو التمثيلية، وهناك الكتب والقصص التي يدفع الطلاب إلى قراءتها أو كتابتها، وهناك الأعمال الفنية المختلفة التي يشجع الطلاب عل القيام بها بواسطة المسابقات ذات الجوائز المادية والشهادات التقديرية...

وليس شرطاً أن نسأل في المسابقة عن الأمور المحرجة في التمثيلية أو القصة، بل يُكتفى التأكد من أن الطلاب اطلعوا عليها، إلى غير ذلك من الوسائل التي لا شك أن أذهان المبدعين سوف تتفتق عنها بإذن الله، ويمكن وضع خطة خاصة بطلاب الابتدائي وأخرى خاصة بطلاب المتوسط وأخرى للثانوي بحيث تتناسب المفاهيم المقدمة مع سن الطلاب.

ماذا نعلمهم في كل مرحلة؟

مثلاً تعليمهم في مرحلة الابتدائي: تقنيات العلاقات الإنسانية الناجحة – والتي فصّلتها في كتابي الصحة النفسية والعلاقات الإنسانية – ومفاهيم الضبط الانفعالي كالصبر والتسامح والاعتذار، ومفاهيم الاحتواء، وأصول الحوار، بشرط أن يُتابع الطلاب بالتطبيق، أي أن لا يكون التدريس نظرياً فقط بل وعملياً أيضاً.

أما إذا وصلوا إلى المرحلة المتوسطة فيُقدم لهم بالإضافة إلى هذه المفاهيم أسس العلاقة الأسرية الصحيحة، ثم في المرحلة الثانوية يُقدم لهم علاوة على هذه المفاهيم والأسس: الهدف من الزواج وحقيقة دور الأسرة في الحياة، وطريقة اختيار شريك الحياة وأصول العلاقة الزوجية الناجحة، وثقافة الاختلاف، وطرق مواجهة الخلاف، ودور الوالدين في تربية الأطفال بالتفصيل.

ولابد كأساس لهذه الخطة من حصر الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة الخاصة وتوزيعها على المراحل الدراسية بما يلاءم أعمار الطلاب والخطة الموضوعة

لكل مرحلة وتحفيز الطلاب على حفظها مع التفسير من خلال المسابقات والمكافآت المادية والمعنوية كشهادات التقدير كما سبق ذكره.

ويمكن تخصيص مادة باسم (تربية أسرية) تبدأ منذ الصف الرابع وحتى نهاية المرحلة الثانوية تتضمن هذه النصوص الشرعية بالإضافة إلى القصص والروايات والأشعار والحكم التي تتناسب معها، وهنا فقط يمكن إدراج قصائد الحب والغرام التي جرت العادة إيرادها في كتب الأدب على أنها لسان حال كل من مشاعر الزوج والزوجة نحو بعضهم بعضاً، وليس إدراجها مجردةً من هذه الصفة كما هو حادث في الكتب الحالية التي تُدرس للمراهقين والمراهقات بدون أي غضاضة.

وبالتأكيد لابد من الاتفاق مع الوالدين على أسلوب الإعداد الأسري الأمثل لأزواج وزوجات وآباء وأمهات المستقبل، والاستعانة بشتى السبل لتحقيق ذلك، مثل إقامة الندوات والمحاضرات التنويرية.

وإذا رأى المسؤولون أن قيام المدرسة بدورها هذا لم يحن بعد فعلى الوالدين عدم الانتظار والقيام بهذا الدور بالكامل، فالخطة التي اقترحتها في الفقرة السابقة يمكن للوالدين القيام بها بنفسيهما بلا أدنى شك، ويحتاج منهما الأمر إلى الرجوع إلى تلك النصوص الشرعية، وأشير إلى أنني أوردتها على قدر الإمكان في هذا الكتاب.



ثانياً: الخطوات التي يجب على الوالدين اتباعها لإعداد الأبناء للزواج

١. الإعداد للزواج منذ الطفولة المبكرة:

من نافلة القول أن نذكر بأن عملية التربية عملية مستمرة تبدأ من الميلاد وحتى النضج، ومن المعروف أن الإنسان لا يصل إلى سن النضج حتى يصل إلى الأربعين، حتى أن الأنبياء أنفسهم لا يبعثون إلا بعد وصولهم إلى الأربعين، إذا انطلقنا من هنا سنجد أن أبناءنا المراهقين أحوج ما يكونون إلى الإعداد لحياتهم الحقيقية وهي الحياة الزوجية منذ الطفولة المبكرة، وما تدريبنا المستمر لهم على قيم مهمة لحياة

أفضل مثل تعويدنا إياهم على الصدق والإيثار والتعاون والاحترام إلا بداية لإعداد طويل المدى لزواجهم المقبل.

لذا نشدد على ضرورة أن نضع نصب أعيننا الحياة الزوجية التي تنتظر أبناءنا منذ طفولتهم المبكرة.

إن تفهم الوالدين أن معاملتهما لبعضهم بعضاً إنما هي في الحقيقة قدوة حقيقية لأبنائهما، وأنها ستؤثر على سلوكهم بالفعل مدى الحياة، وأن هذه العلاقة بمثابة وضع الطفل والطفلة منذ الصغر في جو يشبه العلاقة المستقبلة بين الذكر والأنثى، ولقد ذكر الإمام الغزالي أن الملاحظة هي أقوى طريقة للاكتساب والتعلم.

إن علينا أن نعمل جاهدين على أن نضع الطفل والطفلة في تجربة مستمرة لما سيكون عليه الوضع فيما بعد، مثل تعويد كل منهما على القيام بدور المستقبل بطريقة مصغّرة مثل أن نعوّد البنت على خدمة أخيها بحب واحترام ونعّود الولد على رعاية أخته برحمة واحترام أيضاً كل يوم، إن عبارات مثل: أخيك متعب اسأليه ماذا يريد أن يأكل، جهزي لأصدقائه القهوة والشاي بسرعة، وعبارات مثل أختك تريد الذهاب إلى السوق أختك مريضة اجلس بجانبها، ناولها الدواء... وما شابه هذا من ألفاظ مع الاهتمام والحزم في تنفيذ هذه الأوامر، والبعد في نفس الوقت عن استخدام ألفاظ تقليدية خاطئة مثل (لا تغلبك البنت) (لا تقعد مع البنت) أو (لا تلعب مع البنات) – مع أن البنات قد يكن أخواته – والتأكيد على الاهتمام بتوجيه الأبناء وحملهم على التسامح مع بعضهم بعضاً حملاً.

وتدريبهم على استخدام تقنيات الاعتذار بكل جدية كما سبق وأشرنا إلى ذلك مع عدم إهمال تدريبهم على حل مشكلاتهم بطريقة علمية صحيحة... إن هذا الميدان التربوي المهم جداً لهو الأجدر بتطبيق تقنيات الثواب والعقاب عليه.

إن تصحيح مثل هذه الأخطاء لهو كفيل بإذن الله بتهيئة كل منهما لاحتواء زوج المستقبل بكل تلقائية.

وإن مما فوّت علينا مثل هذه الأجواء الصحية هو سيطرة الخدم والسائقين على حياتنا بشكل غير منظّم وبكل فوضوية حتى تم قتل معظم إن لم يكن كل المعاني الإنسانية الجميلة والخلاّقة فيها، فأُلغي دور الأم الطبيعي ودور الأب كما عرفناه ودور الابن والابنه ومفهوم الأخوّة وغيرها من المفاهيم التقليدية في حياة الكثير والكثير من أسرنا.

٢. **ويجب أن يعرف أن على الإنسان إذا أراد الزواج أن يحسّن نيته ويجعل هذا** الزواج قربة إلى الله تعالى حتى يبارك الله له ويوفقه كما ذكرنا سابقاً.

٣. وقبل المضي قدماً في مناقشة موضوع الزواج أود التأكيد على ضرورة أن **نُفهم الابن والابنة أن الزواج في الإسلام سنّة** وليس فرض أو واجب، ولذا فالحقيقة أننا لا نعلم هل سيكتب الله لهما الزواج أم لا، فالإنسان خلق من أجل عبادة الله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً.

إن توصيل هذه الفكرة لهم أمر ضروري جداً لحمايتهم من عواقب تأخرهم في الزواج أو حتى عدم زواج بعضهم، ولعل ملاحظتنا لأشرطة الرسائل في القنوات الفضائية وكيف يرجوا الشباب – خاصة الفتيات – المشاهدين الدعاء لهم بالزواج تنبأنا عن عظم هذه المشكلة في نفوس بعضهم، وحلها يتطلب غرس التوكل على الله جل وعلا في نفوسهم، واللجوء إليه ودعائه لأجل الحصول على ما يريد.

٤. **وعلينا البدء بمناقشة موضوع الزواج من آن لآخر** منذ دخول الابن في مرحلة المراهقة، والتعليق على ما نسمع من أخبار تخص هذا الموضوع حتى يكون مهيئاً تماماً عند بلوغه السن المناسبة للزواج، وهذه الخطوة مفيدة للغاية لأن المراهق بطبيعة الحال سيكون سعيداً لمناقشة هذا الموضوع ولذا سيستفيد كثيراً بإذن الله، والسؤال الذي يفرض نفسه الآن، هو: أناقشه حول ماذا؟!

والجواب هو: مستعيناً بعد الله بما سيأتي حتى نهاية هذا الكتاب عليك بما يلي:

أ) **عرّف له الزواج الناجح:** بتحديد الهدف من الزواج بالأدلة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١]، وأن الزواج الناجح يتطلب حسن الاختيار قال ﷺ: «**اظفر بذات الدين تربت يداك**» وقال ﷺ: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**» و«**إذا جاءكم من ترضونه في دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن في الأرض فتنةٌ وفسادٌ عريض**» أخرجه الترمذي وحسنه وابن ماجه واللفظ له، وقوله: «**خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك**».

- الحب وحده لا يكفي:

إذا ربيناه على الهدي النبوي فإننا سنضمن عدم تورط المراهق أو المراهقة في علاقة حب ليقولا لنا يوماً «ما أريد أن أتزوج فلان ولن أرضى بغيره»، وحتى لو حدث هذا إن مجرد استعراض المشكلات التي تحدث نتيجة اختلافات معينة بين الزوجين لهي كفيلة بإذن الله بتخليصه من هذه الفكرة وإقناعه بإن الحب وحده لا يكفي، وهذه الحقيقة هي التي يجب أن يعرفها الزوجان اللذان بدآ حياتهما بالحب كذلك لكي لا يعتمدا على هذا الحب ويظنا أن الحب وحده كفيل بإبقاء زواجهما صامداً.

وعليهما أن لا ينسيا أن هناك شيء اسمه (الشيطان) وأن أعظم مهمة لديه هي تدمير هذا الزواج وتشتيت الأسرة فعليهما أن يسعيا للحفاظ على هذا الحب وبذل الغالي والنفيس بالسعي لإفشال مخططات الشيطان وتقويض جهوده الجبارة لأن الحب نعمة آتاهما الله إياها لكي يستخدماها كسلاح ماضٍ في وجه الشيطان وليس هو السلاح الوحيد وضّح له دوره المطلوب منه كزوج بناءً على ما جاء في القرآن والسنة قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء: ٣٤]، وكلمة قوّام معناها[1] الذي يقوم على الشيء رعايةً وحمايةً وإصلاحاً.

وقوله تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: أي بما جعل الرجل أكمل في عقله ودينه وبدنه فصلح للقوامة، إذاً درجة القوامة تكليف (بالمسؤولية) وليست تشريف كما يظن بعضهم، وقال تعالى كذلك: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]، كما قال عن إسماعيل عليه السلام ضاربا به المثل الطيب لرب الأسرة حيث قال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم: ٥٥]، ولذلك فإنك لن تزوجه كي تقوم عليه الزوجة بل كي يقوم هو عليها.أما إذا كانت فتاة فاشرح لها حقها وواجبها كذلك بالأدلة قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وهذا يعني أن عليها واجبات ولها حقوق مثلما أن عليه واجبات وله حقوق، أو بمعنى آخر فإن الشيء الذي تحب أن يفعله لها فإنه يحب أن تفعله له كذلك.

هذه هي المساواة الإسلامية، هذا هو العدل الإلهي في مجال الحياة الزوجية ليس إلا، وسيأتي بيان هذه الواجبات والحقوق لاحقاً بإذن الله.

وقال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، والتفكير بهذا الإمساك أو التسريح المفروض أن يأتي بعد معرفة كل منهما لواجباته وثم حقوقه.

وللتأكيد على هذه النقطة يجب أن تعلمه واجباته أكثر من تركيزك على تعريفه بحقوقه، ويعجبني في هذا المجال أن مفهوم الحقوق في الإسلام ليس منفصلاً عن مفهوم الواجبات مثلما عند المجتمعات الغربية حيث جاءوا بمفهوم حقوق المرأة وحقوق الإنسان، وحقوق العمال وغيرها، بل أن الإسلام يدعو الإنسان إلى أدائه واجباته قبل أن يذّكره بحقوقه، كما سبق ذكره في قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ وعلى هذا الأساس يجب أن ينطلق تأصيلنا لحقوق الزوجين

(١) أبي بكر الجزائري – أيسر التفاسير – المجلد الأول – ص٤٧٢.

وواجباتهما، فعلى كل منهما أن يتأكد من أدائه لواجباته، ولا يسأل الآخر حقوقه إلا بالتي هي أحسن وإذا لم تجدي التي هي أحسن فعليه أن يسأل الله تعالى هذه الحقوق.

فالأصل في الإسلام إذاً: عدم الانشغال بمطالبتنا بحقوقنا لأن الانشغال بالحقوق سوف يشغلنا عن أداء الواجبات وبالتالي سنحرم مما نستحق. أكد عليه أنه لو (قام كل بواجباته فسيحصل الجميع على حقوقهم).

ب) **اشرح له كل ما يتعلق بأحكام الزواج في الإسلام** حتى أحكام المولود ومعالجة الخلافات والطلاق... ومن المؤكد أن الكتب الفقهية ضرورية جداً لتوعيته والتي يجب أن يتأكد الوالدان أن ابنهما قد اطّلع عليها واستوعبها كما ذكرنا ذلك عند حديثنا عن التربية الجنسية، ويحضرني الآن كتاب تحفة العروس لمحمود الإستانبولي ككتاب مناسب جداً لتوعية الأبناء المقبلين على الزواج، وكتاب (الوصايا القيمة لكل فتاة مؤمنة لمحمد خير فاطمة) هناك أشرطة إسلامية كثيرة، اطلعت منها على أشرطة الشيخ إبراهيم الدويش (السحر الحلال، بحر الحب) حيث يقدمها الشيخ بأسلوبه الشيّق الجذاب، هناك أشرطة الدكتور محمد الثويني التي أطلق عليها (سلسلة الأسرة السعيدة) هناك مجلات مهتمة بالأسرة وهي جادة مثل(مجلة الفرحة)، (مجلة الأسرة)... إلخ.

ج) **قدم له نماذجاً من الزواج الناجح في الإسلام**، وأولها زواج رسول الله ﷺ الذي اعترف بحبه لزوجته عائشة رضي الله عنها على الملأ، وكأنه يعتز بهذا الحب، وافتخرت هي بأشياء كثيرة في علاقتها معه مثل افتخارها بأنه مات بين سحرها ونحرها ﷺ، وأمثلة لزواج بعض الصحابة والتابعين الناجحة، وقد قمت في نهاية هذا الفصل بتطبيق الإطار النظري هذا على زواج رسول الله ﷺ، ثم على زواج أحد الصالحين.

د) **عظه وأكد عليه بضرورة تقوى الله سبحانه وتعالى**، وأن الظلم ظلمات يوم القيامة، قال تعالى في الحديث القدسي، من حديث أبي ذر عن رسول الله ﷺ

«حرمت الظلم على نفسي، وحرمته على عبادي فلا تظالموا: كل بني آدم يخطئ بالليل والنهار ثم يستغفرني فأغفر له ولا أبالي» حديث صحيح أخرجه الطيالسي في مسنده.

ه) **اشرح له طبيعة الطرف الآخر**، والغريزة الفطرية عنده وما يتمنى أن يحققه له زوجه، وأنه ليس هناك إنسان كامل حتى ولا هو، فعليه تقبل عيوب وأخطاء الطرف الآخر كي يتقبل الطرف الآخر أخطاءه وعيوبه.

و) **تعرف على المواصفات التي يفضلها في زوج المستقبل** سواء الشكلية أو الخلقية وما الذي يأمله منه لتساعده على التوفيق بين الخيال والواقع.

لا شك أنك تعرف شخصيته، ولكن حددها بدقة أكبر لتعرف من يصلح له، ومن لا يصلح، فإذا كان يميل إلى الشخصية المثالية لن تصلح له إنسانة تميل إلى الاستهتار والعكس صحيح.وإذا كان مزاج ابنك صعباً فابتعد عن الأقارب، وكذلك بطبيعة الحال أنت ستبتعد عن الأقارب إذا كان الأقارب متقلبي المزاج تجنباً للمشكلات.وضح له على حسب ما لديك من معلومات عن شخصيته وما يناسبه، لتقاربا بين وجهتي نظركما اطلب منه أن يغيّر بعض قناعاته فيما لو اختلفتما حول هذه القناعات، مثلاً كونه يضع الجمال أولاً والأخلاق ثانياً، حاوره...اتركه يفكر فترة من الزمن، وخلال هذه الفترة قم بما يلي:

- وفّر له كتباً ودراساتٍ علمية وقصصاً تقنعه بوجهة النظر الواقعية والمطلوبة
- اذكر له من واقع خبرتك تجارب تثبت وجهة النظر المطلوبة - حاول أن تفتح موضوع النقاش هذا مع أصدقاء وأقارب تثق بحكمتهم ليساعدوك على إقناعه بطريقة غير مباشرة أقنعه بأن الحياة الزوجية السعيدة تقوم على شرطين:

أولاً: أن يكون الهدف من تكوين الأسرة هو رضا الله سبحانه وتعالى، وأن يعلم أن هناك نوعان من الصفات موجودة عند كل زوجين:

النوع الأول: صفات يجب أن يكونا متشابهين فيها مثل الاتجاه الديني، والتكافؤ الاجتماعي، والمادي أحياناً وليس دائماً، والعقلي، والخُلقي والخلقي.

النوع الثاني: صفات لا يشترط أن يتشابها فيها، ولكن لابد أن يتفقا على أن يسايرا بعضهما حتى لا تكون سبباً لخلافات تنشأ بينهما، وعليهما التفاهم حول تقريب وجهات نظرهما مثل رغبات الطعام والهوايات وطريقة كل منهما في تكوين العلاقات الخارجية.

أما في حال إصراره على وجهة نظر غير سليمة، والتي من المتوقع أن تؤدي بكل تأكيد إلى فشل حياته الزوجية، صارحه عند ذلك بأنه حالياً لا يصلح للزواج نتيجة أفكاره هذه وأنك تخشى أن يفشل، ثم دعه حتى إشعار آخر (إلى أن يغير وجهة نظره هذه).



خطوات اختيار الشريك:

١. كيف يختار الشاب فتاته:

قال ﷺ: «**تزوجوا الولود الودود فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة**»، وقال ﷺ: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وما لها**» رواه البخاري.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره، ويحصّن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها، وبارك لها فيه**» أخرجه الطبراني في الأوسط، وقال ﷺ: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**».

إذاً يتضح من الأحاديث السابقة أن الهدف الأساسي من الزواج ليس هو التمتع بلذائذ الحياة الدنيا بل الهدف هو غض البصر وإحصان الفرج، وصلة الرحم، واختيار الأب الصالح والأم الصالحة للأبناء.

وهكذا يضع رسول الله ﷺ للشاب أسس اختيار الزوجة المناسبة التي يجب أن يتأكد بالتقصي والتحري المتأني عن توافر هذه الصفات فيها، ثم يأتي الجمال آخيراً وليس أولاً كما يحدث الآن.

٢. كيف تختار الفتاة زوجها:

والفقرة التالية استقيتها من كتاب محمد خير فاطمة سالف الذكر: كما قلنا يجب توافر العقيدة الصحيحة وحسن الخلق قال ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض**» أخرجه الترمذي، وابن ماجه واللفظ له.

قال ابن قيم الجوزية: «الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين»[1].

جاء رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال: خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها؟ قال: «زوجها من التقي (أي صاحب الخلق) فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها».

وعلينا أن نسأل عن ما يلي:

كيف معاملته لوالديه وإخوته وأقاربه؟ هل هو غضوب، بخيل، حسود، كذوب شرس الطباع، بذيء اللسان، مغتاب، نمام، منافق في أعماله، فاسق في تصرفاته، مهمل لواجباته، لا يحب عمله، ولا يسعى لرزقه، غير محبوب وغير مطلوب، أم هو هين لين في طباعه، ودود سخي في معاملاته، محب للآخرين، محافظ على أمر دينه في كل مجالاته مبتسم راض قانع، مهتم بعمله، مسرع نحو جلب رزقه، محبوب مطلوب من أترابه، بار بوالديه، متعاون مع أفراد أسرته، يحب الجميع ويحبونه.

كيف نتعرف على هذه الحقائق؟

إن الأمر يحتاج إلى البحث والاستقصاء، ويجب أن يتحمل ولي أمر الفتاة وأهلها عناء هذا البحث حتى تتمكن من إنجاب أبناءً يساعدها على تربيتهم بصفته أباً صالحاً ولكي تعيش باقي عمرها في راحة وسعادة وبالتالي يعيشون هم كذلك في

---

(١) محمد خير فاطمة – الوصايا القيمة – ص ٦٠.



راحة وسعادة أما إذا تكاسلوا عن البحث فربما زوجوها زوجاً سيئاً تكون نتائجه طامة عليها وعلى أبنائها وعلى أهلها العمر كله.

جاء رجل إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يريد أن يتزوج، فسأل سيدنا عمر عمن يعرف الرجل، فقام رجل ليعرّفه، فسأله عمر: هل أنت جاره الذي يعرف مداخله ومخارجه؟ فأجاب الرجل: لا، قال عمر: هل صاحبته في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق؟ فأجاب: لا، قال عمر: هل عاملته بالدرهم والدينار الذي يعرف به ورع الرجل؟ فأجاب الرجل: لا، فصاح به عمر: لعلك رأيته قائماً قاعداً يصلي في المسجد؟ فرد الرجل بالإيجاب، فقال له عمر: اذهب فإنك لا تعرفه، والتفت إلى الرجل الأول وقال له: ائتني بمن يعرفك.

وأرى أن هناك طرقاً عديدة لمعرفة الرجل مثل أن نسأل عنه في مكان عمله، بدءاً بالمدير إلى الفراش مروراً بالزملاء، كما نسأل عنه المتعاملين معه مادياً خاصة إذا كان تاجر أو يعمل كبائع، نسأل أرحام الأهل، وممكن أن نجري امتحان للرجل بالتعامل معه مادياً لنرى أمانته، ففي الحديث يقول ﷺ: «**الصدقة برهان**» أي دليل على الإيمان والتقوى، هذا يعني أن المال – بذله أو إمساكه – يمكن أن يكون دليلاً على صلاح الرجل أو فساده.

وقد مر معنا كيف امتحن زيد بن سعنه رضي الله عنه رسول الله ﷺ لمعرفة مدى حلمه بأن استفزه في قضية مالية ليعرف هل هو نبي أم لا، ولكن رسول الله ﷺ لم يغضب فعرف أنه رسول الله، وهكذا يمكن أن يمتحن حلم الرجل بخطه معينه يمكن أن يستفز عن طريقها – ولكن ليس استفزازاً يمكن أن يؤدي إلى مشكلة كبيرة – وكذلك تُمتحن أمانته بالتعامل المادي معه، يُمتحن كرمه، يُمتحن صدقه وكل ذلك يمكن أن يكون من خلال عقد صداقة معه، ويمكن أن يكون الامتحان بأن نسأل عن أمانته رجلاً أجرى معه معاملة مادية.

سمعت عن رجل أخذ إجازة من عمله، وسافر ليبحث عن المتقدم لأخته جزى الله هذا الرجل كل خير ومن عمل مثله.

وقالت لي إحدى الصديقات: أن أبي زوجنا أنا وأخواتي رجالاً صالحين، فُوفقنا في الزواج جميعنا بحمد الله، فقد كان أبي يعرف الرجال، ويعرف كيف يبحث عنهم، ولكن عندما مات رحمه الله، تزوجت أخواتي اللاتي من بعدنا رجالاً سيئين، ففشلن جميعاً في الزواج، لأن أحداً لم يكلف نفسه عناء البحث عن المتقدمين لهن.

الزواج بنية الكسر:

يجب التأكد بالنسبة للبنت أن الذي خطبها جاد ولن يتزوجها بنية الطلاق – حيث أفتى بعض العلماء – وهم قليل جداً بحمد الله (بجواز الزواج بنية الطلاق بشرط عدم معرفة الزوجة وأهلها بهذه النية) والذين قوبلوا برفض هذه الفتوى من قبل بعض المشائخ في هيئة كبار العلماء، لأن من شروط الزواج الديمومة والاستمرار، ويرى بعض العلماء أنه حتى لو كان لهذه الفتوى وجوداً في عصور سابقة، إلا أنها غير صالحة للتطبيق في عصرنا هذا، ومما يؤسف له أن كتاب الفقه المقرر على طلاب وطالبات الصف الثالث الثانوي في المملكة العربية السعودية للعام الدراسي (١٤٢٨، ١٤٢٩هـ) يقرر في الصفحة رقم (٤٨) في السطر الرابع أن الزواج بنية الطلاق غير حرام، حيث كُتب بالحرف الواحد: (لا تضر نية الطلاق)، وأتساءل باستغراب (لا تضر من؟!) الزوجة أم الأبناء؟!.

إن هذا يعني أيها القارئ الكريم وأيتها القارئة العزيزة أنه لو خطب ابنتكما رجل وتبين لكما أنه يريد أن يتزوجها بنية الطلاق فعليكما القبول لأن (نية الطلاق لا تضر)!!

... لا تعليق حيث أترك التعليق لكم.

قال ﷺ: «**ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرُجعة**» فإذا نوى الطلاق فهذا يعني أن المرأة طالق فكيف يدخل بها وهي طالق، هل يصلح أن ينوي المرء الزواج والطلاق مرة واحدة؟! فهذا ما لم يفعله رسول الله ﷺ ولم يفعله أصحابه والله أعلم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ

﴿أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، إذاً الله سبحانه يحذر من النية الفاسدة هذه لقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾.

كما أنه إذا صرّح لها أو لوليها بنيته للطلاق استنكروه واعتبروه أمراً فاحشاً ورفضوه، فكيف لو أخفى نيته، فإنه يصير في عرف الشرع منافقاً وهو أشد قبحاً، لأن معنى النفاق هو: أن يظهر غير ما يبطن، كما أن رسول الله ﷺ قال: «**لعن الله المحلل والمحلل له**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح، فرسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له لا لشيء إلا لأنه زواج بنية الطلاق، وقال أيضاً: «**لا ضرر ولا ضرار**».

إنني أناشد من خلال هذا الكتاب المسؤولين عن المناهج سرعة تغيير هذه الفتوى (الفتنة) التي هي في الحقيقة باباً لفتنة وفساد عريض، ويكفي لإثبات أن هذه الفتوى فتنة، قول رسول الله ﷺ: «**إنك ما حدثت الناس بأمرٍ لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنةً لهم**» أو كما قال ﷺ، فكيف توضع هذه الفتوى في كتاب مدرسي؟!.

وأخيراً أود أن أذكر استنكار فضيلة الشيخ عبدالرحمن المحرج حفظه الله لهذه الفتوى حيث قال في إحدى محاضراته مستنكراً: أزواجٌ بنية الكسر؟!.

ولتجنب التورط مع خاطب (ثعلبان) ما جاء إلا ناوياً للطلاق أقترح أن نجعل الرجل يقسم أنه خطبها بنية الزواج الذي أمر به ربنا سبحانه وتعالى وليس بنية الطلاق ولكن بهدف إنجاب الأبناء والتعاون على تربيتهم وتحمل أمانة هذا بالتفاهم وبالاتفاق مع أمهم أي زوجته، والقيام بمسؤولياته كاملة كما أوجبها ربنا سبحانه وتعالى وفق طاقته المادية والجسدية طول العمر، وأنه لن يلجأ إلى السحرة والكهنة في يوم من الأيام، وأن عليه غضب الله لو لجأ لهذا – وذلك لانتشار ظاهرة اللجوء إلى الكهنة والسحرة هذه الأيام.

وقبل أن يُطلب منه القسم يجب أن يُقدم له كتيب يبين له واجباته وحقوقه حتى يعرف على ماذا يقسم، وكذلك لا تقسم البنت إلا بعد أن يقدم لها هذا الكتيب.

إنني لا أعتبر هذا القسم بدعة في الدين، بسبب انتشار فساد النية بين المتقدمين للزواج، فإن هذا القسم سيؤدي إلى أن يفكر الرجل جيداً قبل خطبة البنت، وسيعيد عقول كثير من الرجال إلى رؤوسهم بحول الله وقوته.

فإذا كان المتقدمون لبعض أعمال الدولة يقسمون على القرآن الكريم بالله العظيم إنهم سيكونون أمناء على عملهم، فمن باب أولى أن يقسم الزوجان على هذا لأن الأسرة هي أقدس شيء في الوجود، حيث سمى الله سبحانه الزواج (ميثاقاً غليظا) ولم يسم أي ميثاق سواه مهما كان بهذا الاسم.

عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج**» رواه النسائي، فكيف بعد هذا الحديث يأتي من يحلل الزواج بنية الطلاق؟! بل ويضع هذا الرأي في كتاب مدرسي؟!



خطوات ما بعد اختيار الشريك:

وبعد أن يكون الفتى أو (الفتاة) قد استقر رأيه على اختيار هذا الشريك، بعد أن رأى كل منهما الآخر النظرة الشرعية، تبدأ خطوات جديدة لإعداده لمسؤولياته الزوجية وتدريبه عليها وهذا يحتاج إلى أمرين:

الأمر الأول: تعرّف الخطيبان على بعضهم بعضاً أكثر، ومحاولة أن يعرف كل منهما رغبات الآخر وإمكانياته وقدراته وكيف سيقيمان منزلهما بالتشاور والاتفاق وكيف سيقضيان الأيام الأولى من الزواج بحيث يؤسسا حياتهما على أسسٍ ناجحة منذ البداية أسسٌ قائمة على التشاور والتوافق واحترام ظروف ورغبات الآخر... بطريقة لا تتعارض مع مبادئ ديننا الإسلامي الكامل.

وأرى أن هذه الخطوة يجب أن لا تطول، ويجب أن تكون من خلال الهاتف، بعد ثلاث مكالمات كحد أقصى.

كما أرى أن على الوالدين أن يخبرا الزوج بأي صعوبة يمكن أن يواجهها مع البنت والعكس، مثل أن يشرحا له أن هذه البنت لم تعتد على العمل المنزلي بما أنها

اعتادت على الخدم كمعظم بناتنا، لذا يُنصح بالصبر عليها ومساعدتها بدل نقدها المستمر وتحطيمها والذي ربما انتهى إلى فشل الزواج، عليه أن يقدّر أن البلوى قد عمت بالخدم، وأن معظم البنات المقبلات على الزواج لا يعرفن كيف يقمن بمعظم الأعمال المنزلية لهذا السبب، علينا أن نذكّره بأن ليس هناك أحد كامل.

الأمر الثاني: تدريب الشاب والفتاة على المسؤوليات الأسرية، فالبنت تدرب على شغل البيت، إذا أن لفت انتباه زوج المستقبل إلى وجود هذا العيب فيها لا يعني أن يهمل الوالدان تدريب ابنتهما على الواجبات المنزلية، وهذا ينطبق على الشاب المقبل على الزواج كذلك الذي يجب أن يُدرب على شؤون المنزل الخاصة به، مثل إصلاح الأعطاب وإحضار الطلبات... الخ.

إن عدم القيام بتدريب الشاب والشابة منذ طفولتهما على القيام بمسؤوليات معينة نحو أسرتهما الجديدة سيجعل ضرورة أخذ هذا التدريب بجدية متناهية أمراً في غاية الأهمية للإعداد للزواج، مثل تدريب الشاب على قضاء حاجات أفراد الأسرة في الوقت المناسب بالطريقة المناسبة، تدريب الفتاة على أعمال المنزل وتقديم الخدمة لأفراد الأسرة خاصة الذكور، وتدريبها على الاستجابة لطلباتهم بنفس طيبة (أي وضع كل منهما في الدور المقبل بشكل افتراضي)، وربما ساعد على هذا الاستغناء ولو بشكل مؤقت عن السائق والخادمة ليضطرا إلى القيام بهذه الأعمال، ولا بأس من توضيح هذه النية لهما، لأنه سيكون من السهل أن نجد تجاوباً منهما بسبب سعادتهما بما يقومان به للاستعداد لحياتهما الزوجية المقبلة.

أيها الإخوة والأخوات... أناشدكم أن تأخذوا هذه النصيحة مأخذ الجدية الكاملة لأن أبناءنا بحاجة جادة وحقيقية إلى هذا الإعداد، وإليكم بعض نماذج عرائس هذه الأيام:

يُقال أن رجلاً طلب من عروسه إعداد طعام الغداء، فلما قدمت له الغداء،، طلقها على الفور، لماذا!... لأنها طبخت الدجاجة بكيسها وقدمتها له بالكيس كذلك.

وقد أطلقت على هذا النموذج اسم (نموذج الكسلانة)، لأنها كسلت عن أن تتعلم أبسط واجباتها.

رجل تزوج بفتاة فطلبت منه لعبة عبارة عن (بيت متاهة) فاشتراها لها، ثم طلبت منه أرجوحة فاشتراها لها، ثم طلبت منه (زحليقة) فطلقها واستراح، وهذه أطلقت عليها اسم (نموذج الدلوعة).

وهناك نموذج (المطيورة) وهي التي لا يقر لها قرار في المنزل، وكل همها الخروج وحضور الحفلات، والتمشيات والأكل في المطاعم، ويمكن أن يُطلق عليها بالعامية اسم (القلّودة) وبالفصحى: (المقلدة) لأن من أهم سماتها التقليد الذي تجيده تماماً.

وهناك نموذج (المنتفخة) وهي التي جل همها المظاهر، والموضة، تريد أغلى مهر، وأحسن شهر عسل، وأفخم قاعة أعراس... إلخ، ثم لا جزاءً ولا شكوراً، وهي تتفق مع المقلدة بسمة التقليد إلا أن هذا النموذج يغلب عليه التكبر بينما النموذج السابق يغلب عليه الخفة.

أما بالنسبة لنماذج عرسان هذا الزمان، فهناك نموذج منتشر ومعروف، وهو الشاب الذي يهدف إلى الزواج من موظفة لا لشيء إلا لكي تنفق عليه، ونحن ضد هذا النوع من العرسان إذا كان قادراً على السعي، ولكنه يؤثر الراحة ملقياً بالعبء كله على زوجته، وإذا كان يدّخر ماله لمصالحه هو وحده دون زوجته وهذا النموذج أطلقت عليه: (نموذج اللئيم).

هناك نموذج (المستهتر) وهو الذي ينفق على أسرته ولكنه مقابل هذا ينصرف عنها منغمساً في ملذاته وفي سفرياته، معتبراً أن هذا الانغماس من حقه لأنه يعتبره أجرة أو مكافأة – يكافئ نفسه بنفسه – للذي قدمه لعائلته، وهذا النوع غالباً ما يلبث أن يتزوج بأخرى أو يظل يهذي بالزواج، وإذا تزوج غالباً ما يعض أصابع الندم، وتذهب السكرة وتأتي الفكرة عاجلاً أو آجلاً، لأنه كما يقولون تزوج (فسقاً).

وبالإضافة إلى هذين الصنفين هناك الذين يلجأون إلى أنواع الزواج السابق ذكرها كالمسيار، وزواج الفرند وزواج المتعة، والزواج بنية الطلاق وغيره ما يكفي وزيادة وهؤلاء يستحقون أن يُطلق عليهم: (نماذج الأنذال).

وكما كان يفعل الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله أقول: كمّلوا هذه النماذج من عندكم فهو مجتمعكم، وهو لا يخفى عليكم.

وعوداً على بدء: مما ننصح به كذلك: أن يُدرب كل منهما على القيام بعمل الآخر حتى يقدّر كل منهما المجهود الذي يبذله الآخر فيما بعد مثلاً يطلب من الشاب القيام بالأعمال المنزلية لأنه عندما يتعرف على المجهود الذي تقوم به المرأة والتعب الذي تلقاه بسبب شغل البيت والعناية بالأبناء، سوف يصبح أقل عصبية وغضب عندما تقصّر زوجته يوماً ما في عمل ما، لإدراكه للعبء الكبير الواقع عليها خاصة إذا علم أن الدراسات العلمية صنفت الأعمال المنزلية على رأس أشق الأعمال وإذا ما أبدى الشاب امتعاضاً أو رفضاً للقيام بهذا العمل يُقال له أنه لا زواج إلا بعد المرور على كل الأعمال المنزلية مثلما يفعل الموظف عندما يتدرج من أبسط الأعمال ليصل بالتدريج إلى منصب المدير أو الوزير في أحدث الدوائر الحكومية الناجحة في العالم، والذي يُعد هذا التدرج أحد أهم أسباب نجاحها، فالمدير الذي يعرف أدق التفاصيل في إدارته لهو أدعى إلى أن يكون مديراً ناجحاً بكل المقاييس، ونستطيع إقناع الشاب بهذا إذا دفعناه إلى تنظيف حجرته وحمّامه على الأقل.

وبالمقابل يجب أن يشرح الوالد للفتاة العبء والصعوبات التي يلاقيها الرجل وهو يعمل في الخارج من أجل توفير لقمة العيش وضروريات الحياة لأسرته بطريقة واضحة وصريحة، ويبين لها واجبها نحو هذا الزوج الذي يكد ويتعب من أجل راحتها وسعادتها هي وأبنائها، وإن مما سيساعد على هذا بشكل كبير تقديم الكتب والأشرطة التي تنصح وتوجه الزوجان خير توجيه.

المهر:

عن صفوان بن سليم عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من يمن المرأة أن تتيسر خطبتها وأن يتيسر صداقها وأن يتيسر رحمها**» قال عروة يعني يتيسر رحمها للولادة قال عروة وأنا أقول من عندي من أول شؤمها أن يكثر صداقها. سنن النسائي.

وعن ابن سيرين عن أبي العجفاء السلمي قال: سمعت عمر بن الخطاب يخطب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ألا لا تغالوا في صداق النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها رسول الله ﷺ ما أصدق امرأة من نسائه ولا أصدقت امرأة من بناته فوق ثنتي عشرة أوقية الا وان أحدكم ليغالي بصداق امرأته حتى يبقى لها في نفسه عداوة حتى يقول كلفت لك علق القربة أو عرق القربة) سنن الدارمي.

الجهاز:

عن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: جّهز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل وقربة ووسادة حشوها إذخر. سنن النسائي. وفي رواية أنه جهزها (بالطيب) بالإضافة إلى ذلك.

الفرش:

عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال: «**فراش للرجل وفراش لأهله والثالث للضيف والرابع للشيطان**» سنن النسائي.

كان علينا أن نذكر الأحاديث السابقة ليتذكر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، لنعلم أن معظم الخلافات الزوجية وكثير من أسباب الطلاق خاصة الذي يحدث في بداية الزواج (٨٠٪) منه عائد إلى التنافس على المظاهر، قال) ﷺ والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم) رواه البخاري، فلذا يجب أن توعّى الأمهات والبنات خاصة وأن يلفت نظرهن إلى هذا، وأنا بهذه الفقرة أبلّغ طلب رسول الله ﷺ الذي قال: «**نضّر الله امرأً سمع مني مقالة فوعاها وبلغها إلى من لم يسمعها فرب مبلّغ أوعى من سامع**» ثم إني أبلّغ طلب الشيخ عبدالرحمن المحرج حفظه الله الذي طلب في إحدى محاضراته ممن يسمع منه أن يبلغ هذا النداء إلى الأمهات خاصة.



نصائح الأيام الأخيرة:

عندما يقترب موعد الزواج يُنصح بتقديم نصائح رسول الله ﷺ لكل منهما، وفي هذا الخصوص أعجبتني محاضرة للشيخ سعيد بن مسفر نصح فيها الزوجين بما يلي:

أ) **الزواج رزق**، وعلى كل واحد أن يرضى بما رزقه الله، وقد ذكر الشيخ سعيد بن مسفر في محاضرة له قصة امرأة رزقها الله سبحانه وتعالى زوجاً طيباً يدللها وينفّذ طلباتها فزادت في دلالها، وازدادت طلباتها بدون وجه حق، وبدل أن تشكر الله على النعمة بصيانتها، إذا بها تزداد استهتاراً وغروراً، فلم تجدي معها كل الوسائل الطيبة التي استخدمها الرجل الطيب، ولم يكن أمامه من حل سوى الطلاق، فطلقها فبقيت في بيت أهلها حتى تزوجها رجل آخر، وأصبح يسومها سوء العذاب، فندمت بعد أن أيقنت أن الله ينتقم للأول.

ب) **اعتماد الحوار والتفاهم والاحترام المتبادل**، فعلى الرجل أن يناقشها بالدليل بالمنطق بالعقل، لا أن يصادر رأي امرأته، وسيحترمها أكثر إذا ثقّف نفسه وقرأ عن تاريخ المرأة المسلمة وإنجازاتها، وليعلم أن أول قلب دخله الإيمان قلب امرأة هي خديجة وأن أول دم أريق في سبيل الله هو دم امرأة: هي سمية ومن احترام رأيها مشاورتها في شؤون الأبناء وشؤون المنزل مثلاً: إذا أراد استئجار شقة فيجب أن يأخذ رأيها لأنها ستمكث فيها أكثر من الرجل، إذا أراد تزويج أحد الأبناء فيجب مشاورتها والأخذ برأيها إن كان صائباً، قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

وعلينا أن نعلم أن كراهية الزوجة لا يبيح للزوج الاستهتار بمشاعرها أو الإساءة إليها ومصادرة رأيها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال ﷺ: «**لايفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر**» رواه مسلم، يفرك: يبغض.

ج) **إباحة الكذب بين الزوجين في حدود الحاجة إلى زيادة الرابطة فقط**، عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً**» متفقٌ عليه، وفي رواية مسلم زيادة، قالت: ولم أسمعه يرخّص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث، تعني: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

د) **استخدام أسلوب التهيئة النفسية**: نعيد ما سبق وقلناه عند حديثنا عن ضبط المراهق لأنه ملائم هنا أيضاً، فعندما يحتاج أحد الزوجين من الآخر حاجة ما، فمن الحكمة أن يطلب منه ما يريد قبل الوقت المخصص للتنفيذ بوقت كاف خاصة إذا كان الطلب يتطلب جهداً ووقتاً، وكلما كان الطلب قبل بيوم على الأقل كلما كان أفضل، لأن من الصعوبة على أي إنسان أن يتجاوب مع طلب مفاجئ قد يحرمه الراحة التي هو فيها أو قد يقطع عليه عملاً كان يقوم به أو تهيأ نفسياً للقيام به، فمفاجئته بالطلب تربكه إلى حد كبير وقد تجعله يثور، والنتيجة حدوث شجار هما في غنى عنه.



حق الزوجة على الزوج:

نلخص هذا الحق على حسب تصنيف الشيخ محمد الصابوني في كتابه (الزواج الإسلامي المبكر):

١. احترام الرجل للزوجة وإكرامها.

٢. الإنفاق عليها.

٣. الوفاء بشروطها ما دامت لا تتعارض مع كتاب الله سبحانه وتعالى.



٤. الإحسان إليها في المعاملة، والتسامح معها.

وأدلة ذلك: قال رجل من الصحابة: يا رسول الله! ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه، ولا تُقبّح، ولا تهجر إلا في البيت**» رواه أحمد وأبو داوود، وابن ماجه.

لا تقبّح: أي لا تقول لها قولاً قبيحاً، ولا تشتمها، ولا تهجر أي لا تتحول عنها حتى في الفراش الواحد، ولا تحولها إلى غرفة أخرى لقوله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤]، أي هجر الجماع فقط.

ومن آداب العشرة بالمعروف: أن يحب لها الخير كما يحبه لنفسه، لقوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» ولقوله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله**».

ومن العشرة الحسنة التلطف والممازحة، والدليل أن رسول الله ﷺ كان يمازح زوجاته، فقد كان يتسابق مع عائشة رضي الله عنها، ولقوله لجابر بن عبد الله حين تزوج وسأله ﷺ: أبكراً أم ثيباً؟ قال: قلت: بل ثيب، قال: «**فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك**» رواه البخاري.

سؤال مطروح تلقائياً: كيف يوازن الزوج بين فرض احترامه على الزوجة وبين رحمته إياها؟! لجواب: عليه أن يدرك أن المرأة خلقت من ضلع أعوج، قال ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خُلقت من ضلعٍ اعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيراً**» رواه البخاري.

وفي بعض روايات هذا الحديث: «**إن المرأة خُلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها، استمتعت بها وفيها عوج، وان ذهبت تقيمها، كسرتها وكسرها طلاقها**».

ويدل هذا الحديث على أن العوج أصلاً موجود بالرجل كما يقول الشيخ المسفر في محاضرته حيث قال: إن الرجل لديه اثنين وثلاثين ضلع أعوج، ففي كل واحد من الزوجين عوج، وأصل العوج الذي بالمرأة قادم من الرجل.

فكل عوج بالمرأة قابل للإصلاح أو للتعايش معه، إلا عوج الدين والعرض فهو عوج لا يمكن التعايش معه.

عن أبي المتوكل، عن أم سلمة: أنها يعني أتت بطعام في صفحة لها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فجاءت عائشة متزرة بكساء ومعها فهر، ففلقت به الصحفة فجمع النبي ﷺ بين فلقتي الصحفة ويقول: كلوا غارت أمكم مرتين ثم أخذ رسول الله ﷺ صحفة عائشة فبعث بها إلى أم سلمة وأعطى صحفة أم سلمة عائشة. رواه النسائي. وفي رواية لأنس أنها ضربت يد الرسول ﷺ – فداها أبي هو وأمي ونفسي – فسقطت القصعة فانكسرت. فهر: أي حجر.

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه معروف بهيبته، وقد قال له رسول الله ﷺ: «**إيه يا ابن الخطاب ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً آخر**» جاء إليه رجل ليشكو إليه من سوء خلق زوجته، فسمع صوت زوجة عمر بن الخطاب يعلو على صوت عمر فأراد أن يرجع، فاستوقفه عمر وسأله عن حاجته، فقال: قد انقضت حاجتي، فقال له تعال فأخبرني ما تريد، فقال: جئت أشكو إليك سوء خُلق زوجتي فوجدت مثلها بل أشد، فقلت: إذا كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي! فقال له عمر: «يا أخي تحملتها لحقوق لها علي، إنها مربية لأولادي، طبّاخة لطعامي، غسّالة لثيابي، منظفة لبيتي، فأنا أتحملها لما لها علي من الحقوق[1].

وقد يقول بعضهم ممن لديهم خدم يقومون ببعض هذه الأعمال بدل المرأة: «**هي لا تفعل من تلك الأعمال شيئاً**»، نرد عليه كما قال ﷺ: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**».

قال ﷺ في حجة الوداع: «**ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هنّ عوانٍ عندكم – أي أسيرات – ليس تملكون منهنّ شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشةٍ مبينة، فإن فعلن فاهجروهنّ في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً. ألا إن لكم على نسائكم حقاً، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في**

(١) محمد علي الصابوني – الزواج الإسلامي المبكر – ص١٣٠.

بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهنّ عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن» رواه ابن ماجه والترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

ومعنى فاحشة كما جاء في لسان العرب: أي كل ما جاوز الحد والقدر، وما اشتد قبحه من المعاصي، أو هو القبيح من القول والفعل، واعتبر بعضهم أن خروج المرأة من بيتها بدون إذن زوجها من الفواحش.

ومن التعاون على البر والتقوى الذي أمر الله تعالى به: مساعدتها في شؤون المنزل إذا احتاجت لهذا، وخدمة نفسه على الأقل: سُئلت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ كيف هو مع أهله فقالت: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة» رواه البخاري والترمذي، مهنتهم: أي خدمتهم، وكان يخصف نعله، ويحلب شاته، ويخدم نفسه بأبي هو وأمي ونفسي ﷺ، فأين رجال اليوم من كل هذا؟!.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك، ولذلك أنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤][(١)].



حق الزوج على زوجته:

نجمل هذه الحقوق أولاً ثم نفصّلها في:

١. حق الطاعة.
٢. حق المحافظة على ماله وعرضه، وعدم السماح لأحد بالدخول إلى منزله إلا بإذنه.
٣. عدم امتناعها عن فراش زوجها إذا طلبها إليه، بل وعرض نفسها عليه، بحيث تبتدره من آن لآخر بأسلوب لطيف كي تصبح هي الودود التي رغّب فيها ﷺ.

---

(١) أبي الحسن النيسابوري – أسباب النزول – ص ٣١٦.

٤. ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنه.

٥. القيام على شؤون البيت، ورعايته، من طهي وغسيل وتنظيف بما جرت عليه العادة والعرف لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] فالحياة تعاون وتكافل فهو يعمل خارج البيت وهي تعمل داخل البيت، وقد ثبت أن فاطمة رضي الله عنها كانت تعمل داخل بيتها وكذلك باقي النساء، ولا اعتبار للفتوى التي ترى أنه ليس من واجب المرأة العمل في بيت زوجها، فإن حقيقة ما كان يحدث في بيت نبي الله ﷺ وبيوت أصحابه يخالف هذه الفتوى، أليس من واجبها أن تطيعه إذا أمرها في عمل المنزل.

والطريف أنني سمعت أن امرأة رفضت العمل في بيت الزوج عملاً بفتوى تقول بذلك، فاشتكاها زوجها إلى أحد العلماء الذي طلب أن يتحدث إليها، فقال لها: إذا كنت تريدين العمل بهذه الفتوى، فإنني سأقول لزوجك أن يعمل بالسنة، ويتزوج بأخرى، فصرخت الزوجة: أرجوك لا تقل له هذا، وأعدك أن أعمل كما يريد.

وحق الزوج على زوجته عظيم جداً لقوله ﷺ: «**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**» حديث حسن، وقال ﷺ: «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله**» رواه البخاري.

والطاعة تعني: أن تطيعه في كل أمر ما دام ليس فيه معصية لله سبحانه وتعالى فمثلاً لو أمرها بعدم صلاة النافلة يجب عليها أن لا تصليها، لأن طاعة الزوج فرض وصلاة النافلة ليست فرضاً، فإذا كانت طاعته مقدمة على نوافل العبادات، فما بالك ببقية أمور الحياة الدنيا الفانية.

عن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: «**أتيت رسول الله ﷺ في بعض حاجة، فقال لي: أي هذه أذات بعل؟ قلت: نعم، قال كيف أنت له؟ قلت: لا آلوه إلا ما عجزت عنه، قال فانظري أين أنت منه فإنه جنتك ونارك**» حديث صحيح.

ومن حقوقه ألا تأبى عليه إذا دعاها للفراش لقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها – يعني الجماع – فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها، حتى يرضى عنها**» رواه مسلم.

ومن حق الزوج على زوجته أن تتزين له لقوله ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**قيل للنبي ﷺ: أي النساء خير؟ قال: التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها، ولا ماله بما يكره**» أخرجه النسائي وأحمد وإسناده حسن، وهذا التزين مطلوب من الزوج كذلك.



معالجة الخلافات بين الزوجين:

انتبه للسبب الخفي للخلافات:

قبل الحديث عن كيفية معالجات الخلافات الزوجية لابد من التذكير بضرورة البعد عن الذنوب لأنها هي السبب الخفي للخلافات الزوجية.. يقول أحد السلف: إنني لأرى نتائج ذنبي في خلق زوجتي وخلق دابتي، ولهذا السبب يدعو ربنا في كتابه وعن طريق نبيه محمد ﷺ باستمرار إلى الاستغفار، وفي سورة الطلاق بالذات أكد ربنا سبحانه على التقوى وكأنه يريد أن ينبهنا إلى وسيلة أساسية من وسائل الوقاية من الخلافات الزوجية: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ – ٣]، فالشاهد هو قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾.

إن من أبسط قواعد الحكمة لدى كل منهما:

- **الابتعاد عن أسلوب فتح الملفات كلما حدثت مشكلة جديدة**، لأن هذا الأسلوب يضخم المشكلة الجديدة دون أن يحل المشكلات القديمة.

○ قاعدة أساسية لابد من العمل بها وهي **حل المشكلات أولاً بأول.**

○ **عدم إخراج مشكلات الزوجين خارج نطاق الحياة الزوجية:** يجب أن يستر كل واحد من الزوجين على الآخر، أليس المسلم مدعواً إلى الستر علي الآخرين إذا اطّلعنا على عيوبهم، قال ﷺ: «**لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**» رواه مسلم، فكيف إذا كان هذا الآخر هو الزوج أو الزوجة.والأولى أن يبدي كل منهما شريكه الآخر أمام الناس في أحلى صورة مبدياً إعجابه به – حتى لو كان من قبيل الكذب – لأنه كذب مسموح به ما دام أنه سيزيد الحياة الزوجية ترابطاً وقوة.

حيث يرى الشيخ مسفر القحطاني أنه إذا امتدحت الزوجة زوجها لأهلها حتى لو كان هذا غير صحيح إلا أنه سيكرمها، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] نفهم من هذه الآية أن المرأة ستر للزوج وهو ستر لها.

فالشكوى تفرح العدو وتحزن الصديق. ذكر الشيخ ابن مسفر قصة امرأة صفعها زوجها وما هي إلا لحظات حتى جاء أمها وأبوها وأخوها زائرين إلى منزلهما، فاستقبلهم هو وزوجته التي لم تخبرهم بما حدث، ولكنهم لاحظوا آثار البكاء عليها، فسألوها عن السبب، فأجابت: أبكي شوقاً إليكم، ثم أحضرت القهوة والشاي، وذهب زوجها وأحضر العشاء، ومر على سوق الذهب، واشترى مصاغ قيمته عشرة آلاف ريال، وبعد أن تناول الجميع طعام العشاء، وتسامروا معاً خرج الأهل سعداء، ولكن الزوج كان أكثر سعادة لأن زوجته سترت عليه وقد كان في موقف لا يحسد عليه، فما كان منه إلا أن قدم لحبيبته (الهدية الذهبية) التي اشتراها مع العشاء مع الكثير من الامتنان.

إذا استمرت الخلافات فلابد من اتباع الآتي حسب الترتيب:

١. النصح والإرشاد بالأسلوب الحكيم.

٢. الهجر في المضجع، بترك المعاشرة الزوجية.

٣. التأديب باليد أو بالسواك.

٤. التحكيم إن لم تنفع الوسائل السابقة.

وفيما يلي شرح ما سبق مع الأدلة:

أول خطوة يجب أن يقوم بها الزوج هو التعليم والتوجيه وهو يكون من المرأة للرجل ومن الرجل للمرأة «فعظوهن» وإذا لم ينفع الوعظ يأتي الهجر وهو فقط في المضجع وليس في الغرفة يوليها ظهره ليس إلا، بعضهم إذا قالت له ماذا بك لا يجيب، وإذا مدت يدها لتداعبه كنوع من الترضية يزمجر في وجهها، أو يدفع يدها في أحسن الأحوال، والمقصود أنه يجب عليه التجاوب معها إذا حاولت ترضيته.

وسؤال يفرض نفسه: هل يحق للمرأة أن تهجر زوجها كما يحق للرجل أن يهجر زوجته؟

الجواب: لا، على حسب رأي العلماء الأفاضل، لأن الرجل بطبيعته عنيد، إذ يزداد عناداً وقسوة، فما دام أن الهجر هذا لن يحل المشكلة، بل سيزيدها، فيجب عدم اللجوء إليه من قبل الزوجة، بل بالعكس فقد أُمرت المرأة أن تأخذ بيد زوجها إذا كان غاضباً كما في حديث رسول الله ﷺ في معرض وصفه لنساء أهل الجنة: «**ألا أخبركم بخير نسائكم في الجنة؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال كل ودود ولود، إذا غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى**»، وهو حديث صحيح، أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه، «**لا أكتحل بغمض (أي لا أنام) حتى ترضى**».

وقد أثبتت الدراسات العلمية أن للمصافحة أثر في توليد شحنة عاطفية إيجابية بين الزوجين وبسبب هذه الشحنة العاطفية المتولدة، نُهيت المرأة عن مصافحة الرجل الأجنبي والله أعلم.

بعض النساء لا يجدي معها الهجر في المضجع، وهنا يأتي الضرب وهو لا يعد محموداً للرجل والدليل الحديث التالي: جاءت الصحابية فاطمة بنت قيس تستشير رسول الله ﷺ في اثنين خطباها، فقال لها: «**أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه — كناية عن ضربه للنساء — وأما معاوية فصعلوك لا مال له، انكحي أسامة بن زيد**» أخرجه مسلم، كما وصف رسول الله ﷺ الذين يضربون زوجاتهم بقوله: «**ليسوا بخياركم**»

و«**خيركم خيركم لأهله**»، ثم أنه لم يثبت أنه ضرب زوجة من زوجاته مع أنهن كن تسع رضي الله عنهن.

وتذكروا قصة الصحفة السابقة، فمع شدة الموقف لو كان حدث لأحد رجالنا إلا أن رسول الله ﷺ لم يضربها رضي الله عنها، لأنه يطبق قوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

إذاً لا يجب اللجوء للضرب إلا للضرورة، وبعد لجوئه للوعظ والهجر في المضجع ويكون بسواك أو بما يشبهه كالقلم أو الملعقة ويجب أن يتجنب الوجه.

وإذا لم ينفع الضرب نلجأ إلى التحكيم كما أمر سبحانه وتعالى: حكماً من أهله وحكماً من أهلها، ويجب أن يكونا صالحين أو على الأقل يريدا الإصلاح، وعلينا تدبر قوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥] إذ أنهما إذا كانا لا يريدا الإصلاح فإنه لن يتم التوفيق، وتجدر الإشارة إلى أنه إذا عُدم القريب الصالح فيمكن اللجوء إلى أحد الأشخاص الذين يثق فيهم الزوج أو الزوجة ولو لم يكن من الأقارب للإصلاح بينهما كالصديق الصالح أو الجار الوفي، وعليه أن يقدم النصح بدون أن يكشف من دفعه لهذا.

وإذا ما انتهى التحكيم إلى ضرورة فسخ النكاح، وإذا اختير الطلاق كحل نهائي فعلى الزوج أن ينتظر حتى تحيض ثم تطهر، فيطلقها دون أن يجامعها، وبعد الطلقة تبقى في بيتها لا يجوز إخراجها ثلاثة قروء أي ثلاث أطهار، وبعد ذلك إذا دعاها توافق وإذا جامعها عادت إليه، وإذا جلست ثلاثة شهور دون أن يقربها تصبح بائنة بينونة صغرى لا تحل له إلا بعقد جديد، إذا طلقها بهذا الشكل ثلاث مرات تبين منه بينونة كبرى ولا تحل له إلا بعد زواجها من آخر ثم طلاقها منه، وإن يتفرقا يغني الله كل من سعته.

وأخيراً... يجب على الوالدين مصارحة ابنتهما بأنهما يحبانها ويحترمانها، وأن أكثر ما يهمهم مصلحتها، ولذا فإنه ليس من مصلحتها أن تغادر بيت الزوجية غاضبة عند أدنى مشكلة، فليس هناك بيت بدون مشكلات، وأنه يجب عليها أن

تستأذنهما قبل الحضور، وأن تقدم مبررات هذه المغادرة، وأن عليها أن تعلم أنهما لن يستقبلاها كما يحلو لها، ليس لأنهما لا يريدانها بينهم، بل لأن هذا حرام طالما أن في هذه المغادرة ما يغضب الله سبحانه وتعالى.

وكذلك عليهما أن ينصحا الابن بعدم محاولته القيام بطرد الزوجة أو تطليقها لأسباب تافهة بسبب الغضب أو الانفعال، عليه أن ينسى هذا الأمر تماماً، وعليه أن يتذكر دائماً قوله تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١]، وأن عليه أن يجعل هذه الآية الكريمة دستور حياته الزوجية، ويجب أن تكون هذه المصارحة بعد الانتهاء من توضيح كل الخطوات السابقة بعد اختيار الشريك.

شبهة لابد من الرد عليها:

هناك حكم في الإسلام يبيح للمرأة أن تتنازل عن بعض حقوقها إذا كان في هذا التنازل مصلحة لها أو للأسرة، مثل أن تخشى خسائر أكبر إن لم تتنازل، ولكن للأسف يستغل بعض الأزواج هذا الحكم الذي شرّع لصالح الأسرة، كي ينتزعوا امتيازات ليتمتعوا بها هم وحدهم كهجرها من أجل زوجة أخرى، وذلك بأن يجبروا المرأة على التنازل، فالرجل في هذه الحالة هو القاضي وهو الحكم وهو المنفّذ، مع أن الحكم في الإسلام أن للمرأة أن تتنازل بمحض إرادتها هي، وفوق هذا لها العودة عن هذا التنازل متى ما أرادت، مثل تنازلها عن نفقته عليها، أو المبيت عندها، وفي الحديثين التاليين دليل على هذا الحكم:

عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قالت عائشة: يا ابن أختي، كان رسول الله ﷺ لا يفضّلُ بعضنا على بعض في القسم من مكثه عندنا، وكان قلّ يوم إلا وهو يطوف علينا جميعاً، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التي هو يومها فيبيت عندها، ولقد قالت سودة بنت زمعة حين أسنَّت وفرقت أن يفارقها رسول الله ﷺ: يا رسول الله، يومي لعائشة، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منها، قالت: نقول في ذلك أنزل الله عز وجل وفي أشباهها، أراه قال: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يستأذننا إذا كان في يوم المرأة منا بعدما نزلت: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ﴾ [الأحزاب: ٥١] قالت معاذة: فقلت لها: ما كنت تقولين لرسول الله ﷺ؟ قالت: كنت أقول: إن كان ذاك إليَّ لم أُوثِرْ أحداً على نفسي سنن أبي داوود.



نظرية أسس الزواج الناجح:

ترتكز نظريتي في الزواج الناجح على هذه الآية الكريمة، وفيما يلي بيان ذلك، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

لقد قمت بتطبيق استبيان على بعض السعوديين والسعوديات لهذا الشأن، كما لجأت إلى تحليل إجابات ألف زوج وألف زوجة تضمنهما كتاب (كيف تصبح زوجاً مثالياً) للمؤلفة جيه. إس. سولت. وكتاب (كيف تصبحين زوجة مثالية) للمؤلفة نفسها وبناءً على نتائج هذه الدراسة فإني أرى أن الزواج الناجح يتأسس على ركيزة أساسية هي التكافؤ في المكونات الأساسية للشخصية عند الزوجين، والذي يؤدي إلى تقبل الآخر وتقبل ما يهمه بشرط التعبير عن هذا التقبل معنوياً – عن طريق الإشباع العاطفي – ومادياً عن طريق الإشباع الجنسي والخدمة والعطاء، والتضحية لأجله، عن طريق سلوك المبادرة والدعم والثقة والتسامح والوفاء، وبشرط المحافظة على هذه القيم بالالتزام بأوامر الله..بالاستغفار والدعاء وبتلاوة سورة البقرة وأذكار الحفظ يومياً وبتطبيق سنة رسول الله ﷺ بالتصبح بسبع تمرات من العجوة.

هذه النظرية تثبتها الآية الكريمة السابقة على النحو التالي:

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ يدل على التكافؤ، فأقرب شيء يكون للإنسان أعضاؤه.

قوله تعالى: ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ يدل على قبول الآخر، والاقتناع والرضا به.

قوله تبارك: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ يدل على التعبير عن هذا القبول عملياً بسلوك كل مسلك تظهر فيه الرحمة والمودة، وقد قيل إن المودة تظهر في حال الرضا، والرحمة تظهر في حال الغضب.

شرح النظرية:

قبل أن نشرع في شرح المفاهيم الأساسية لهذه النظرية، والتي سيرد شكل يوضحها ثم سأطبق هذه الأسس على حياة رسول الله ﷺ الزوجية، لابد أن نذكر بعض الحقائق: فقد كان الاعتقاد السائد لدى الكثيرين أن أهم شيء يفضله الرجل في المرأة هو المظهر الحسن، ومن خلال الدراسة وجدنا أن النسبة تثبت أن هذا غير صحيح دائماً حيث وجدنا أن ٢٥٪ فقط من الرجال يعطون المظهر الحسن هذه الأهمية.

وبينما صرّح ١٠٠٪ منهم أنهم يريدون منهن أن يعاملونهم باحترام دائماً، وأن يتمتعن بحسن الخلق، صرّح ٩٥٪ من الأزواج السعوديون أنهم يريدون منهن أن يكن ودودات وعطوفات.

وبينما يعتقد بعضهم أن المرأة تفضل الشخص قوي الشخصية، وجدنا نتائج الدراسة تؤكد أن هذا ليس صحيحاً دائماً، حيث فضلت ١٠٪ فقط منهن الزوج قوي الشخصية، حيث أجابت ٩٧٪ من الزوجات السعوديات أنهن يردنهم أن يكونوا ودودين ويعاملونهن باحترام وأن يبتعدوا عن الغضب والعصبية.

شرح المفاهيم الأساسية للنظرية:

١. **التكافؤ:** يعني سمات الشخصية الأساسية التي يتطابق أو يتشابه الزوجان في الاتصاف بها مثل الاتجاه الديني، والمكانة الاجتماعية، والمستوى العقلي، والخُلقي والخلقي والمستوى المادي في بعض الحالات.

والتكافؤ درجات، وهو لا يعني التطابق الكامل بالضرورة، وكلما كان التقارب الفكري – الذي يحوي الدين والخُلق – أكبر كان حظهما في التوافق أكبر.

وكذلك تزداد فرصتهما في التوافق كلما زاد ت سمات الشخصية الأساسية التي يتفقان أو يتقاربان فيها.

إذا لم يتشابه الزوجان في سمات ليست أساسية في الشخصية مثل رغبات الطعام والملابس والهوايات، وطريقة كل منهما في تكوين العلاقات الخارجية، وطريقة كل منهما في التعبير عن نفسه... الخ، فإن هذا الاختلاف لا يضر إذا فهم كل منهما كيف يختلف الآخر عنه، واحترم هذا الاختلاف، مقدّراً أنه لا يجب أن يكون الآخر نسخة متطابقة عنه، فعند هذه النقطة من الاختلاف يتبين معدن كل منهما، ويمكن أن يكون هذا الاختلاف مصدر سعادة لهما، إذ من خلاله تحين الفرصة لكل منهما للتعبير على استعداده للتضحية من أجل سعادة الآخر.

٢. **التقبل:** يعني اقتناع كل منهما بالآخر كزوج والرضا عنه كرزق وكقسمة ونصيب ارتضاه الله له، وتقبل ما يهمه من باب تقبله مثل تقبل أهله وعلاقاته الأخرى ورغباته، وإيمانه بأن كل ما يختاره الله فهو خير بدون نقاش، وقد سبق أن ذكرنا هذه الفكرة في بداية حديثنا عن نصائح الأيام الأخيرة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**» متفقٌ عليه، فهذا الحديث الشريف مما يساعد على تقبل الآخر كثيراً.

ومما يساعد على التقبل كذلك قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾، وآيات وأحاديث كثيرة أخرى والحمد لله فلا يجدر بأي من الزوجين النظر إلى من حُرّم عليه من الجنس الآخر، أو النظر إلى نصيب وأرزاق الآخرين خاصة إذا كان يظن أنهم أعلى منه في هذا الجانب، لأن هذه الطريقة هي المسمار الأول في نعش الحياة الزوجية، وعليه أن يدعو الله أن يعينه ويرضّيه بقسمته ونصيبه.

ويندرج تحت هذا التقبل: تقبل كل ما يحبه ويهمه، مثل تقبل أهله وأصدقائه واختيارت حياته كالهوايات والعمل، وتدريب نفسه على التكيف معها.

٣. **التعبير عن هذا التقبل:** هو أمر مهم للغاية لأنه كما نقول دائماً للإنسان حاجات لم يتزوج إلا من أجل تلبيتها مثل الحاجة إلى أن يحب ويُحب، ويحترم ويقدر وهو لا يعلم الغيب، ولذا فهو ينتظر دائماً من الآخر أن يؤكد له أنه يحبه ويحترمه ليطمئن ويرتاح، ويشعر بأنه قد تم احتواءه، أما كيف يعبر عن هذا التقبل، فيجب أن يكون هذا التعبير لفظياً وعملياً، أو مادياً ومعنوياً، والذي يمكن أن يوضح على النحو التالي:

١- تعبير مادي، مثل:

أ) الاتفاق على أهداف حياتهما وحياة أبنائهما.

ب) قضاءهما الوقت الكافي معاً بما يضمن النظر إلى بعضهم بعضاً وغير ذلك من ممارسة الحياة الحميمة كالمداعبة وما إليها.

ج) التعاون على تنظيم أمور الأسرة اليومية.

د) النفقة والهدايا.

ه) خدمة بعضهم بعضاً بحيث تضيع الحدود بينهما في جو من الثقة، والوفاء والتفاني.

٢- تعبير معنوي مثل:

أ) التعبيرات الدالة على الحب والاحترام والتقدير والإعجاب.

ب) الاهتمام بالعلاقة الحميمة (العلاقة الجنسية) حيث لها بعد مادي وبعد معنوي.

ج) اهتمام كل منهما باهتمامات الآخر ومشاركته هواياته.

د) التضحية من أجل الآخر (مراعاة مشاعره ورغباته).

ه) الاهتمام بقيم النضج الانفعالي (كالصبر والحلم والتسامح والاعتذار) المؤسسة على أن يتذكر كل منهما أخطاءه السابقة كلما أخطأ الآخر.

و) الاتفاق المسبق على الطريقة التي يحلان بها خلافاتهما ، والتقيد بها.

وقد يرى بعضهم أن هذه مطالب صعبه بالنظر إلى كثرتها ، ولكني أرى أنه إذا قام كل منهما بتثقيف نفسه بشكل دوري فيما يتعلق بالحياة الزوجية ، مثل أن يداوم على قراءة كتاب كل شهر ، وإذا ما قام كذلك بتدريب نفسه بأن يضع هذه المطالب على شكل جدول ، ثم يضع تحت كل بند السلوكيات والكلمات التي تناسبه من خلال خبرته وخبرة الآخرين ومن خلال قراءاته ، وحتى من خلال سؤال شريكه عن تفضيلاته ، ثم راجع هذا الجدول يومياً وقام باختيار سلوكاً واحداً أوجملة واحدة – على الأقل – لهذا اليوم كالتالي:

سلوك يدل على المبادرة ← تقديم هدية أ وحتى خدمة مفاجئة

سلوك يدل على الدعم ← أخبره إنك تقدّر وبشدة ما يقوم به

سلوك يدل على الحب ← قل أحبك ، أو امنحه قبلة مفاجئة

فالمبادرة والدعم والحب أمور يجب التعبير عنها كل يوم ، أما الثقة فمحلها القلب ، ويأتي إثباتها من خلال المواقف التي تحتاجها ، مثلها مثل التسامح الذي يجب أن يظهر عندما تظهر الخلافات.وبالنسبة للوفاء فيبدو من خلال التضحية وتحمل المصاعب من أجل المحافظة على استمرار الحياة مع الشريك، وهو ما عبر عنه الحديث الشريف: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**».

وأشبّه احتياجات الشريكين للقبول وأساليب التعبير عنه بالنهر: فالحياة الزوجية نهرٌ عذب ضفتاه هما الوفاء والتسامح وقطرات الماء هي: الحب والدعم والمبادرة.

هذه الاحتياجات لابد لها من وعاء توضع فيه وهو: الوقت المخصص لالتقاء الزوجين ببعضهما خارج نطاق العلاقة الجنسية بحيث يكون هناك وقت كاف لهما وحدهما قدر الإمكان يمارسان من خلاله تبادل هذه الاحتياجات من حب ودعم ومبادرة ، حتى وإن كان بالإمكان ممارسة بعضها (على الماشي) وبعضها الآخر

أمام الآخرين خاصة أبناءهما ليتعلم الأبناء هذه السلوكيات، مثل تقبيل أحدهما الآخر أمام الأبناء أو احتضانه إن مجرد قضاء الزوجين بعض الوقت معاً حتى لو لفهما الصمت لهو أمر في غاية الأهمية ويتضح أهمية هذا الوقت من تصريح إحدى الزوجات التي قالت لزوجها: «إن ما تفعله وأنت بجواري أهم بكثير مما تفعله من أجلي» وفي هذا رد كاف على أولئك الأزواج الذين يقضون كل أو معظم الوقت بعيداً عن أسرهم بحجة أن ذلك لمصلحة الأسرة.

ويحضرني الآن كتيّب (كيف تصبح زوجاً مثالياً) للمؤلفة: جيه. إس. سولت وكذلك توأمه الكتيّب الآخر (كيف تصبحين زوجة مثالية) لنفس المؤلفة، والذي يصلح إلى حد كبير لاستخراج جملاً وكلمات مناسبة لوضعها في الجدول سابق الذكر، بعد أن نكون قد وضعنا أولاً عبارات وسلوكيات نبي الرحمة ﷺ وغيرها من تراثنا الأصيل فبالإمكان وضع المئات من الجمل والسلوكيات ثم الغرف منها كما نشاء، بحيث نختار كل يوم شيئاً جديداً، مما يضمن تنشيط الحياة الزوجية ودفع الملل والرتابة عنها بإذن الله.

أما بالنسبة لما يطرأ على العلاقة الزوجية من خلافات، فهنا أنصح باللجوء إلى الله مباشرة عند أول بادرة لهذا الخلاف، فأسرع إلى ترديد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بينك وبين نفسك، ثم ردد أذكاراً مثل: لا حول ولا قوة إلا بالله، استعنت بالله، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث برحمتك أستغيث... الخ وهذه الأذكار ستجدها في حصن المسلم وغيره من الكتب المتخصصة بالأدعية المأثورة.

عليك أن تتذكر في هذه الحالة بالذات نصيحة رسول الله ﷺ (النصيحة الكنز) وهي: لا تغضب، لا تغضب، لا تغضب.

ولكن لابد من التنبيه على أن لا يستعجل تجاوب شريكه، فالصبر أمر ضروري وأساسي جداً لنجاح هذه الطريقة، أكرر الصبر ضروري وأساسي لنجاح هذه الطريقة خاصة إذا كان الزوجان قد قطعا شوطاً غير بسيط على درب الجفاء وسوء العلاقة، ومن أجل المساعدة على الصبر: افترض أدنى نسبة من تجاوب شريكك، اجعلها صفراً بدل أن تتوقع تجاوباً بنسبة ١٠٠٪.

وإذا كانت مصلحة أبنائك تهمك إلى حد بعيد...فلا تنظر إلى النتيجة، لا تنظر إلى ردة فعل شريكك، أنظر إلى فوق... إلى السماء. وكلما اعتقدت أن مجهوداتك تذهب سدى تذكر هذا الحديث الشريف الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: **«إنها ستكون بعدي أثرةٌ وأمورٌ تنكرونها؟ قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم»** متفق عليه.

قصة الفتاة التي جنى عليها والديها:

إن هذه القصة التي سأذكرها والتي أوردها (حسن مرعي) في كتابه: (الثقافة الجنسية)[1]، والتي ما هي إلا نموذج لآلاف القصص المحزنة، سوف تجعلك تضع مصلحة الأبناء فوق أي اعتبار:

والدٌ سكيّر يأتي كل يوم مخموراً إلى منزله، وما أن يصل حتى يسمع الجيران صراخ أولاده وزوجته... فهو يحطم كل ما يقع نظره عليه، مطلقاً شتائمه ومتوعداً لكل واحد من أفراد أسرته بالويل والثبور وعظائم الأمور إن هو خرج عن سلطته...

لم تستطع الزوجة تحمل سلوكه العدواني هذا فطلقها بعد أن رفضت الاستمرار معه تحت سقف واحد له ثلاثة من الأولاد (ابنة عمرها ١٦ عاماً) وصبيان صغيران: الأول عمره ٥ سنوات والثاني عمره ٧سنوات.

بعد طلاق زوجته وعودتها إلى بيت أهلها ازدادت عدوانيته، وبدأ يقسو على أولاده أكثر، هربت ابنته من البيت إلى بيت جدها (بيت الأم) فأفهموها أن عليها الرجوع إلى بيت والدها لأنه المسؤول الأول والأخير عنها، لم ترجع إلى بيت والدها بل قصدت بيت خالتها التي رفضت استقبالها.

وهامت الفتاة على وجهها تسير في شوارع المدينة إلى أن التقت بأحدهم وكان لطيفاً معها في البداية، فأخذها إلى منزله، أجزل عطاياه عليها من المال والهدايا، وبعد أن وصل إلى غايته منها تركها لتجد نفسها بعد ذلك تنتقل من رجل إلى آخر.

---

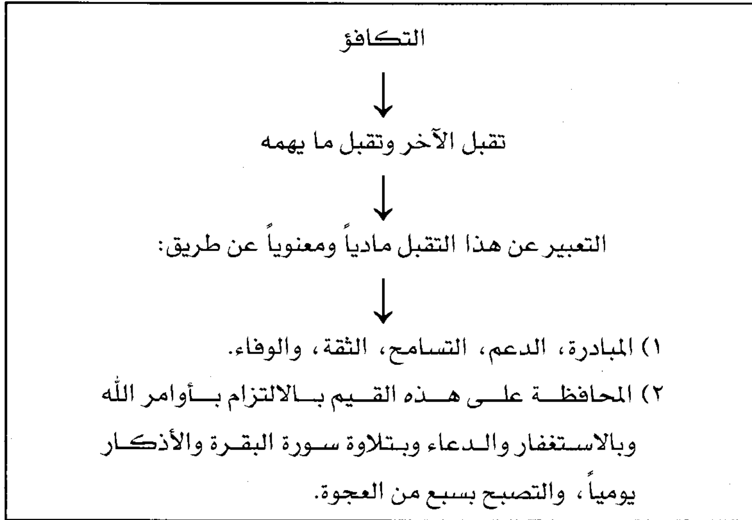
(١) حسن مرعي – الثقافة الجنسية – ص١١٧.

كما رأينا أن هناك ظروفاً أسرية سلبية أدت بالفتاة البريئة إلى الجنوح والهرب من بيتها الأسري الأول وهي ظروف عاشتها قبل أن تقدم على هذه الخطوة، وكم من الفتيات طاشت سهامهن في الحياة وسرن في طريق الانحراف والجنوح بسبب التربية السيئة والظروف القاسية التي مررن بها.

ملاحظة مهمة:

وعوداً على بدء، وهو شرحنا لأسس الزواج الناجح فيجب ملاحظة حقيقة مهمة وهو أن استمرار حياة زوجية تفتقر إلى مقومات الزواج الناجح التي ذكرناها لا يعني نجاح هذا الزواج، إذ تختلف ظروف وشخصية كل زوجين عن غيرهم، وهذا ما يجعل لجوء أحد الزوجين إلى تقليد مثل هؤلاء، أو استشارتهم أمر ضار به إلى حد كبير.

ومن ضلال الرأي كذلك استشارة أشخاص لم يشتهروا بالعلم أو بالحكمة، إذ يجب أن لا يلجأ الزوجان إلا إلى ذوي الخبرة، مع العلم أنه ليس هناك مشكلة ليس لها حل في كتاب الله سبحانه وتعالى أو في سنة نبيه ﷺ، والله أعلم.



الشكل (٣) يوضح أسس الحياة الزوجية الناجحة

تطبيق أسس الزواج الناجح على حياة رسول الله ﷺ :

يتشرف هذا الكتاب بذكر أمثلة لجوانب من حياة رسول الله ﷺ الزوجية كتطبيق على نظرية أسس الزواج الناجح على النحو التالي:

١. الاختيار الموفق المتمثل في التكافؤ الفكري المؤدي إلى القبول:

وفق رسول الله ﷺ باختيار الله له، بدءاً بخديجة رضي الله عنها (المؤمنة، الودود، الولود) التي كانت له سكناً، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١]؛ حيث ذكر في أحد أحاديثه أنها صدقته حين كذبه الناس، وواسته بنفسها ومالها، وظل وفياً لها حتى بعد موتها، كما ثبت ذلك، وكذلك بالنسبة لباقي زوجاته، إذ خيرهن الله بين نبيه ﷺ وبين الحياة الدنيا، فاخترن نبيه رضي الله عنهن.

٢. قبول ما يهمه:

وهذا يتضح من احترام رسول الله ﷺ وإكرامه لأهل زوجاته ونضرب المثل التالي:

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**» قالت، فأغضبته يوما فقلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إني قد رزقت حبها**» رواه مسلم، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك، فقال: «**اللهم! هالة بنت خويلد**» فغرت فقلت: وما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت من الدهر، فأبدلك الله خيرا منها! فقال: «**والله ما أبدلني الله خيراً منها**» رواه مسلم.

٣. التعبير عن القبول:

من أسس التعبير عن القبول: القيام بالمبادرة، والدعم، ووجود الثقة والوفاء والقدرة على التسامح، وكل من هذه الأسس يمكن التعبير عنه بطريقة مادية أو بطريقة معنوية، فكل خلق حسن يصدر من أحد الزوجين نحو الآخر لا يخرج عن



أحد هذه الخمسة عناصر والله أعلم، وتتضح هذه النظرية إلى حد بعيد في سيرة رسول الله ﷺ مع زوجاته على النحو التالي:

أ) المبادرة:

سُئلت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ كيف هو مع أهله فقالت (كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة) رواه البخاري. فالذي نفهمه من هذا الحديث هو استعداد رسول الله ﷺ الدائم للقيام بخدمة أهله وهذه المبادرة الكبيرة التي لا يمكن أن يكون هناك دليل أقوى منها على المبادرة المادية التي تسري في كيان الأهل لتستجلب نتائج نفسية تتضح في الشعور بالطمأنينة والسعادة لدى الأهل ومن ثم لدى الزوج العظيم محمد ﷺ.

وهناك مثل على المبادرة المعنوية: مثل قيام رسول الله ﷺ بدعوة عائشة رضي الله عنها إلى السباق معها مرتين، وسماحه لها بمشاهدة لعب الحبشة.

ب) الدعم:

عن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال «عائشة» قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها» قلت: ثم من؟ قال: «عمر» فعد رجالاً رواه مسلم.

وهكذا لم يخجل رسول الله ﷺ من ذكر اسم زوجته، ومن اعترافه بحبها لها، هذا الاعتراف المهم الذي يدل على القبول الذي هو أهم متطلبات الزواج الناجح، بينما نجد الكثيرين يخجلون من مجرد ذكر أنهم ذاهبون لقضاء حاجة ما لزوجاتهم، وهذا التعبير عن الحب يدل على العطاء المعنوي كذلك.

ومن أمثلة الدعم قيامه ﷺ بتقبيل ما بين عينيها مبدياً إعجابه بها عندما أخذت في سرد بعض تاريخ العرب وأنسابهم وشعرهم.

ومن الدعم كذلك أن رسول الله ﷺ كان ينادي عائشة رضي الله عنها (بعائش) كنوع من التدليل لها.

ج) الحلم والصبر والتسامح:

ولقد سبق أن ذكرنا قصة الصحفة التي كسرتها عائشة رضي الله عنها بين يدي رسول الله ﷺ فلم يوبخها، والتي رواها أكثر من صحابي، وروتها عائشة نفسها رضي الله عنها عنه - وغيرها كثير - كدليل على الحلم والصبر التسامح.

د) الثقة:

وهذا يتضح من وقائع حادثة الإفك التي نزلت فيها سورة النور، والذي تبين منها مدى ثقة رسول الله ﷺ بزوجته فلم يفعل شيئاً يؤذيها، مع العلم أن هناك من نصحه بتطليقها، حتى تبين براءتها من القرآن الكريم بحمد الله والتي يمكن مراجعتها عند قراءة تفسير سورة النور، ونتساءل بدورنا كم رجل من رجالنا يمكن أن يقف مع زوجته موقف مشابه في حال تعرضها للقذف، أو الإساءة من أحد الظلمة وما أكثرهم في عصرنا بكل أسف، كان رسول الله ﷺ زوجاً عظيماً فقد قال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**».

وهكذا عبّر رسول الله عيه الصلاة والسلام عن هذا القبول بالعطاء المعنوي والمادي المتمثل بالحنان والتعبير عن الحب.

ه) الوفاء:

الذي يبدو في التضحية: عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: «لم يتزوج النبي ﷺ على خديجة حتى ماتت»، رواه مسلم، ومما يدل على ذلك أيضاً قصة عقد عائشة رضي الله عنها، عن عائشة زوج النبي ﷺ: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بدأت الجيش، انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق، فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر، ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في



خاصرتي، فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد ابن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قال: فبعثنا البعير الذي كنت عليه، فأصبنا العقد تحته» رواه البخاري، ألا يدل ذلك على كل ما سبق الحب، والدعم والتضحية والوفاء.

وكنوع من الطرفة قالت إحدى النساء: «لو حدثت لي نفس حادثة عائشة رضي الله عنها وكنا معزومين في البر – وليس جيش وغزوة – وقلت لزوجي لقد فقدت عقدي لما فكر أن يبحث عنه، أو أن يجعل الناس يتأخرون لأجلي، فضلاً عن أن يجعلهم يبيتون، وقد يدفعني حتى أسقط على وجهي، أو يضربني على قفاي وهو مكفهّر الوجه، محمّر العينين ودون أن ينبس ببنت شفّة».

وبعد فإن حياة رسول الله ﷺ الأسرية حافلة بالأمثلة الصالحة تماماً لاتخاذها قدوة موثوق بها لنتعلم منها كيف نعيش بأرقى مستوى عائلي ممكن، بحيث يضمن لنا توفير الحد الأعلى من الحياة المستقرة والسعيدة، فهذا العرض إنما هو عرض مختصر إلى أبعد الحدود، وهو لا يكفي بل يجب العودة إلى قراءة السيرة النبوية عدة مرات.

ليلة زفاف شريح القاضي(١):

تزوج شريح بزينب ابنة جرير إحدى نساء بني حنظلة، وحدّث الشعبي عن نفسه قائلاً: فلو رأيتني يا شعبي وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أُدخلت علي؟ فقلت إن من السنّة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلي ركعتين، فيسأل الله من خيرها، ويعوذ به من شرها قائلاً: «اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه» فصليت وسلمت، فإذا هي من خلفي تصلي بصلاتي، فلما خلا البيت دنوت منها، ومددت يدي إلى ناحيتها فقالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت، ثم قالت: «الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة، لا علم لي بأخلاقك فبين لي ما تحب فآتيه، وما تكره

---

(١) عبد المتعال الجبري – المرأة في التصور الإسلامي ص٨٦.

فأبتعد عنه: وقالت: إنه قد كان لك في قومك منكح، – أي مجال للزواج – وفي قومي مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمراً كان، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به، إمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك.

وقال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت: الحمد لله: أحمده وأستعينه، وأصلي وأسلم على النبي وآله، وبعد: فقد قلت كلاماً إن تثبتي عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك: أحب كذا وأكره كذا، ونحن سواء فلا تفرّقي، وما رأيت من حسنة فانشريها، أو سيئة فاستريها.

قالت: وكيف محبتك لزيارة الأهل؟

شريح: ما أحب أن يملني أصهاري.

قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل بيتك آذن له، ومن تكرهه أكرهه؟

شريح: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح: فبت يا شعبي بأنعم ليلة، ومكثت معي حولاً لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بعجوز تأمر وتنهى في البيت قلت: من هذه؟ قالوا: فلانة ختنك – أي حماتك – فسري عني ما كنت أجد.

فلما جلست أقبلت العجوز وقالت: السلام عليك يا أبا أمية، قلت: وعليك السلام، من أنت؟ قالت: أنا فلانة ختنك، قلت: قربك الله، قالت: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة.

فقالت: يا أبا أمية: إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها في حالتين: إذا ولدت غلاماً أو حظيت عند زوجها، فإن رابك ريب فأدبها: فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شراً من المرأة المدللة.

قلت: أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب، وروضت فأحسنت الرياضة.

قالت: تحب أن يزورك أختانك؟ (أي أقارب زوجتك).

قلت: متى شاؤوا؟

قال شريح: فكانت تأتيني في رأس كل حول توصيني تلك الوصية: فمكثت معي عشرين سنة، لم أعتب عليها إلا مرة واحدة كنت لها ظالماً.

وتقصد بالمرأة المدللة هنا: أي (المدلعة) بالاستخدام العامي عندنا، وليس المدللة المشتقة من (مفهوم الدلال عند العرب) والذي يعني حسن الحديث وحسن المزح والهيئة والذي سبق توضيحه.

من العرض السابق يتضح أن قواعد الزواج الناجح موجودة أيضاً في هذا الزواج على النحو التالي:

١. وجود التقبل بينهما لوجود التكافؤ الفكري بين الزوجين: بدليل أنهما قاما بنفس السلوك منذ الليلة الأولى حيث اتبعا نفس السنّة وهي سنّة رسول الله ﷺ في ليلة الزواج الأولى.

٢. توفر شرط الزوجة الصالحة، وهي الطاعة، حيث صرحت بإذعانها له، وبتقديم رغباته على رغبتها.

٣. توفر شرط الزوج الصالح، وهو الإمساك بمعروف أو التسريح بإحسان، وقد أمسكها بمعروف، ودليله أنه أثنى عليها بعد سنوات طويلة، وذكر أنه عاش معها عيشةً هنية، ما كدرها أي منغص.

٤. توفر شرط الأهل الصالحون، فالأم احترمت رغبات زوج ابنتها، وكشفت له عن نيتها الصادقة بالسعي لمصلحة الأسرة عموماً، وليس لمصلحة ابنتها فقط.

ملاحظة مهمة على قصة القاضي شريح:

وأذكّر بما سبق أن ذكرناه عن فترة الخطبة، وهو أن تقوم الفتاة بالتعرف على رغبات زوج المستقبل في فترة الخطبة، وليس الانتظار حتى ليلة الزفاف مثل ما حدث في قصة القاضي شريح، وفائدة هذا أنه إذا لم يتفقا يتم الانفصال قبل الدخلة، وهذا بطبيعة الحال أفضل من الانفصال بعد الزفاف.

وكذلك اقترح أن يقوم الشاب بالتعرف على استعداد الفتاة للطاعة بأن يذكر لها رغباته، وأسلوب الحياة الذي يفضله في فترة الخطبة، فإذا صرّحت باستعدادها للإذعان استمر بمراسيم الزواج، أما إذا وجد منها غير ذلك لم يستمر.

وأقترح أن يقول أحد الزوجين للآخر منذ البداية، وعند أول مرة يلمس فيها استهتار الآخر بطلباته، أنه لا يرغب في أن يصبح إنساناً مملاً لحوحاً كثير الطلبات، أو كثير الشكوى من عدم تلبيتها، وأنه لو لم يستجب له، فسوف لن يكرر الطلب إلا من قبيل التذكير لمرة أو لمرتين أو لثلاث فقط لا غير، لأنه يحترم نفسه ويريد أن يحترم الآخر، وأنه قرر أن يلجأ للدعاء لشريكه أن يهديه الله للتجاوب، فهذا أليق بالحياة المحترمة الراقية، هذه الطريقة التي أسميها عملية (تبرير القرار) لها أصل في القرآن الكريم...فعندما هدد قابيل أخاه هابيل بالقتل، وقرر الأخير أن ينفذ بجلده، وينأى بنفسه عن هذه الفتنة برر قراره لأخيه بقوله: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝٢٨﴾ [المائدة: ٢٨]، إنها وصية رسول الله ﷺ فقد قال: «**كن خير ابني آدم**» رواه ابن مردويه عن حذيفة بن اليمان مرفوعاً.

ولنطمئن فليس كل الناس مثل قابيل، ثم لم لا يعمل ما عليه على الأقل من أجل راحة ضميره...

ولو استطاع فعلاً تنفيذ ما يقول فهذا أفضل، وهو أحرى بأن يجعل الآخر يخجل من نفسه، ويعتاد التجاوب من الطلب الأول مما يوفر حياة أكثر هدوءاً واستقراراً... وهذا بطبيعة الحال سيحتاج إلى الكثير من الصبر، والحلم، والأساليب الذكية والمحببة إلى الآخر، والتي يمكن معرفتها منه شخصياً سواء بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، ويمكن إذا أعجزتنا الحيل معرفتها بالقراءة والاطلاع وسؤال ذوي الخبرة من الصالحين والصالحات.

فقد تكون مشكلة الآخر لا تعدو عن كونها مجرد فوضى اعتاد عليها في حياته السابقة، فهذه الطريقة ستعوّده على قدر كبير من النظام والانضباط بأقل خسائر ممكنة.



أسئلة تطرح نفسها:

أولاً: هل يجب أن نتابع أبناءنا بعد الزواج:

نعم، حيث ثبت أن رسول الله ﷺ كان يزور ابنته فاطمة رضي الله عنها ويتفقد أحوالها، حيث أوصاهما عندما اشتكت التعب في أعمال المنزل أن تسبّح الله وتحمده وتكبره ثلاث وثلاثين مرة قبل النوم، كما جاء مرة ورأى علياً رضي الله عنه يقيل في المسجد فقال له: «قم يا أبا تراب» حيث كان غضبان على فاطمة وأعاده إلى المنزل، حتى أن علياً رضي الله عنه لُقب بعد هذه الحادثة بأبي تراب، وكان ﷺ يزور ابنته، وكان عندما يعود من السفر أول شيء يفعله بعد الصلاة في المسجد هو زيارة ابنته فاطمة رضي الله عنها، كما أرسل إليها زوجتيه أم سلمة وزينب بنت جحش رضي الله عنهما حينما حانت ولادتها ليساعداها ويقرآ عليها آية الكرسي، و«إن ربكم الله ويعوذاها بالمعوذتين» كما في رواية ابن السني والنووي.

ولكن رسول الله ﷺ كان عادلاً حسن النية، فيجب أن يقتصر التدخل على المساعدة على صعوبات الحياة مثل أن تساعد الأم ابنتها أو زوجة ابنها في تربية أطفالها أو تقديم المشورة في شيء تجهله، مثل أعباء المنزل... أي تدّخل نتيجته البناء وليس الهدم.

يعجبني موقف إحدى الأمهات، فقد قالت لي: جاءتني ابنتي غاضبة على زوجها وقالت: لا أريد هذا الرجل، لن أعود إليه، أريد الطلاق، قالت: فقلت لها بعد أن حاولت ثنيها عن ذلك: إذا أردت تركه فلا بأس، ولكن نحن لن نقبل بابنيك، قالت: حسناً.

قالت الأم: لم أكن أقصد أنني لا أريدهما حقاً، ولكنني كنت أقصد إثارة شعورها والتضييق عليها لدفعها باتجاه التفكير الجاد بنتائج قرارها على ابنيها وعلى الأسرة ككل.

وتابعت: بقيت عندنا، أما ابناها فبقيا عند والدهما، وبعد أسبوع قمت بالاتصال بزوجها، وحاولت التفاهم معه حول أسباب الخلاف، واتفقت معه على حل، ثم أخبرت ابنتي بهذا الحل، وعندما عرضت عليها العودة وافقت على الفور، لأنها باتت تعرف كيف تتلمس طريقها في هذه الأيام المعدودة، وبدأت تبصر النور، وغالب الظن أنها من الآن فصاعداً سوف تفكر جيداً قبل أن تقرر ترك عش الزوجية.

وعلى الأهل ألا يذكروا أحد الزوجين أو أهله بسوء أمام الآخر لأن هذا – خاصةً إذا تكرر – من شأنه أن يوغر صدر ه على شريكه ومع الوقت سوف يؤدي هذا إلى انهيار الأسرة، قال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**».

ثانياً: هل يحتاج الأبناء حديثي الزواج إلى عرضهم على أخصائي نفسي؟ ومتى؟

نعم... قد يحتاجون إذا كانوا قادمين من أسر منهارة كما سبق القول عند تعداد أسباب المشكلات الزوجية، وإذا كان أحدهم يعاني من مرض نفسي أو اضطراب في الشخصية، وقد لا يتضح هذا قبل الزواج، ومن السهل معرفة هذا إذا كثرت المشكلات بينهما بشكل حاد، وزائد عن الحد، وإذا استمرت شكوى أحدهما أو كل منهما من الآخر مما يعني سوء تكيفهما مع بعضهم بعضاً، ويعتبر سوء التكيف مؤشراً على وجود مشكلة نفسية في بعض الأحيان.

لذا فمن المفيد عرضهما على مختص نفسي أو مختصة ليساعدهما على التكيف مع بعضهم بعضاً، وقد يحتاج أحدهما إلى بعض الأدوية المساعدة، ومن هنا أنادي بتدريب المختصين والمختصات النفسيين ليكونوا على استعداد لمعالجة مثل هذه الحالات، فليس كل مختص قادر بشكل جيد، على أنني حاولت بذل جهدي ليكون هذا الكتاب مرجعاً مرضياً في حالات عديدة، فقد اهتم بالوقاية قبل العلاج وهو الإعداد الجيد للأبناء، كما اعتمدت على نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة.

ثالثاً: ما مدى فعالية مراكز إصلاح ذات البين ودور الإرشاد الأسري؟

يفضل الناس بطبيعة الحال الستر على مشكلاتهم، لذا يُعد اللجوء إلى هذه المراكز أسلم طريقة للبعد عن أعين الأقارب، ولتجنب اللجوء إلى القضاء.

ولا شك أن اللجوء إلى مساعدين وخبراء بالأسس السليمة لحياة زوجية هانئة يعتبر أفضل من ترك السفينة تغرق دون أي منقذ، خاصة إذا كان هؤلاء من الصالحين المصلحين الذي أخذوا على عاتقهم فعل الخير لإخوانهم المسلمين كبعض الجمعيات الخيرية.

رابعاً: ما مدى فعالية اللجوء إلى القضاء عند حدوث المشكلات:

ثبت من التجارب أن اللجوء إلى القضاء قبل وجود ضرورة قصوى يعتبر سبباً رئيساً لانحدار العلاقة إلى الحضيض، وقد لا يكون هناك أمل في الصعود مرة أخرى لذا لا ينصح باللجوء إلى القضاء إلا في الحالات التي تهدد الأرواح، لأن الإبقاء على قدر من الاحترام بين الزوجين حتى لو حصل الطلاق مهم جداً خاصة إذا كان بينهما أبناء وسيرد تفصيل أكثر حول هذه النقطة في فقرة (ماذا بعد الطلاق).

خامساً: هل هناك حلول جذرية للمشكلات؟ ومتى يكون الطلاق حلاً؟

هناك أصل يمكن الاستناد عليه، حيث ثبت أن رسول الله ﷺ لم يكن يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله.

ومن هنا نستفيد أن كل ما يصدر عن أ حد الزوجين من خطأ يستحب للآخر، بل ويأمر في أكثر الحالات بالتسامح فيه، والصبر عليه، إلا إذا ارتكب أحدهما كبيرة من الكبائر وأصر عليها كترك الصلاة والزنا وتعاطي المسكر... الخ على الرغم من النصح والتوجيه واستخدام طرق حل الخلافات السالفة جميعها، فإذا لم يجدي كل هذا، فيمكن للمتضرر اللجوء إلى الطلاق كحل نهائي.

وبالإضافة إلى هذا فإن لجوء الزوج إلى الضرب المبّرح بكثرة سواء كان بسبب أو بدون سبب مع عدم قدرة الزوجة على التحمل فإن هذا يجعل من حقها طلب الطلاق لقوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾.

ومما يبيح الطلاق كذلك استهتار أحد الزوجين الفادح في حقوق الآخر، وعدم قيامه بالواجبات الأساسية التي شرعها الإسلام كالنفقة والمبيت في المنزل والجماع... إلخ، والتي لخصها رسول الله ﷺ بالنسبة للرجل في هذا الحديث:

قال رجل من الصحابة: يا رسول الله! ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه، ولا تُقبّح، ولا تهجر إلا في البيت**» رواه أحمد وأبو داوود، وابن ماجه.

أما واجب المرأة فلخصه ﷺ في الطاعة: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت بعلها (زوجها) دخلت الجنة**» أخرجه أحمد وغيره.

ماذا بعد الطلاق في حال وقوعه؟

يعتقد كثيرون أن الطلاق هو النهاية، والحقيقة أن الموت هو النهاية، فلا يزال هناك أمل للعودة مرة ومرتين... هناك أزواج وقع بينهم الطلاق عادوا إلى بعضهم بعد ثمان سنوات من الطلاق وهناك من عاد بعد سبعة عشر سنة، وفي الغالب أن هؤلاء احترموا بعضهم بعضاً عند الطلاق وبعده.ولذا يجب أن ينصح الأهل ابنتهم أو ابنهم أن لا يسيء إلى الآخر بأي شيء سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بحيث يتحدث عن أخطاءه أو عيوبه، أو يحاول أن يبديه أمام الناس على أنه هو المخطئ.

قال تعالى في سورة الطلاق: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ فالانفصال يجب أن يكون بأحسن ما يكون، قال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)﴾ [البقرة: ٢٣٧]، أي لا تنسوا المودة والإحسان[1] التي كانت بينكما إذا طلقتم، وقال تعالى في نفس السورة: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)﴾ أي النساء اللاتي طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فقدموا لهن مالاً على حسب القدرة جبراً لخواطرهن.

---

(١) أبي بكر الجزائري – أيسر التفاسير – المجلد الأول – ص٢٢٧.

وهذه إحدى الدلائل على عظمة ورقي الإسلام فهو لم ينس حق المرأة في كل حال سواء طلقت بعد الدخول عليها أو قبل الدخول، فهو يحث كل طرف على الإحسان إلى الطرف الآخر حتى لو صدرت إساءة منه إذ أن الطلاق لا يقع عادةً إلا بعد ظلم أو إساءة، قد تكون متبادلة من كليهما وقد تكون مركزة من أحدهما، ولكن الله سبحانه سوف يجعل لكل هذا مخرجا إذا قوبل الأمر بحكمة تتمثل في حسن الخلق، ولزوم الصمت حيال ما حدث، واللجوء إلى الله، إذ قد يكون بينهما أبناء سيتضررون من تبادل الاتهامات والإساءات.

ولعل في شعوره بعدم رغبته مخالطة الناس شيء من الفائدة، وهي أن يكف عليه لسانه، وقد ذكرنا قبل ذلك حديث رسول الله ﷺ الذي مؤداه «**تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم**»، وهذا هو الذي يسمى الصبر، وإذا كان عاجزاً عن ذلك، فيمكن أن يخبر الطرف الآخر بأنه لن يسيء إليه وأنه سيتوكل على الله، ففي هذا الإجراء تنفيس ممتاز عن الغضب الشديد الذي يعاني منه، وذلك على غرار موقف قابيل من هابيل حين قال له: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: ٢٨].

وبطبيعة الحال على الأهل أن يؤدوا هذا الدور نفسه من أجل صالح أبنائهم، وسبحان من قال في سورة الطلاق ذاتها: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾.



نصيحة الساعات الأخيرة:

الساعات الأخيرة هي تلك الليالي والأيام القليلة جداً التي تسبق ليلة الزفاف والتي تأتي عقب أن نكون قد انتهينا من تهيئة كل شيء، ولم يبق إلا ما يتعلق بليلة الزفاف والأيام الأولى من الزواج، وفي هذه الأثناء علينا بالعودة إلى الله كما لم نفعل من قبل لأن ها هنا حدثاً غير عادي، وهذا عكس ما يفعله بعضهم وهو الابتعاد عن الله عن طريق التخطيط لليلة الزفاف بحيث تكون على هوانا وليس

كما يحب، علينا أن نبدأ هذه الأيام المباركة بكثرة الاستغفار والدعاء بطلب التوفيق والسعادة لأبنائنا كما جاء في السنة المطهرة وسيرد لاحقاً.

علينا أن نذكرهم مرة أخرى رعاهم الله بالخطوط العريضة للحياة الزوجية وهي:

أ) علينا أن ننصح أبناءنا بهذه النصيحة الثمينة: ضع أحلامك وآمالك جانباً وقلل سقف طلباتك إلى أقل قدر ممكن، فهذا هو سلاحك الماضي في وجه السفيه (الشيطان) وفي وجه هوى نفسك وهوى زوجك.

ب) كنز ثمين نقدمه لأبنائنا إذا أوصيناهم بالالتزام بدستور الحياة وهو: وصية رسول الله ﷺ لأمته:

عن طلحة ابن مصرف قال: سألت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: هل كان النبي ﷺ أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوصية، أو أمروا بالوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله، رواه البخاري، ولذا علينا بتوجيههم إلى المحافظة على تلاوة القرآن الكريم في هذه الأيام وخاصة سورة البقرة، في رسالة واضحة منا أن: هكذا فافعلوا فيما بقي من حياتكم، لا تدعوه ولو على موتكم.

ثم نوصيهم بالسنة: قال رسول الله ﷺ: «**أوصيكم بتقوى اللّه والسمع والطاعة وإن عبداً حبشيّاً فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديِّين الراشدين تمسكوا بها وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**» سنن أبو داوود.

فليقل كل واحد منا لأبنه أوصيك بوصية رسول الله ثم أوصيك بوصية رسول الله ثم أوصيك بوصية رسول الله ﷺ.

ثم اذكر له آداب الليلة الأولى كما جاءت في السنة:

١. قال رسول الله ﷺ: «**إذا تزوج أحدكم امرأة فليأخذ بناصيتها، وليسم الله وليدع بالبركة وليقل اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه (أي خلقتها وطبعتها عليه) وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه**» رواه البخاري وأبو داوود وغيرهما.

ويستحب أن يصليا ركعتين ويدعوا الله سبحانه: لما أخرج ابن شيبة بسند جيد عن شقيق قال: جاء رجل يقال له أبو حريز فقال: إني تزوجت جارية شابة، وإني أخاف أن تفركني أي تبغضني فقال عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: إن الإلف من الله والفرك من الشيطان يريد (أي الشيطان) أن يكره إليكم ما أحل الله لكم، فإذا أتتك فأمرها أن تصلي وراءك ركعتين وقل: «اللهم بارك لي فيها وبارك لهم فيّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخيروفرق بيننا إذا فرقت إلى خير»، وقد وردت هذه السنة كذلك في قصة القاضي شريح التي سبق ذكرها.

ثم عليه أن يقدم لنفسه قال تعالى: ﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] بالمداعبة والتودد إليها ويقبل بوجهه إليها، ثم يقدم إليها شيئاً تشربه أو تأكله[١].

روي أن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: قيّنتُ (زينب) عائشة رضي الله عنها لجلوتها فجاء ﷺ إلى جنبها، فأُتي بعُس لبن (قدح كبير) فشرب ثم ناولها النبي ﷺ فخفضت رأسها واستحيت....

٢. أن نوجههم إلى ضرورة التسمية قبل الجماع، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن أحدكم إذا أتى أهله، قال: بسم الله اللهم جنبا الشيطان وجنب الشطان ما رزقتنا فإن قضى الله بينهما ولدا لم يضره الشيطان**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

ثم نشرح كيفية الغسل بعد الجماع، وكل هذه الآداب من المفترض أن تُقدم له عن طريق الكتب الفقهية بمجرد عقد النكاح، ولكن تقوم الأم بتذكير ابنتها، والأب بتذكير ابنه، وقد يخجل الوالدان من هذا، وفي هذه الحالة يمكن أن يقدما للابن والابنة هذه الأمور مكتوبة.

٣. يجب التأكيد على كل منهما إلى عدم كشف سرهما للآخرين، حيث يتوقع في أيام الزفاف الأولى أن يواجها أسئلة من بعض المتطفلين ليتعرفوا على حقيقة ما جرى بينهما عن أبي سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها**» رواه مسلم.

---

(١) محمد خير فاطمة – مرجع سابق ص٨٥.

وعندما يصير العروسان لوحدهما في حجرتهما، يجب أن يحترم الآخرين خصوصيتهما، ويتوقفوا عن التدخل ويتركوهما لوحدهما، فواجب الأهل والأقارب ترك المجال لهما للتفاهم فيما بينهما دون تدخل محرج، بل واجبهم الدعاء لهما بقولهم: «اللهم بارك لهما، وبارك عليهما، وألّف بينهما على خير، واجعل منهما النسل الطيب».

لا تنتهي العلاقة بين الوالدين وأبنائهم بمجرد الزواج بل تستمر مدى الحياة في علاقة حب وعطاء متبادل.



خلاصة الفصل الخامس

ليعلم الأبناء قبل الزواج أن أسس الزواج الناجح هي: (قبول الآخر وقبول ما يهمه والتعبير عن هذا القبول معنوياً ومادياً عن طريق المبادرة والدعم والتسامح والثقة والوفاء) والتي لابد أن توضع في (وعاء) وهو الوقت المخصص لممارستها، والذي يمكن التدرب عليه عن طريق:

١. الإخلاص لله والاستعانة به، والمحافظة على تلاوة سورة البقرة، وتلاوة الأذكار وتناول العجوة والصدقة.

٢. الاطلاع الدوري على مجال الثقافة الزوجية.

٣. وضع جدول بمطالب الآخر يُراجع ويؤخذ منه للاستعمال اليومي.

٤. عدم تدخل الأهل وعدم ذكر الطرف الآخر أو أهله أمام ابنهم أو ابنتهم إلا بخير حتى لو حدثت إساءه منه.

٥. الصبر والتوكل على الله وانتظار النتائج حتى بعد الطلاق.

«تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم».

خاتمة

وبعد فلم أجد أفضل من التذكير بما ورد في المأثور من التحذير من التهاون في تربية الأبناء من حيث توجيههم والنصح لهم، فالولد سيتعلق برقبة أبيه يوم القيامة ويقول: «يا رب خذ لي حقي من هذا الذي ظلمني. فيقول أبوه، كيف ظلمتك؟ ألم أطعمك ألم أكسك...؟ فيقول: بلى، ولكنك كنت تراني على المعصية ولا تنهاني».

وما ورد في الحديث التالي: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**» رواه مسلم.

فبدعائه ستحصل على أحوج ما تحتاج إليه في أحرج اللحظات إذاً علينا أن نغير ما بأنفسنا حتى يغير الله ما بنا من الحيرة في علاقتنا بالمراهق، والقلق عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وهذا يقتضي بالطبع:

عدم الغضب على المراهق مهما فعل كما أوصى بذلك رسول الله ﷺ، وكما كان يفعل فافعل، وهو أن لا تغضب عليه إلا إذا انتهك حرمات الله، ولهذا الغضب كما سبق وقلنا في الصفحات الكثيرة السابقة منهج علمي لتوظيفه بطريقة مناسبة وصحيحة من غير عنف ولا إذلال.

ودائماً وأبداً ننصح كل فرد من أفراد مجتمعنا الحبيب أن يتمسك بحسن الخلق من أجل أن يحصل على حياة سعيدة له ولكل من حوله.

قال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لأهله**» أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح.

والشيء المهم الآخر هو: إذا أردنا أن نكسب أبناءنا فلا بد أن نكسب رضا ربنا سبحانه وتعالى فليحبنا الله ليحبنا أبناؤنا. ففي الحديث القدسي الصحيح الذي

سبق ذكره: «... **ينادى في أهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض...**» وهكذا سنكسب أبناءنا، ولن نكسب حب ربنا إلا بالمداومة على الفرائض والنوافل، كما في صحيح البخاري: «... **وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...**» كما جاء في الحديث القدسي.

أن نغير البيئة بأن نطهرها من كل ما يضر المراهق.

إخواني الأفاضل... أرجو أن تكونوا قد وافقتموني على ندائي الذي ناديت به في ثنايا هذا الكتاب وهو: التعاون من أجل تشكيل (ضغط اجتماعي أبوي مضاد للضغط المادي الابني) وأناديكم مرة أخرى لتشكيل اتفاق ضمني لتربية أبنائنا وإعدادهم للزواج إعداداً مسئولاً، فلو أن كل واحد فينا أعد ابنه أو ابنته جيداً للزواج لوفقوا جميعهم في زواجهم، لأنه في النهاية بعضهم سيتزوج من بعض.

كما أوصي بتضمين دستور الأسرة كما جاء به شرعنا المطهر المنزه عن كل عيب ونقيصه كل أنظمة الدوائر الحكومية كلٍ فيما يخصه بدءاً بدستور البلاد، وانتهاءً بأصغر دائرة حكومية.

بمعنى أنه يجب أن تكون المصالح الأسرية للعاملين على رأس أولويات أي دائرة حكومية، بحيث يفهم كل شخص من هذا أن الحياة الأسرية مقدسة كل التقديس، وأن الروابط الأسرية لها الأهمية القصوى والاعتبار الأكيد..

إن هذا العمل بلا شك سوف يسهم إلى حد كبير في استقرار البلاد وتقدمها، والذي هو أمنية وهدف كل مواطن صالح.

كما أوصي بإقامة دورات تدريبية للمقبلين على الزواج، وعدم إعطائهم موافقة على الزواج إلا بعد حصولهم على شهادة اجتياز لهذه الدورات، أسوةً بالشهادة الصحية المفروضة على المقبلين على الزواج، وأضم صوتي إلى أصوات الكثيرين الذي نادوا بتطبيق التجربة الماليزية بهذا الخصوص.

كما أوصي بالأخذ بتجربة المأذون الدكتور عبدالله الأنصاري في مدينة الشارقة الذي يقوم بإعطاء الأزواج دورات توعية عند العقد لهم مع إهدائهم مجلة تثقيفية، كما يتواصل معهم لمدة سنة من أجل متابعتهم كصديق وفي للعائلة وليس مجرد مأذون تقليدي وكذلك أنصح بالأخذ بتجربة محاكم دبي، حيث لا يُسمح

بالبت في قضايا الطلاق إلا بعد مرورها على جهات إصلاحية للتوفيق وحل الخلافات بدل إصدار صكوك الطلاق بشكل روتيني وبدم بارد، مما قل إلى حد كبير من نسبة الطلاق عندهم بحمد الله.

وأرى من الواجب علي أن أتوجه بالشكر والدعاء لكل مجهود خيري سواء كان حكومي أو أهلي يوجه الاهتمام والرعاية إلى الأسرة المسلمة.

وقبل الختام: أرى أنه من المحتّم علي أيها القارئ الكريم أن أذكّرك مرةً أخرى بأن هناك شيء اسمه الشيطان، وهناك ما يسمى بالحسد والعين والسحر والهوى، ولذا فلا بد من حفظك للقرآن الكريم أو على الأقل المداومة على تلاوته يومياً وخاصةً سورة البقرة مع أذكار الحفظ، والمداومة على الصدقة، وتعويد ابنك على ذلك، وإن لم يكن بالإمكان هذا، فعليك تحفيظه سورة الكهف المناسبة جداً لقضايا المراهقة، والتي اتضح إعجازها في هذا المجال بشكل مدهش، وسورة يوسف، وسورة هود، وسورة النور وتحفيظه لسيرة وسنة نبينا محمد ﷺ في وقت مبّكر من حياته، وخاصةً كتاب رياض الصالحين أو على الأقل الأربعين النووية، والأحاديث الخاصة بمرحلة المراهقة والشباب التي ورد ذكر عدداً منها في (فصل ضبط المراهق).

إن هذه هي أول وأهم خطوة على التربية الصحيحة، فبالقرآن والسنة نبدأ وبهما ننتهي. مرة أخرى أقول حثه على تلاوة البقرة والأذكار حتى في أيام الاختبارات وحتى في صبيحة يوم زفافه.

وعندها سوف تتغلب على القلق الذي يكاد يقضي علينا جميعاً

فدع القلق ما دمت تبذل جهدك مع ابنك متوكلاً على الله سبحانه

دع القلق ما دمت زاهداً بالدنيا راغباً بالآخرة.

دع القلق ما دمت مؤمناً أن كل شيء مقدر ومكتوب.

دع القلق ما دمت مؤمناً أن الله قدّر لكلٍ رزقه... فالعلم رزق، والعمل رزق، والتوفيق رزق... وقدرات وإنجازات، وشخصية ابنك وابنتك رزق، والزواج والتوفيق فيه رزق.

ولا تنس أن الله تبارك وتعالى قد حفظ يوسف عليه السلام طوال مرحلة المراهقة، بل وجعل منه نبياً عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام دون أن يكون معه أبوان... تخيل ماذا عمل أبو يوسف عليه السلام خلال هذه المرحلة واعمل.

واحتفظ بهذا الكتاب، وراجعه من آن لآخر، خاصة إذا هممت بالخطبة لولدك أو تقدم لزوج ابنتك من يخطبها.

ومن المهم أن تحتفظ بملف خاص بعلاقتك مع ابنك المراهق، تدّون فيه خط سير هذه العلاقة ومن الأفضل الاستعانة برسم بياني لهذه العلاقة حتى نضمن ترقيها وفي أسوأ الأحوال ثباتها، وتدوين ملاحظاتك عليها، وما تحتاج إليه هذه العلاقة من إصلاح أو دعم، كما تدون فيه الخطة التربوية، وكل ما ترى أن فيه فائدة له كالنصائح والحكم المفيدة ويمكن أن ترفق فيه أي كتاب مفيد بهذا الخصوص. وبنفس الطريقة انصح ابنك المقبل على الزواج أو ابنتك أن يحتفظا بملف خاص بعلاقة كل واحد منهما بزوجه.

وأخيراً ادعوك أخي القارئ..أختي القارئة أن تعوّلا إلى حد كبير على تعليم أبنائكم الدعاء...إنني أشعر أن كل ما جاء في هذا الكتاب في كفة وتعليمهم كيف يدعون ربهم سبحانه وتعالى للحصول على أي شيء يريدونه ثم كيف يشكرونه في كفة، لأن هذه الوسيلة العظيمة كفيلة بترقيتهم إلى درجات لا يمكن حصولها بدونها، قال ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**» رواه أبو داود والترمذي وقال حديثٌ حسن صحيح. ويسعدني أن الدعوة للدعاء وردت في سورة الكهف التي أبهرتني بشكل لا مزيد عليه لشدة مناسبتها للمراهق، قال تعالى في هذه الآية المعجزة: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف: ٢٨].

أدعو الله لي ولكما ولأبنائكما وللمسلمين وأبنائهم بالتوفيق والقبول.

تم بحمد الله، وأستغفر الله لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المؤلفة

في ١٢ جمادى الثاني ١٤٢٩هـ

المراجع

- القرآن الكريم.
- الحديث الشريف.
- ابن تيمية، فتاوى ابن تيمية.
- ابن منظور، لسان العرب، ١٤٢٣هـ، دار الحديث، القاهرة
- أبي الحسن النيسابوري، أسباب النزول، دار ومكتبة الهلال، بيروت
- أبي بكر الجزائري، أيسر التفاسير، المجلد الأول، ١٤١٦هـ، دار العلوم والحكم.
- آن شابيرو، في بيتنا مراهق (ترجمة ألفيرا عون)، دار الفراشة، ١٤٢٦هـ، بيروت.
- إيفلين إم. فيلد، حصّن طفلك من السلوك العدواني والاستهزاء (مترجم)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، مكتبة جرير.
- العنود الطيار، تأملات في الإعجاز النفسي والاجتماعي في القرآن والسنة ١٤٢٩هـ.
- العنود الطيار، مذكرات امرأة عربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ.
- جيه. إس. سولت، كيف تصبحين زوجة مثالية، مترجم، الطبعة الأولى، مكتبة جرير، ٢٠٠٧ م.
- جيه. إس. سولت، كيف تصبح زوجاً مثالياً، مترجم، الطبعة الأولى، مكتبة جرير، ٢٠٠٧ م.
- جيمس ويليس، جون ماركس، الطب النفسي المبسط، (ترجمة طارق الحبيب)، ١٤٢٠هـ، جامعة الملك سعود.
- حسن مرعي، الثقافة الجنسية، ٢٠٠٦، دار ومكتبة الهلال.
- حنان عطيه الجهني، الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المراهقة، ١٤٢٢هـ

- خالد البشر، مكافحة الجريمة في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٢هـ.
- دوروثي لو نولتي، راشيل هاريس، المراهقون يتعلمون ما يعايشونه (مترجم)، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥، مكتبة جرير.
- ريشارد كارلسون، لا تهتم بصغائر الأمور مع أسرتك(مترجم)، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
- ستيف بيدولف، تربية الأولاد (مترجم) الطبعة الأولى، ٢٠٠٧، دار ابن حزم، بيروت.
- سعيد بن وهف القحطاني، حصن المسلم، الطبعة الثلاثون
- سلطان محمد المالك، مقال بعنوان الخطر القادم، جريدة الجزيرة، العدد ١٢٩١٨.
- عبد الكريم بكّار، هكذا يكون الآباء، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- عبدالرحمن رأفت الباشا، صور من حياة الصحابة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- عبدالله حجاج، علامات القيامة الكبرى، ١٩٨٥، مكتبة التراث الإسلامي.
- عبد المتعال الجبري، المرأة في التصور الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٣٩٦ هـ، مكتبة وهبه.
- عوض الأسمري، صحيفة الاقتصادية، العدد ٥٢٤٠، ١٤٢٩هـ.
- فاديا، كامل حمام، علي أحمد مصطفى، علم نفس النمو، ١٤٢٤هـ، دار الزهراء، الرياض.
- فلاح محروت البلعاسي العنزي، علم النفس الاجتماعي، ١٤٢٧هـ، مطابع التقنية للأوفست.
- مأمون مبيّض، أولادنا من الطفولة إلى الشباب، ١٤٢٦هـ، المكتب الإسلامي
- محمد السيد الزعبلاوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، رسالة دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية، الطبعة الرابعة، ١٤٢١ هـ، مؤسسة الكتب الثقافية ومكتبة التوبة.

- محمد الطرطوشي، بر الوالدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- محمد خير فاطمة، الوصايا القيمة لكل فتاة مؤمنة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار الخير، دمشق، بيروت.
- محمد علي الصابوني، الزواج الإسلامي المبكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٧، المكتبة العصرية، بيروت.
- محمد ديماس، تشاجر الأشقاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، دار ابن حزم، بيروت.
- محمود مهدي الإستانبولي، تحفة العروس، دار عمر بن الخطاب، الإسكندرية.